

كتاب قصة أبي علي بن سينا وشقيقه ابي الحارث وما حصل منهما من نوادر العجائب وشوارد الغرائب

لفيلسوف زمانه في القرى والامصار حضرة

مراد افندي

مختار



﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لمن خص من أراد من عباده بالمعجزات واظهر على يد أوليائه خوارق العادات والصلاة والسلام على من خصه بالآيات الباهرات وعلى آله وأصحابه الطاهرين المطهرين السادات وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله شهادة تنجي قائلها من المهلكات وتبلغ المخلص الى أعلى الغرفات ﴿وبعد﴾ فيقول عبد ربه الغفار الفقير مراد مختار انى قد اطلعت فى بعض الكتب التركية على قصة أبي على بن سينا وشقيقه أبى الحارث وقد كثرت فى نقل عبارات قصته الاقوال ولم أجد أصح وأوضح من هذا الكتاب فعنّ لى أن أترجمه ليكون للوحيد سميرا بل وللعين نورا وقر برا وقد تتبعت أقوال متر جسه الاول وعن قفوآثاره لم أتحول ﴿فيحكى﴾ والله أعلم بغيبه واحكم ان أبا على بن سينا وشقيقه أعنى أخاه أبا الحارث كانا من أهل قرية من قرى بخارى تسمى شمعا وكانا من ذوى الحسن والجمال وذوى الترهف وحسن الاحوال وذلك فى سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية قال وكانت وفاة أبى على بن سينا مظهر بدائع العجائب وفرائد الغرائب سنة أربعمائة وأربع وخمسين هجرية وقد عمر احدى وثمانين سنة ودفن بسمرقند وسنذكر ذلك ان شاء الله تعالى وكيفية وفاته وانه قد ألف عدة مجلدات لا حاجة الى تسميتها فى هذه القصة ومن جملتها القانون المشهور فى الطب

ولنعدل الى ماقصدناه من قصته العجيبة ﴿فيحكى﴾ والله أعلم أن فيثاغورث الحكيم الشهير كان من متقدمي زمانه عند نبي الله داود على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم السلام وقد ألف كتبا جمة وبالجملة كتابا في التوحيد بلسان قومه فسماه داود عليه السلام توحيد فيثاغورث وكان معظما تعظيما خارجا عن دائرة المقدرة والوصف ﴿قال الراوي﴾ وعند انتقال داود عليه السلام الى دار البقاء وتنبا ولده سليمان عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام لم يرتض فيثاغورث ان يندرج تحت أمر المخلوقين مقهورا عليه ومحكوما بل انه ابرز فعل قوته وأظهر مبدعات أمره التي أكمنها فيه رب العزة جل وعلا من العلوم فعند ذلك أظهر لسليمان عليه السلام في الارض وفي جو السماء عساكر جمة ولم يجب دعوة سليمان عليه السلام اذ دعاه من أول وهلة بل انه بارزه بعساكر الانس والجن والطير فارسل سليمان عليه السلام اليه مبارزا من عتاة الجن فناظره فيثاغورث بآخر من جانبه ولم يزل الحرب والجدال بين المتعاركين ولم يفرق أحد بينهما ولم يعلم أيهما صاحب ذا من ذاك وكلما برز من عسكر نبي الله سليمان عليه السلام مبارز برز مثله من عسكر الحكيم فيثاغورث التي أظهرها ببديع علومه وغرائب حكمته ولم تزل رحا الحرب دائرة فيما بين العسكرين ولم يفشل أحد الجهتين حتى فيما بعد الجهد تحير حكماء سليمان عليه السلام لما أنهم لم يفرقوا بين صاحبهم وصاحب الآخر وحين ما انسدل ستر الظلام رجع كل من المبارزين الى عسكره ﴿يا سادة﴾ فلما حكم الليل على جنوده وسدل على العباد بنوده أقبل فيثاغورث بأنواع الزينة والتحف الى نبي الله سليمان عليه السلام والقى اليه السلام واستعذر اليه قائلا له اني لست مبارزك عصيانا بل القصد التقرب باظهار هاتيك العجائب اذ قيل خالف تعرف ولم تكن مبارزتي اياك مخالفة لامر النبوة فعند ذلك قربه نبي الله سليمان اليه وجعله ذا مكانة عظيمة وبحله ثم انه كتبه من جملة وزرائه بل ومن اعاظمهم لما أنه شاهد منه أنواع الحكمة وقوة تمكنه منها وأكرمه ونعمه وبالغ في غاية اكرامه فأفنى بقية عمره في خدمة نبي الله سليمان عليه السلام ولم ينتشر علم الكيمياء والاخفاء والسيمياء الا منه فهو مصدرها بعد من تقدم أي قبله ﴿قال الراوي﴾ ولما ان مرض فيثاغورث الحكيم وأحس بالموت جمع منقوش ألواح علومه ووضعها داخل مغارة ببلاد المغرب وطلسمها بفراسة حكمته ووكل بها من يظهرها ويفتحها من العام للعام مرة من ذوي القوة من طوائف الجن وذلك لينتفع بها الخلق وقد كانت تفتح تلك المغارة الى مدة قريبة من تاريخ كتابة هذا النقل وعلى ماقيل انها حين كانت تفتح تمكث ثلاث ساعات مفتوحة وقد حان آخر وقت سجن مغضوبي الجن المتوكلين بها على ماقيل فتوكل بها

قطب تلك الديار وشدد على خدام وقته من طوائف الجن فلم تفتح الآن مخافة بني الزمان وفسادهم وقد كان الداخل بها ماعقله بعقله بقي معه وما كتبه انمحى اذا خرج منها وقيل ان من أراد اخراج علم مكتوب من داخلها هلكه موكلو المغارة وذلك لئلا تقع تلك الاوراق بيد من هو ليس لها باهل واذا الرصد عدم اخراج شئ مكتوب من داخلها وذلك احتياطا على ما أودعه فيها الحكيم من بدائع الاسرار وكانت تلك العلوم منقوشة بقلم غريب ولم يسهل تعليمه الا لارباب الاسرار ومن هم أهل لذلك ﴿قال الراوي﴾ وكان أبو علي بن سينا في مدة نشأته تحصل على ذكاوة لم تسعها العقول وكان جميلا مجملا بالمعارف حتى انه كان تزين به المحافل وكان يحق به ان يسمى أفلاطون زمانه في حالة صباه ﴿ياسادة﴾ ومما روي عنه ان أهل مكتبه الذين كانوا مصبوبين في قالب الحسن أو كالاهلة في جنوب الجن أو كورد الجنان على جنة نهر الجنان للوارد الظمآن في يوم العطش الصيخود الذي لو شاب شجرة لتركها كالجلمود وكان هؤلاء الانجاب يتحادثون بجودة ذهن ابن سينا وفراسته ومعرفته وكياسته وكانوا يتباحثون معه وبالجملة فانهم وضعوا له ورقة ذات يوم تحت فرشه الذي يجلس عليه بالمكتب فلما ان جلس به أي بفرشه أمعن النظر مرة الى السقف وأخرى الى الارض واستغرق في بحر التفكر واستقلت فكرته في تلك الحالة فسئل في ذلك المعنى فأجاب ان سقف المكتب يرى لي انه هبط بمقدار رقة ورقة أو علت الارض بمقدار ذلك القدر واستغال بالي انما هو لاستحالة هبوط السقف ذلك القدر اذ لو كان ذلك لخلا المكان بنا فلم يزل بهذه الفراسة والكياسة مشتغلا بطلب العلوم الى أن بلغ من العمر اثنتي عشرة سنة فحصل اذ ذاك أجل العلوم وكان يدرس في فنون شتى ﴿ياسادة﴾ ومما روي عنه أنه كان يفيد ويستفيد كل يوم في الصبح ثم يشتغل بعد بالملاعبة مع الصبيان فتجارأ عليه احد تلامذته وسأله كيف يتعاطى الملاعبة مع الصبيان مع كسب كمالاته للعلوم والفنون فاجابه ان للسن أحكاما وعالم الصباوة هو عين اللعب ولابد من أخذه حده وقد حصل على تلك الحالة علوما شتى مما لايحصلها شائبو زمانه فكانت ملاعبته لمجرد الاجتهاد وصار أفلاطون زمانه ولم يكن ببخارى وجوارها من يبارزه للمباحثة فتفكر يوما في أن يسوح الارض مشارقا ومغاربا ليكمل معارفه ومراتبه ويجلب مكاسبا ويحصل مآربا وكان أخوه أبو الحارث أول درجة منه في الذكاوة فأخذه معه وتزيا بزي الدراويش وصارا يتطايران في قفص عالم الكون من حديقة الى أخرى ويقتطفان من أحاسن أثمارها ولم يزلا على هذه الحالة في كر وفر وزيارة وتجارة من مقام نبي الى مرقد ولي بطوفان بسط البسيطة ويرفعان شرائع الاعلام حتى وصلا الى مدينة من أقصى بلاد المغرب وقد

نويا الاقامة بها يومين لاخذ تدارك الراحة فبينما هم فى أثناء ذلك وقد مرا بأسواق
تلك المدينة يتفرجان فى أزقتها ويمعنان التفحص فى شوارعها اذ سمعا مناديا ينادى
ان اجتمعوا أيها المسلمون واعلموا أن المغارة ستفتح بكرة فلا يقل أحدكم انى لم أسمع ولا
يلتمس الاعذار فكونوا على بصيرة هذا وقد طاف ذلك المنادى بجميع أطراف تلك
المدينة ونادى بذلك النداء فى سائر شوارعها وأزقتها وهو ينادى على تلك الحالة
(قال الناقل) فلما سمع ابن سينا ذلك المنادى وهو يطوف كما ذكرنا بشوارع
المدينة تعجب غاية العجب اذ هو لم يعلم بحقيقة الامر ولم يعلم موجبات أهل تلك البلدة
واشعارهم بذلك النداء وما القصد به فسأل عند ذلك من أحد أعيان البلدة عن
سبب اشاعة ذلك النداء والاعلان به على رؤس الاشهاد وما المقصد لهم من ذلك
فاخبروه حينئذ عن قصة فيثاغورث الحكيم على ما بيناه كما تقدم فاخبر هو أخاه
أبا الحارث بذلك وقال اعلم يا أخى اننا هذا العام لا ندخل لان مسافة الفتح لا تفى بشئ
وانما نحن نتهيأ لتدارك العام القابل ونتزود لعام ونبقى العام كله بها لنفوز
بجميع الكتب التى داخلها دفعة واحدة *(وبالسادة)* ثم انهم اشتغلوا بتدارك
المهمات اللازمة لهما وبقيا بتلك المدينة متربصين حتى انهما صارا يكتفيان فى اليوم
الواحد بعشرة دراهم من الزيت ويشربان فى الشهر كله مرة واحدة وعرفوا ما يكفى
اليوم والليلة من وقد الزيت وادخراه عندهما كل على انفراده ومن جملة صناعتهما انهما
اتخذا أكباد الغزلان وجففاها وسحقاها وسقياها دهن اللوز وربياها تربية مشهورة
بالكتب وجففاها بالشمس وأعادا العمل حتى اذا ما استكملت أسقياها من دهن
اللوز قانونها المعروف عند أرباب الفن ثم جعلاها بنادق وكانت الواحدة اذا
تناولت كفت المتعاطى مؤنة الاكل شهرا كاملا وكذا الشرب بدون تألم حتى اذا
ما استكمل العام عدته نادى المنادى كعامه الماضى فعند ذلك أخبر أبو على بن سينا
أخاه أبا الحارث وأخذ الوازمهما ودخلاها أى المغارة التى تقدم ذكرها وانزويا بزاوية
منها فلما انقضت مدة فتحها وأشتغل كل من الناس بنفسه وهم كل أحد الى الخروج
وغلق حينئذ الباب فعند ذلك قد حاز نادهما وأوقدا السراج وتفرجا على المغارة
جميعها ولم يبق بها موضع الا رأياه فوجدا بتلك المغارة مصاطب وشاذروانات
وخلاوى وقصورا عاليات وكتبخانات مكلفات فعندما أتموا التفرج على دائرة
المغارة ورأيا ما أودع فيها من بديع صناعات الفيلسوف العارف وشاهدوا بها ما
لا يحيط به ادراك فهم الواصف فحينئذ توضئا وتهيآ واحتاطا بالدائرة وسحرا خدام
المكان الموكلين به فى ذلك الزمن ثم انهما وضعا الكتب وسط الدائرة وقد اشتغلا
بالمطالعة وكتبا أهم المسائل وكانت كتابتهما لتلك العلوم بماء البصل وذلك كان أعظم

تفكرهما أنهما اذا خرجا عند انتهاء العام حين فتح المغارة أن لا تطمع أحد فيما هو بأيديهما فاذا بخرت تلك الاوراق المكتوبة بماء البصل بأى دخان ظهرت الكتابة التى كتبت بها وكان عندهما ما يدلهما على أوقات الليل والنهار للصلاة وكانا ينامان بالدور ولم يكونا ينامان الاثنان معا ولم يقل أحدهما ما كتبه للآخر وكانا يحترزان من تضييع الوقت وقد حصلا بها من أهم فنون العلوم وبدائع غرائب أجل السر المكتوم فى سنتهما ما لا تسعه دواوين العقول ويزيد عن علم المنقول والمعقول

﴿قال الراوى﴾ ثم انهما فهما تمام السنة بواسطة الآلات التى كانت عندهما وقد أعداها لمعرفة الساعات فعند ذلك انتظرا فتح الباب فاذا فتح فزعا بالخروج عند هجوم من أراد الدخول واشتغال كل من الداخلين باهتمام المطالعة فلما ان كان اذ ذاك وقد فتح اذا باب المغارة عند استكمال ساعات أيامه وتمام أوقات عامه وهما بالخروج كما هجس لهما ذلك الخاطر وأسرع كل منهما بالخروج مبادرا فرآهما الخلق على حين غفلة عند هجومهم بالدخول وقد نظروهما فى حالة مفزعة ففزعت اذ ذاك من ان شعورهما وأظافرهما طالت وتغيرا من نومهما داخل المغارة وصارا كغولين يفزع منهما كل من رآهما متوهما لما اكتسباه من هيئة التوحش اذ قد اختلطت شعورهما ولحاهما مع نحول بدنهما ﴿قال الراوى﴾ وقد صادف وقت ذلك الزمن انه ظهر ببلاد المغرب ساحران من مفاسد أفعالهما أعجز العالم من الشر ونجت الخلائق منهما مستجيرين من مفاسد أفعالهما وعجزوا عن دفع مضرتهما فلما ان نظر الخلق الى أبى على بن سينا وشقيقه أبى الحارث بتلك الهيئة الموحشة ظنوا أنهما هما الساحران اللذان قد أعجزاهم فصاح بعضهم على بعض قائلين ان اضبطوا عليهما ودونكم لا تفلتان منكما فهما هذان الساحران اللذان قد أعجزانا وضيقا الارض علينا بما رحبت ثم انهم هجموا عليهما هجمة رجل واحد ولم يمهلوا عليهما الآن قبضوهما أسرع من وقوع الابهام بهما وقد أداروهما أشنع كتاف وأحضروهما الى سلطان بلاد المغرب بالعنف والغلبة وشديد الشنعة والقهر فلم يفرق اذ ذاك السلطان بين الحق والباطل لما انه لم يكن نقادا بصيرا اذ الوجوه النيرة بنور العبادة ليست كالمظلمة بقار الكفر وقد حكم عليهما وقت ذلك بظلام جهله بدون الوقوف على جلية حقيقة الحال ظنا بهما انهما هما الساحران وقد أمر فى الوقت بقتلهما بعد أن تهدد عليهما بأشنع التهدد وأوجعهما بغليظ الكلام ثم انه أمر باستحضار الجلادين يعنى سيافى دولته الذين هم قليلو الرحمة المسلوبو الشفقة والرأفة هذا وقد استلت عليهما صوارم الغضب من كل جانب وبان اذا من الخلق لهما كل مناد ومصاحب فوقت ذلك قد احتارا حيرة لم تسبق لغيرهما لما هجم عليهما من الجور وعدم الانصاف وزور البهتان ووثب لديهما الشجعان

وقومت فيهما أسنة النظر وبالغ في أذاهم كل كذاب أشر فهنالك دعا كل منهما ربه أني مغلوب فانتصر وقد نظر البعضهما وتغامزا هذا وقد أحدقت بهما السيوف وهما يترامزان لبعضهما بارتماق النظر وكان نظر أبي الحارث الى أخيه وأخيه اليه كعادته المتحابين اذ الهوى يتكلم فيما بين النظرين ويقضي الوطر كالمترجم للاثنين مثل قول القائل حيث قال وأجاد في ذلك المعنى هذا المقال

حواجبنا تقضي الحوائج بيننا * ونحن سكوت والهوى يتكلم

﴿ياسادة﴾ وكانت الاشارة من أبي علي بن سينا الاخيه أبي الحارث ان التعب والسهر لتحصيل ما استفدناه بمشقة اضنك هذا وقت عمله ثم انه هم وانتفض من بين أيدي الظالمين المحدقين به ووثب كوثبة الاسد الهجوم وهو يتلو بعض أسماء من أسماء الله تعالى ذات الخواص في الاختفاء وترامى بنفسه في حوض كان بقرب الملك وقد اختفى وقت ذلك عن أعينهم قال فعند ذلك اشتغل الند ... بالبحث عليه في الحوض ولم تزل دائرة الغفلة محيطة بهم ولم يكن بهم رشيد ... مرهم فبوقتها تلا أبو الحارث قسماء ما استفاده من غوامض اسرار العلوم ففك رباط يديه وطار نحو سقف دار الملك وتعلق به فصار بيده حبلا وارتفع به فعند ذلك قد علا الصريخ وغا الضجيج ونودوا أن دونكم أيها الشجعان ومن هم من ذوي القوة والتمكين لئن تفلت منكم انكم اذا لمن الخاسرين هاهوا اضبطوه ولا تفلتوه وهم في حركة وحيرة ولم يجدوا عنه صبرا ولم يفدهم ذلك شيأ سوى تقلدهم بسيوف البغي والظلم واعتقالهم برماح الجهل لا العلم وقد اختفيا عنهم وانقطع خبرهما من بين يدي الملك وقومه فتحققوا وقت ذلك انهما هما الساحران بلاشك ولا ريب واعلن بذلك الاعلان كل بعيد وقريب وانتشر جراد عسكر الملك بحثا عليهما في كل فج وسريب ولم يجنوا من ثمار الظالم الا كل قبيح مريب فهموا على البحث عليهما ولنعد الى ماحكاه أرباب التواريخ السادة الكرام المسامرون لمحافل الملوك من كل همام ﴿قال الراوي﴾ لهذا الكلام بعد الصلاة وأتم السلام على نبينا محمد البدر التمام (حكى) ان أبا علي بن سينا ظهر بقوة علم السيمياء بمصر وأما أخوه ابو الحارث فانه انتشر بعجائب علم السيميا ببغداد ولنبدا أولا بحديث أبي الحارث حين انفلت من ايدي ظالمي بلاد المغرب فرمته يد القدرة والارادة ببلدة بغداد فصار أبو الحارث وقت ذلك يتفرج بأزقتها ويمعن النظر في شوارعها مريدا الراحة نزهة لما كابده من مشقة اقامته بالمغارة لما انه كان متأنسا بالظلمة دون النور عاما كاملا ولو كان عندهما السراج لكن لا يفي ضوء السكون نور الدائرة فبعد استئناسه وتفرجه طويلا رأى انه لابد له من تسبب في أمر معاشه اذ البطالة حظها في اسمها فلبث فكره غير بعيد وأتى له بأعجوبة الافكار ورأى أن يصنع حماما

بقوة علم السيمياء فأحضر وقت ذلك عيدانا طوالا طول القامة ولفهم بأقمشة وتلا عليها عزيمة وكانت عدتها أربعين عودا فصارت فى الحال أربعين شخصا فى صفة واحدة بدون تفاوت فيما بينهم فى الهيئة والوصف ووقفوا بحضوره مكتفين الايدى مطرقين فأمرهم بوقتها أبو الحارث بأن يبنوا له حماما على أربعين عقدا فى ظرف سبعة أيام وتحت كل عقد قرنة أى حوض صغير للماء وعلى كل قرنة دلاك كالبدر التمام سلاب للعقول وجماله اذا رآه ذو لب لا يستطيع دون الوصول وان الاربعين أيضا يكونون فى بقية الخدمة كمناولة المناشف والفوط التى هى مخلقة بأنواع الطيب مغسولة بماء الورد والصابون الخلوقى المسك الملوكى الذى يتارج الريح من طيبه وهؤلاء فى غاية من الحسن والجمال ووهؤلاء الغلمان فائقون فى القد والاعتدال كأنما اهداب اعينهم استعارت المها أفياءها وتباهت بها على الظباء كما قال الشاعر

ان العيون التى فى طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يسلبن ذا اللب حتى لا حراك به * وهن أضعف خلق الله انسانا

وهم فى اداء الخدمة أسرع من الطلب فمن ثم نادت قلوب ذوى الالباب أين المهرب أين المهرب فاذا اشتد الزحام وكثر الطلب لم يدعوا حاجة الا قضوها أسرع من البرق بدون كلام *(قال الراوى)* والحاصل ان هذا الحمام صار أعجوبة فى بغداد وكثر فيه القيل والقال وغلب على سائر الحمامات التى بها ومال كل من سمع به أن يراه من صميم قلبه اشتياقا لما سمعه فصاروا يدخلونه فوجا فوجا وصار يتفرج عليه الغنى والفقير والصغير والكبير من أنثى وذكر اذ انه خارج عن طاقة البشر ومن دخله صار متحيرا باهتا وصار ينتشر خبره من كابر لكابر الى أن اتصل خبره الى الملك وقتئذ ببغداد وكان اسمه تبعا وكان من أرباب العقول الثابتة والنظر والرأى الثاقب وهو من خلفاء بنى العباس فلما ان بلغه خبر ذلك الحمام وسمع بذلك الوصف حضر اليه ليتفرج عليه ورأى حين دخله بعين بصيرته أن هذه الحركة ليست فى طاقة البشر اذ كان ما كان فى مدة قليلة من أثره الظاهر عيانا فسأل أحد خدام الحمام وتحادث معه فلم يجبه أحد منهم فتعجب وعلم ان فى ذلك حكمة وأسره فى نفسه ولم يبده لغيره حتى حضر دار سلطنته وعزم أبا الحارث الى ضيافة استعدها له ولما قدم أبو الحارث اليه بالغ فى اكرامه وسأله عن سبب الحمام وكيف يمكن ابرازه من العدم الى الوجود فى مدة سبعة أيام فأجابه أبو الحارث يا سلطان العصر انى مالك لاربعين مثل هذا الغلام وكان صحبته أحد الاربعين المتقدم ذكرهم أيها الملك وكل واحد منهم يكتسب فى اليوم الواحد سبعة أحمال من النقود وهم أيضا الذين بنوا هذا الحمام فى سبعة أيام فسأله عند ذلك الملك يا عليما بما استأثرت من الفنون ومجددا المذاهب عن

ايهام الظنون هل الاربعون اخوة حتى انهم يشابهوا بعضا وهل كلهم خرس فأجابه انهم نشؤا بالجبال لا يعرفون لغة وهم اخوة وكان قد أحضر العيدان من الجبال فأصاب محل الجواب كلامه وكلهم اخوة اذ يشابه بعضهم بعضا وقد كانت العيدان من شجرة واحدة فرأى الملك بقريحة فكره ان هذا الكلام مضمن ليس على ظاهره فقال له أيها الحكيم الخبير العليم أوقفنا على سر هذا الامر الذى قد حير ألبابنا وفرق عقولنا وشتت جامعة أفكارنا فاجابه أبو الحارث أيضا ان كل أحد منهم له أربعون صنعة وهذا الذى رأيتموه هو من ضمنها والباقى تسع وثلاثون صنعة لم تبرز فسأله الملك وأى الفنون تكون هذه الصناعات فأرناحتى نراها فاجابه أبو الحارث انه لا يصح فى مثل هذا الديوان على رؤس الاشهاد وتفضلوا بنا للختلى وكل ما طلبتموه من فن أريكموه وكان وقوف الملك على حقيقة كنه تلك الامور أشهى له من الظما ن للماء الزلال كما أجاد القائل فى ذلك المعنى حيث قال

لو قيل لى وهجير الحر متقد * والنار فى القلب والاحشاء تضطرم
أهم تريد وتهوى أن تشاهدهم * أم شربة من زلال الماء قلت هم

هذا اذا كان الجمال بدون تغن فكيف اذا اجتمع التغنى والجمال كما فى مثل هؤلاء الغلمان على حسب توهمه انهم من الانس قبل الوقوف على حقيقة الامر انهم بعلم السيمياء *ياسادة* والحاصل ان فكرته ضاعت وقام به هاجس الوقوف على هاتيك الحقائق واطلاعه على تلك المكنونات والدقائق وقد نهض قائما واختلى مع هذا الحكيم الذكى الفهيم وأبعد خدامه جميعا وبقى مع الاثنين الغلام الصانع الذى أتى مع ابى الحارث فعند ذلك قال الملك لابى الحارث أيها الحكيم امنن على بحل عقدة هذا المشكل فاجابه ابو الحارث أيها الملك اعلم ان غلمانى هؤلاء هم أرباب معارف وقوة وخفة حتى انهم يسيرون فى الارض وفى جو السماء أسرع من الماء والريح وهم أولو شدة وباس ولم يكن أسرع منهم فى قضاء أى حاجة اردتها فى مشارق الارض ومغاربها فاعما مصلحة لك كانت فأمرنى أن أقضيها لك والزم أنت السكوت فعند ذلك تعجب الملك من تفوهه بهذا المقال وزاد به توهمه من هذه المعانى والاحوال ولم يزالوا كذلك حتى تناصف الليل وهم فيما بينهم من المحادثة والمؤانسة والمودة الكبيرة *قال الراوى* وكان هذا الملك ذا بصيرة صافى القلب وعرف ان هذا الرجل لا يخلو من معارف كثيرة وحكم وعبر فعند ذلك سأل من أبى الحارث ان يريه أحدى بواقى صنائع هذا الغلام فقال له أبو الحارث أحل هذه أيها الملك اذا كان لك بالمشرق أو المغرب أى مادة فلترسله اليها فقال الملك يا أيها الحكيم ومن هو بغوامض اسرار فنون العلوم عليم دعنا من المشرق والمغرب وانما الملك سبا بنت يكل الواصفون عن وصفها ويعجز

الراسمون عن رسمها وقد عشقتها أنا بمجرد السمع وخطبتها من أبيها فلم يجبني الى ذلك فجردت عليه سيل عسكرى العرم فلم أقتدر عليه وعجزت عنه فاذا أمكن أن تحضرها فيها قال فلما وجده أبو الحارث فى تلك الحالة من وله العشق رق لحاله ونهض قائما وتوجه نحو الغلام وصار كأنه يساره والحال انه يعزم عليه بعزيمة من مختومات فنونه المتصلة له فلما تم كلامه أطرق الغلام رأسه وخرج ورجع أبو الحارث الى مكانه فلم يستقر به الجلوس بمكانه الا وقد رجع الغلام ودخل ومعه البنت وهى خلفه فتوجهت الى زاوية من زوايا البيت وقعدت متحيرة فى أمرها *(ياسادة)* فعند ذلك قال الملك أيها الحكيم ماهذه الحركة الخيالية المثال فقال له الحكيم أعنى أبا الحارث ان لهذا الغلام ثمانيا وثلاثين صنعة خلاف هذه فعند ذلك تحير الملك والتبست فكرته فى هذا الخيال اذ هو لم يدرك برهان صحة الحال ثم ان الملك أمعن النظر الى البنت فوجدها فوق ما يصف الواصفون اذ لو شاهدها انسان لم يستقر به مكان وتضيق عن وصفها صفحات أوراق الثقلان ولم يتمالك عشقها نفسه ولو أطال اليها النظر لانقطع نفسه ولم يخطر حسنها على قلب بشر ان هو الا سحر يؤثر فهى كما قلت من ضمن قصيدة

لها محاسن لو حورية نظرت * الى شمائلها لم تدر معقولا

وقد كان الملك عشق ولم يرولما ان أطال النظر اليها طار قلبه وذهل منه لبه وكان كما قيل فى ذلك المعنى

قالوا أحب حبيبا ما تأمله * فكيف حل به للسقم تأثير
فقلت قد يعمل المعنى بقوته * فى ظاهر اللفظ رفعا وهو مستور

(قال الراوى) وان الملك لما شاهد ذلك سلب قراره واشتد زفيره واشتعلت ناره فترجى الملك الحكيم أبا الحارث أن يبدى له كيفية حضورها أى بنت ملك سبا وكيف كان ذلك اى كونها حضرت فى أدنى برهة وقد حار لبه واشتد به كربه فى حل مشكل ما رآه فقال له الحكيم اسأل البنت تنبئك عن حالها فسألها فى شأن حضورها وكيف كان ذلك فأجابت درة الأوان ونادرة العصر والزمان بألفاظ أرق من هبوب الصبا أنتم من وأما أنا فبنت ملك سبا وما هذا المجلس والاختلاء فأنبئونى عن أحوالكم السعيدة وأنا أيضا أخبركم بأحوالى ولم تبد أمرها من أول وهلة لانها قد أمعنت النظر فى المحفل وخلو المجلس وتفرست فى أمر الملك فتيقنت بانه السلطان وكانت فتانة الورى وعبرة لمن يرى فعرفها الملك بنفسه وحدثها ابو الحارث بامره وعرفها بنفسه فوقع الدور عليها فنطقت بالفاظ تحاكى بلابل الرياض واعربت عما أغربت من منثور درر الفاظها الغياض فهب عليهم نفحات رضابها العسال فكان أعذب لديهم من نسمات الشمال اذا اشتد اشتياقهم لورود عذب الماء

الزلال وقالت انا ابنة ملك سبا وكنت منفردة عن أهل داري جميعا جالسة بمجلس
قد خصه لي والدي ووالدتي اذ دخل علي هذا الغلام وأحضر لي نعلي وأشار لي فصرت
متحيرة في أمري من أمر هذا الغلام وجراءته وتهجمه على مثل خلوتي فبينما أنا في
تلك الفكرة متحيرة اذا اعتراني حال في باطني ولم أطق التصبر ولم يستقر قراري
وصرت أواري أواري وقفوت أثره كانما تعلق بي كلاليب واسحب فلم أر نفسي
الا هنا ولكم الامر فأحسنوا بي في عصمتي *(قال الراوي)* فلما أتمت ابنة ملك
سبا ذلك المقال وأفصحت عن كشف غيب هذا الحال طمنوها بنفسها وان لا تهتم
باشتغال تفكر البال واعلمها الملك بالقصة هذا وقد كبر ابو الحارث في عيني
الملك قدرا ومال اليه بكليته واستحسن ماصنعه وعلم أن هذا من أثر علم السحر
والسيمياء وقد أمر بتخلية مكان من مجالسه الخاصة وان يزين بانواع التحف والذخائر
وان تحضر به آلات الملاهي والطرب وقد خصه لما أى لابنة ملك سبا فزينته
اذ هي دخلته وكملته وكانت بين الجواري كالدرة بين الغر بان اذا أحدقوا بها من
كل مكان هذا وقد سهر الملك بقية ليلته مع ابي الحارث حتى بدت غرة الصباح
واذن مؤذن الفجر وديكه صاح وقد أراه الملك صدرا رحبا وصار الملك في درجة
فرح مما لو قسم على أهل الارض لوسعهم هذا ولما ان كان عند الصباح وقد
اجتمع أهل الديوان ونصبت المحافل وعلم أرباب دولة الملك بالقصة تعجبوا غاية
العجب فأمر بوقتها الملك بان تحرر الكتب الى ملك سبا فصدروها بالاشتياق والمحبة
ثم بالترجي والتعظيم وعرفه عن المقصد وأرسل اليه التحف المتنوعة صحبة رسول من
طرفه فصار يقطع الفيافي والقفار ليلا ونهار وغدوة وابتكار وهو في هذه الحالة
ولنعدل نحن الى قصة ملك سبا *(قال الراوي)* وان ملك سبا لما أصابه ما قد أصابه
من هم ابنته وكيف فقدت من بين يديه وجواريه مع تحصن خلوتها وتمنع حجرتها فصار
في أشد الحيرة لما ان الاقفال مغلقة كما كانت لم تتغير معالمها فاندهش ملك سبا من ذلك
الامر وضاق منه رحيب الصدر وأخذ في اهتمام التفكر مدة ثم انه لم يلبث دون أن
أحضر علماء عصره وحكماء مصره وأعلمهم بمادة هذه القضية تفصيلا وأطلعهم
على مشكل الواقعة حرفيا تكميلا فحينئذ منهم من قال انها مادة جن ومنهم من قال
انها مادة سحر ثم ان منهم من دار ينظر في الاسطرلاب ومنهم من يقرأ في كتاب فبحثوا
بقوة العلم على الكيفية وتجسسوا خلال الديار ومراكز الارض من طول وعرض
وطاروا باستدلالات علومهم الى نحو الاوج والحضيض وعرفوا الكيفية جميعا فاخبروا
الملك بان أحد الحكماء الماهرين قد استجلبها بقوة علم السيمياء الى جهة بغداد وسكنوا
بعد اذ ذاك عن المقال حين اطلعوا الملك على هذا السؤال فانغص الملك وقت

ذالك من سماع ذلك الخبر وأمر باحضار الجيوش وتوجههم الى ملك بغداد وان يخلصوا منه ابنته باى كيفية تكون ويخربوا ملك ملك بغداد قال فلما صدر أمر الملك بذلك المقال وألح على مقدمي جيوشه بذلك السؤال لم يرتض بذلك وزراؤه وقالوا له أيها الملك ان سلطان بغداد ملك عظيم لاسيما وهو خليفة البلاد الاسلامية وقد كان طلب منك هذه البنت مرارا فلم ترتض أنت بذلك فاحترق كبده بنار المحبة والعشق وحضر الينا بعسكر عظيم فلم يقدر على مقاومتنا وها هو الآن نال معشوقته بعد مدة طويلة وهو متحصن برداء التصبر الى أن نال مارام من المنال وقد صار مالكا لفيلسوف حكيم أصفى المشرب فهذا من المستحيل فلو كان جن سليمان لا يمكنهم تخليص البنت من يده فعليك بالصبر فلما سمع الملك مقال وزرائه أنشد لسان حاله يقول هذا البيت متسليا به

ساصبر حتى يعلم الصبر أنني ✱ صبرت على شئ أمر من الصبر

✱قال الراوى✱ ثم ان وزراءه قالوا له اعلم أيها الملك ان ملك بغداد رجل عاقل ذو معارف ومقتدر ذو تأن ولطائف سلطان صاحب شهامة وهيبة ووقار لا يرتضي لنفسه العار ويحتمل انه اما ان يردها أو يخطبها منك فاذا همت همته العالية الى هذا الامر فلا تراجعه بل أجبه الى ذلك فتكون اذا عند ذلك الوقت قد صاهرت من لو مال على جبل لهدمه ولا تنفر أيها الملك الى عدم مقاومته ايانا حالة هجومه علينا بعسكره فانه قد دهمته مصيبة العشق واذهلت عقله وقد كان لحق عسكره تعب الطريق ونصبه فلو تمهل حتى يطمئن عسكره لاذهبوا معالم الارض من تحت أرجلنا فضلا عن تملك بلادنا ومع هذا فلم نقدر عليه وهو فى حالة مغلوبة فى بلادنا ودا خل ملكنا وفرت عسكره من بين أيدينا ونحن محدقون به وقد فرنا حيامن بيننا كما يفر البازى من بين صفوف الكراكى مع صغر بدنه ولم يتجاسر أحدنا عليه والحاصل ليس له نهاية ✱قال الراوى✱ فلما ان سمع ملك سبا مقالة وزرائه استحسن مقالتهم وقد غاصت فكرته فى بحر التحير وأطرق مليا ونظر فى مرآة تخيلاته فلم يجد لغير الصلح موضعا كيف كان ذلك لعزه هذا وقد مرت عليه أيام مع مقاساة الهموم وتجرعه كاساتها وتصبره على مرارة فراقه من ابنته فبينما هو على تلك الحالة رافعا أعلام عقبانه مشرعا أجنحة غربانه سابحا فى ذلك البحر الزاخر آخذا فى اهتمام التفاكر اذ لاحت له أعلام البشائر المرسلة اليه من قبل ملك بغداد على بعد فظن ان المقبل عليه قافلة تجار فامر باستكشاف أمرها فاذا هو رسول خليفة بغداد اليه فبشر بذلك فانسر وفرح فرحا حلى صدا قلبه وأمر باستقباله ودقت طبول البشائر بقلوب الخلائق ثم ان الملك عين محلا لنزول رسول ملك بغداد وزينوه بانواع الزينة وتلقاه بصدر رحب وقد أمسى بمن معه فى عز واكرام فلما لاح باكر الصباح ونادى مؤذنه حى على الفلاح

وذكرت قامة سيد الملاح صفوة الملك الفتاح جمع ملك سبا أرباب دولته وقرب اليه خواصه وأعرض عليهم الرسول فتلقوه بأنواع البشاشة فقام حينئذ رسول ملك بغداد ونهض قائما ووقف بحضور الملك أى ملك سبا وأدى اليه لوازم أنواع التشريفات وأبرز اليه كتاب سيده وسلمه الى حضرته فشخصت عنده أعين الناظرين وانقطع الحس لديه وأعرض عليه التحف المرسوله اليه ووقف متأدبا بين يديه فامره بالجلوس وأمر الملك بعد بفض ختم الكتاب وأعطاه الى الوزراء فقرئ اعلانا وفهم مضمونه وكان قد صدر بحمد الله تعالى وأثنى بث الاشواق ووافر التحيات ثم انه ذكره ماوقع وجرى بينهما من المشاجرات والمعركة المدهشة أبصار الملائكة لعظيم واقعتها بسبب ابنته وذكر له أنه امتلك حكيما فيلسوفا قادرا على مادون أفعال القدرة وأنه بنى ببغداد فى مدة سبعة أيام حماما لى أربعين قبة ووصفه له على ماقدم وصفه وانه مالك لاربعين مملوكا بيد كل منهم أربعون صنعة لاتشابه الواحدة الاخرى وأدنى مافى هذه الصنائع أن أحدهم جلب ابنتك من مدينة سبا الى بغداد فى طرفة عين وأن هذا الحكيم أفلاطون زمانه وارسطاطاليس أوانه وأنه يقتدر على اختطاف قوة لقمان من فمه دون ايلام وأنه هو الآن وزيرى ودرج له بعض نكاته الغريبة ودعاه الى بغداد ليتشرف برؤيته ويتمتع بنظر ابنته وينظر عجائب مصنوعات ذلك الحمام البالغ الى الجو ارتفاعه وماذا يصير اذا حضر ورأى مالايرى غيره وأن الدنيا دار زوال وقد وقعت الفرصة فى زماننا بمالم يره الاقدمون الآفرادهم وبمالم يره المتأخرون كما قال الشاعر

عجائبنا تبدو الى من يؤمها ❊ بناظره أى الجهات تأرجا
فيبدو له مالم يجده وانه ❊ يسر بها اذ انه يتفرجا

فاذا تشرفنا برؤيتكم وأمضينا برهة من عمرنا بمشاهدتكم مع الاطلاع على تلك العجائب فاذا نستكمل السرور ونبلغ الى غاية القصد وغاية أملنا التقرب اليكم وأداء بعض خدمتكم واختتم كلامه بذلك ❊(قال الراوى)❊ فلما قرؤا ذلك المرسوم واعلان ذلك المكتوم واستمع له ذووا الالباب ومن هم سادوا عوالم الفهوم أعنى وزراء ملك سبا فاستصوب عقلاء دولته توجهه الى جهة بغداد وقد مالوا جميعا الى مشاهدة ذلك الحمام لما وصف به من بدائع العجائب وماسطر فى نعته من فريد الغرائب هذا وملك سبا قد استرضى بمصالحته مع ملك بغداد فعند ذلك ابتدر أولا بمايلزم من تجهيز الرسول وأرسله سريعا وبعدها صاروا يتذاكرون فى أمور سفرهم الى مدينة بغداد وقد استحضر ملك سبا جما غفيرا من العساكر بقدر

مايحتاج الى سفره ومقابلة صهره مما ينوف عن خمسة آلاف نفر غير اتباعهم ومعه من أنواع التحف مايكل الوصف عنه وقصد سمت بغداد في ساعة مباركة وقد كان ملك بغداد منتظرا ورود رسوله الى ملك سبا وما يقبل اليه فبينما هو كذلك واذا به قد أذاعه الزمان اليه وقد حضر لديه وحكى له القصة كما هي واقعة وأن الملك بنفسه يريد القدوم الى بغداد ففي الحين أرسل ملك بغداد الى الطرق أناسا كثيرين ينتظرون أخبار ورود ملك سبا فبعد مضي برهة من الزمان أخبر ملك بغداد بورود ملك سبا ففرح بذلك فرحا شديدا وصار يتحادث مع أبي الحارث في كيفية استقباله فرأيا أن يبتدئ الملك بنظر ابنته ثم تعرض عليه أرباب الدواوين والدولة فوجا فوجا طائفة بعد أخرى مزينين بأفخر الملابس متوشحين بنقاب الآداب والتعظيم وقد تأتي الدنيا بحذافيرها الى من لا يرتضيها وترفض الراغب اليها ﴿قال الراوي﴾ والحاصل أن ملك سبا حين وروده بادر الى نظر ابنته فصارا تارة يتباكيان من شدة الفرح وتارة يتضاحكان كما قال القائل

هجم السرور علي حتى انه ❊ من فرط ماقد سرني أبكاني

وقد شكرت ابنته له ملك بغداد شكرا فوق الطاقة وكان كذلك كيف لا وقد امتلكت صميم فؤاده وصار تحت قيد أسرها وهدم حبها أركانه المشيدة فهذه الحالة تقتضي اكرامها فوق الاكرام ثم استقبلت ملك سبا العساكر أيضا فوجا فوجا فوقع ذلك لديه موقعا ورأى مالا يدخل تحت حصر عقله قال وكان محل ابنة ملك سبا خارجا عن المدينة فساروا جميعا حتى دخلوا بغداد هذا وقد نظر ملك سبا وأمعن النظر الى أبي الحارث فوجده ذا بأس شديد وفهم حديد ورأى فيلسوفا يكل الواصف لديه حسا ومعنى ذا تؤدة في تكلمه حكيما في المعاني هذا ولم يكن ملك سبا أيضا قبل ذلك واقفا على حقيقة ملك بغداد وقوة شوكته وبأسه فعلم حين ذلك أن كلام وزرائه وأهل دولته له حين ما كانوا بمدينة سبا لما أراد أن يجرد على ملك بغداد في محله وأنه أقوى منه ولولا قوته لم يفلت من بين أيديهم فوجد ذلك حقا ورآه عين اليقين فأصفى له قلبه وقد استوثق بحبال محبته فدخلوا بغداد وقد برز الناس كبيرا وصغيرا ذكرا وأنثى يتفرجون على زينة الموكب الذي لم ير لمثل فلما ان وصلوا دار المملكة وقد استقر وامكان الراحة أنزلوا حضرة ملك سبا في أشرف أماكن بغداد وأعلاها محلا وأجروا له رسوم التعزيز والاكرام هذا وقد اعتزل أبو الحارث عنهم ثم بعد استراحة ملك سبا رجع اليهم أبو الحارث وقد هيأ للملك سبا ضيافة ضاقت عنها صفحات الارض وخرج وصفها عن دائرة العقل ومكث ملك سبا على هذه الحالة معززا مكرما أربعين يوما وكانت هذه الضيافة بدار أبي الحارث للملك وعسكره

ثم بعدها توجهوا الى دار السلطنة العظمى قبض كل من الملكين يد صاحبه ودخلوها وهما يتحادثان فى أمر محامد الله تعالى وأنواع شكره فلما ان دخلوا مكان الجلوس أمر ملك بغداد ملك سبا أن يجلس على تخت الملك فامتنع وهناه فلم يرض الجلوس الا معه وجلسا معا على سرير المملكة قال فأحضرت أنواع الاطعمة الفاخرة وبعدها رغب ملك سبا فى أن يتفرج على الحمام الذى بناه أبو الحارث بقوة علم السيمياء فأجاب أبو الحارث الى ذلك وترجى الملكين فى أن تكون ضيافة الحمام عليه فشكراه لذلك وقد استصوبا رأيه فأطرق اذا رأسه وخرج واشتغل فى تدارك اللوازم فأراهما بقعة شبيهة بالجنان مزينة بأنواع الزهور من السنبل والقرنفل وأنواع الرياحين وقد اعتنق بعض الاشجار بعضا وهى مزينة بالزهور ومال السرور الى العرعر كأنهما يتحادثان على ضمائر أسرار الكون وغردت الاطيار بها من هزار وقمرى ودقت الدفوف وعلت أصوات النايات من كل جانب وكذا آلات الاوتار فطار لب ذوى الالباب عند ذلك وطار وغنت بلابل الايك من حسان الوجوه وسمع الناس من الالحان مالم يسمعه أحد قبل ذلك فظنوا أنهم فى الجنة أو أن ذلك من أضغاث الاحلام ونسى كل قرين قرينه وتاه عنه ولم يعلم أين هو وذهلت العقول وكان ترابها العنبر أو المسك الاذفر وقد هيأ أبو الحارث أيضا مجلس الشراب وأحضر به من أنواع المشروبات ما تكاد بها العظام الرميمة تبعث وكانت المشروبات غير مسكرة بل منعشة للبدن وزين أيضا الحمام بزينة أكثر من هذه فأدخلهم الحمام فرأوا ارتفاع العقود وهى كأمثال قوس قزح وطاقاته كأمثال الافلاك والاروقة كأنها من بناء شداد بن عاد ومساطب بغدادية *(قال الراوى)* والحاصل أنهم تجردوا جميعا عن الملبوس ودخلوا الحمام فنظر ملك سبا الى الحمام فوجده معقودا على أربعين ايوانا وبكل ايوان قرنة وعلى كل قرنة صبى من أجمل الناس كأن صدره المرمر وسرته فستقية وساقاه مرمومان كأعمدة البلور وأكتاف كسحيق السكر وأرداف ككثيب الرمل وجبين كأنه الهلال ووجه كالبدر وكأن قسى حواجبه قومت نبالها لتصيد الناظر اليها وأهداب استعارت معانيها المهاو سوالف كأنها بيض الهند وورد خديه يمنع الوارد الورود متأزرا بفوطة مذهبة الاطراف من الحرير الملون المرسوم فيه أنواع الرقوش والنقوش وأرض الحمام من أنواع الحجارة الثمينة فسألهم الملك أعنى المماليك هل أنتم مماليك أبى الحارث مشتراة ماله أم خدمة فلم يجبه أحد منهم فألح عليهم فلم يفيدوه شيأ فعلم حين ذلك أن هذا من جملة أشغال الحكيم الفيلسوف أعنى أبا الحارث فاغتسل وتفرج على أكناف الحمام بأجمعها وتعجب غاية العجب وخرج بعد ان أثنى على أبى الحارث وعلم أن الله سبحانه وتعالى مننا

لاتخفى (ياسادة) ثم بعد اغتسالهم وانتهاء الفرجة على ذلك الحمام وماشاهدوا من غرائب صنعه باكمل اتمام دعاهم أبوالحارث الى الحديقة التي مرذكرها هم واتباعهم فكانوا نحو العشرين ألف نفر فعزمهم فيها ثلاثة أيام وأنعم عليهم انعامات خارجة عن درجة التعبير وفي ثاني يوم من أيام العزومة نهض أبوالحارث قائما على قدميه وترجى وزراء وحكماء ملك سبا في أن يكونوا واسطة بينه وبين ملكهم على أن يترجوه في تزويج ابنته المكرمة المحترمة المصونة المكنونة ذات العصمة والبهاء الى حضرة وسعادة صاحب الدولة الفخيمة والنعم الوافرة العظيمة سلطان زمانه وفريد عصره وأوانه حضرة ملك بغداد على السنة المطهرة المحمدية فأجاب ملك سبا الى ذلك حين عرضت عليه تلك المادة واسترضى في الحال بحضور من يعقد النكاح واستشهد الطرفين وعقد النكاح فتجددت الوليمة السلطانية ثانيا وبقيت أربعين ليلة كاعياد العادة ودخل الملك على زوجته أى ملك بغداد على ابنة ملك سبا ثم بعد ذلك أى بعد انتهاء مادة الزواج تصافى الملكان مع بعضهما برهة زمن وقام ملك بغداد فأرسل ملك سبا الى مملكته بأنواع التعظيم والتكريم مع بذل التحف والذخائر له وبقى كل مشغول بما يلزمه وأبوالحارث أقام وزيرا مدبرا لمملكة بغداد وهذا آخر ما انتهى الينا من حديث قصة أبي الحارث ﴿قال الراوى﴾ ياسادة يا كرام صلوا على نبينا خير الانام ومن هو أجل من اصطفاه الملك العلام وحيثما آن حل القصد في هذا الكتاب قصة أبي على بن سينا وماتقدم فهو على سبيل المقدمة فهاك نظم سلوكها شعر

يامن تعاطى بالسير ✱ أدرك محلا للسمر
هاقد أذاع زماننا ✱ مالم يكن قبل اشتهر
من قصة ابن سينا من ✱ أحيا لما كان اندثر
بالسيميا سادت معا ✱ لمه وزال به الكدر
أين الفلاسف منه اذ ✱ قطف المعاني واستكر
هاك اجتني متفطنا ✱ ماينتثر من ذى الدرر
وانظم لآليك التى ✱ تجنى بها أحلى الثمر
ياراقدا قم واستمع ✱ نظم اللآلي في السير
فاذا وعيت لما أقو ✱ ل من الدرر كن مذخر
وأملأ مسامع سيد ✱ عند التأرق في السهر
وصلاة ربي دائما ✱ في كل آن تستمر
تتلى على الهادى الذى ✱ من أجله شق القمر

(قال الراوى) ان أبا على بن سيناء عليه الرحمة وتدورك بالرضوان لما أن تخلص ونجا من أيدى ظالمى بلاد المغرب الذين قبضوا عليه وعلى أخيه أبى الحارث فبعد تخلصه كما وقع سابقا فيما تقدم من الكلام أى حين وثب وارتمى فى الحوض كما قد شرحنا طلع الى مصر من النيل والتزم زاوية الراحة أياما عديدة واستنشق طيب الهوى اذ كان هذا ألذ ما هوى ثم أنهضته يد الاقدار وساقته الى التفرج بأزقة مصر ليوسع ضيق صدره فوصل الى مكان ذى أربع مفارق فوقف متفرجا على مارى الطريق وقد أمعن نظره واذا بصبى يخطف بجماله الالباب ويستعير هاروت من سحر عينيه ابتكار المعانى ويستسقى الغمام من ندى خديه ماء الحياة وكأن الجمال قال له كن فكان وقد شخصت له أبصار المحدقين وكأن لسان حال كل من المبصرين يقول

يامن يرى سحر القلوب تجارة * هاقلبى المضنى اليك يميل
فاذا قبلت فخذ بقلبى انه * اذ كنت فيه انه لقليل

(ياسادة) وكان ذلك الصبى يبيع نوعا من الحلاوة ويرد اليه الناس من كل فج عميق ولم يجد فرصة فى جمع الدراهم وهى ترمى اليه كنثر الزهور على العروس المزفوف وهو تارة يزن وأخرى يناول ومن كثرة حركاته تكلل خده عرقا وقد احمر وجهه فهو كالورد الجورى وكان الناس يتفاخرون فى حلاوة جماله لا فى حلاوة صناعته فأطال هذا الحكيم اليه النظر وكان نقادا لم يأت الزمان بمثله ولم يسمح الدهر بنادر شكله كما قال الشاعر

ياذا الذى لم تكد عينى تنظره * من نور طلعته والقلب مأسور
امنن باطلاق أسرى اننى دنف * فان عتقت فأنت اليوم مأجور

(يا سادة) وكان هذا الصبى رث الملابس لما أن صناعته تقتضى ذلك لان أكثر أنواع الحلويات لا يكون الا بمعالجة بعض الادهان فوقعت محبة الحلوانى بقلب ابن سينا موقعا وصيد بشبكة جماله وأقعدته يد القدرة عن المرور لولا أن تدارك نفسه بحزم الامور ونوى أن يعلم ذلك الصبى أنواع الحلويات ليخلصه من محنة الاحتياج وما ذلك الا لتمكنه من محبته كما قيل شعرا

أمن الحلاوة تبتغى لك مغنما * وبك الحلاوة معدنا موصوفا
هاك التى ملكت يداى وجدتها * يحيى فؤادى وابتغى معروفا

ثم انه نحا نحو الصبى ووقف أمامه وكان يمعن النظر فى حركات هذا الجميل وشمائله التى تكاد أن تماثل الحور العين وكأنه أحد غلمان الجنة فلت من رضوانها فوقع فى محنة التاديب ليعتبر بمطالعة آيات حسنه كل لبيب وصار يتصل نظره به ويبتهج

بطلعة نور وجهه ولم يكد أن يفارقه أبدا فهو كأسد صاده غزال نفور كما قال الشاعر رحمه الله تعالى

ومن عجب ان الظباء رأيتها ❋ تصاد بهن الاسد وهي كواسر

فكانت التفاتة من الحلوانى فرآه بجلده وصخر لا يتحرك أو كصورة مصورة بالحائط أمامه فتعجب غاية العجب وأخذ تيار الفكرة فى أمره وقال واعجباه لهذا الدرويش وإمعانه النظر منى وما يكون مراده من ذلك فهل هو عاشق لجمالى أو جائع يريد احسانى وأراد التفحص عن حاله والوقوف على حقيقته فأعطاه جانبا من الحلاوة فذاقها ابن سينا وتفلها فى الحال الى الارض وما كانت هذه الحلاوة بشئ غير كونها من السكر أو العسل ولم تكن أيضا من يد ماهر الصناع وقد كان اتخذ هذا الجميل المحرك لاوتار القلوب وطبولها صناعة من والدته وكان جيرانه من التجار والبياعين قد اكثروا ما حواليه من الحوانيت لاجل مشاهدة جماله لا لمجرد التسبب لما أنه امتلك قيد أسرهم ومار والطريق لم يشتروا حلاوته للذتها بل لمجرد رؤياه وكان المار اذا رآه تحير وتعطل عن أسبابه وتقيد بيد القدرة وقد ازدحموا عليه لمشاهدته فلما ان عاينوا تخصيص هذا المحبوب أبا على بن سينا بالحلاوة حسدوه جميعا وتعجبوا التفله اياها واستغربوا وصاروا يكدرونه فمن قائل أيها الحمار اذا أعطينا من هذا الفريد فى جماله الموقع قلوب الخلق فى شبكته وحباله سمًّا قاتلا لكان عندنا بمنزلة الشهد ذى الشفاء ونحمد الله تعالى على رضاه ولو بالموت وفقدنا أنفسنا الرضاه أحب الينا من المعيشة مع غضبه ولا غضابه أشأم الينا من ايقاعنا فى أعظم الحزن ولنا مدة ونحن بمقابلته نلتمس رضاه باهتين شاخصين اليه متولهين بجماله نسلى قلبنا بمجرد رؤيته ومع هذا لم تنل درجة الاحسان منه وأنت امتلكت دولة اقباله عليك ومالت كليات شمائله لديك وأحسن اليك قلبه وحق الذى لو مال نحونا لشفى منا مكابدة الشوق والعنا فلم يلتفت ابن سينا لمقالهم ولم يعتن بسؤالهم وأطال النظر لذلك الغلام وهو واقف لا يتحرك عن مكانه وأخذ تيار وهم التفكر فى نادرة هذه المادة وماذا يصير اذ هو تقيد بقيد أسر ذلك الجمال وصيد بشبكة ذلك البديع الدلال ولم يزل واقفا تجاه ذلك المحبوب وقد تداركته أوهام تكدر القلوب مهتما بنفسه ماذا يصنع اذ هو تولع بذلك الجميل ومال قلبه فى محبته وهواه وصار متمتعا بالنظر من حسنه ومعناه متسليا ذلك الحين بمطالعة رؤياه هذا والغلام اذ ذاك مشغول بما أهمه من تكرار التفاته ثانيا لابن سينا لما انه كثر عليه ازدحام الخلق فمن نوع مشترى وآخر مفترى لاجل مشاهدة جماله وانثنائه فى تيه عجبه ودلاله ولم يزل ذلك الغلام مشتغلا بحركاته وهو تارة يزن وأخرى يناول الى أن آن

رحيل نور النهار ودخل الليل وانسدل على الكون نقاب الاعتكار فحينئذ انقطع الطلب عن ذلك الجميل المحرك لقلوب العاشقين واستفاق فى ذلك الوقت من كرب الازدحام عليه ثم أمعن بنظره واذا بابن سينا واقف تجاه وجهه باهتا فى جمال رؤيته وهو لم يتحرك عن موضعه حيث وقف فلما رأى الغلام حدة نظره اليه وهو لم يعتن بشئ يكون الا استطالة النظر لديه ناداه حين ذلك الوقت الغلام وكان الطريق ذلك الوقت خاليا من المارين الا القليل ولم يكن الورود متواترا أيها الدرويش ما بالك قد أطلت هذا الوقوف ولم تتحرك عن هذا المكان لا آخرتنى لك ما آربا أو ما تكون أنت له طالبا فأجابه وقت ذلك ابن سينا أيها الغلام ومن هو استملاك من قلوب العاشقين كل زمام الفائق بجماله على ذوى الجمال المستمد من نور لمعة جبينه طلعة الهلال انى رجل متغرب عن موطنى مفارق لديارى ناء عن الاطلال سائح فى الدمن مقتبس لفنون عجائب سوالف الزمن مكتسب لخبايات أنواع الحكم من كل فن وقد رمتنى يد الاقدار بهذه الديار وأنا لست مستأنسا بها بجليس وجار وقد مررت أيها البديع الفائق ومن استمال قلب كل موله عاشق فرأيت ما رأيت اذ لم أدر حين أسرت بقيادك واستغرقت فى بحر هواك مستأنسا من استيحاشى باطالة نظر جمالك فأجابه الغلام أيها الغريب الجانى ومن هو مطنب بوصف المعانى فما القصد بعد ذلك وما المرام أيها الدرويش الربانى والكامل النورانى والمكمل الصمدانى فأجابه ابن سينا انما القصد مجرد المشاهدة والمؤانسة على الصفاء وترك أسباب الاعراض والجفاء ومعاهدتنا على اتباع الوفاء وسوف تبلغ منى أوفى منال اذ أنت قد استملكت قيد أسرى بتيه عجبك والدلال فأجابه الغلام بسرعة مقاله مقبلا عليه بتيه حسنه وجماله مائلا عليه بأغصان قده ودلاله أيها الكامل بالمعارف قولك أبلغ وأوفى منال واستفيد منك سوابغ الآمال فما القصد والدليل على ذلك وما استيقاع ما تبلك المسالك امنن لى بفكاكى من أسرها تيك المهالك فأجابه ابن سينا بوقتها أيها البديع ونادرة الدهر ألست ترتضى استنقاذك من مشين ذل الفقر بجلب ما يغنيك عن تذللك لزيد وعمرو وسوف أمدك صناعة تغتنى بها أبد الدهر اذا أنت وافيت لى بودادك والصفاء وتخليت عن اعراضك عنى والجفاء وصرت لى معاهدا باستدامة الوفاء فناداه الغلام مجيبا لمقاله وقد استمال لاجابة سؤاله ادن منى أيها الوالد فما زلت لك من الآن وصاعد خادما لاديم نعالك مستمعا لمعانى أوامرك وأحكامك عسى منك أستفيد وأنال وأبلغ منك درجة الكمال ولكن فما المعنى لمقالك استنقاذى من ذل الفقر وما القصد بعد ذلك وما مرامك فقال له ابن سينا وكان

وقت ذلك دخل الدكان حين ناداه الغلام وصار معه جليسا ونال منه كل معنى نفيسا
اذ هو لديه أشهى أنيسا أيها السالك لإسعادي ومن استملك أسر فؤادي أريد أن
أعلمك صناعة أخرى غير صناعتك هذه أي الحلاوة فانها دائما تزري ولم يزل بائعها
وصانعها رث الملابس مستوخما بتراكم الدنانس كيف لا وهي لا تصح الا بمخالطة
الادهان ومعالجتها أوقاتا بصهد النيران وغير ذلك فأنا أريد أن أفيدك صناعة
أخرى أليق لبهي جمالك وهي ألطف وأظرف اشمائل تيه عجبك ودلالك وكان
قصد ابن سينا أن يستنقذه من مهمات الكرب ويبلغه مسالك أغنى طلب
ويعلمه صناعة من بعض مكتسباته العلمية مثل استخراج المعادن أو الكيمياء فقال له
الغلام وكان اسمه عليا الحلوجي أيها الدرويش أتظن انني أبتغي صناعة في أمر معاشي
خلاف صنعة والدي حاشاي أدعي خلاف ذلك أو أسلك غيرها تلك المسالك فألح
عليه ابن سينا بتكرار سؤاله فلم يقبل شيأ من مقاله فلما علم ابن سينا عدم اجابته لما له
رغب عزم الآخر على رجوعه عن ذلك السبب وقال له حيث انك لم ترتض بما
رغبت أنالك فيه اذا انك ما اطلعت على خافي سر معانيه ولو اطلعت على مكتوم
سره لاجتنيت فيه ولكن حيث ان قصدك ان لا تبتغي خلاف صناعة والدك فلا
بأس بذلك وقد نظر ابن سينا في الدكان واذا به عشرون صينية والبعض بها أثر النخالة
وبالبعض أثر الذفر وبعض قرازات فصار يطيل ابن سينا نظره لتلك الصواني والغلام
على الحلوجي يسخر منه فقال له ابن سينا ان مقصدي كان خلاصك من هم الفقر من
وجه غير وجه الحلاوة وأنت لست من أهل تلك الدولة وقد شاهدت منك العقل
قبلها ولكن استخففت عقلك بعدها حيث انك لم ترض الا بالحلاوة فلا بأس بها ثم
انه أدخل رأسه في جيبه وتلا ما يلزم من أسماء الخواص والعزائم فصارت النخالة
التي بالصواني أنواع حلويات لم تخطر على قلب بشر كل صينية نوع بمفردها وقال لعلي اذا
طلع النهار فبعها ولا تؤاخذ غير نفسك اذ كان مرامي تعليمك ما يسعدك بدون كلفة
مشقة سعادة أبدية فأنت لم تمل الا لصناعة أبيك فاحتد الصبي حدة أوقعته في المهالك
ولم يلتفت الى الصواني وكشفها وقال له يا حمار هل تتلاعب على ولد صغير بكلامك
ومداهنتك فهل تصير الحلاوة بقول كن فقد علمت الآن غرضك الفاسد وقد
أتعبتني وأقلقتني زمنا وهم الى نبوت كان بالدكان ليضربه به فنهض ابن سينا بوقتها
واقفا على قدميه وتعلق بسواعد علي ونفضه خارج الباب فدار على ثلاث دورات
وخرج من الباب ووقع بالسوق مغشيا عليه وبقي على تلك الحالة برهة ثم أفاق فلم يجد
نفسه الا في صحراء واسعة فضلا عن ان يرى الدكان ولم يجد لمصر أثرا فتأوه وتنفس
الصعداء ولم يدر ببليته الا بعد الوقوع بأنيابها فتحير ولم يدر اين المذهب ثم انه اتجه

الى

الى جهة وسار بها قليلا واذا بضالة فقصدها ولم يزل يطلبها حتى وصلها فلحقه عسباكر المتاعب وأقعدته وهجم عليه أنفار الغياهب وا ازوة السنة الجائية فلبث فى كهف المنام غير بعيد واذا بصهيل خيل الصباح أقبلت عليه بأمر عتيد ففزع من منامه مرعوبا واذا قد أحدق به جماعة فأداروه كتافا مغصوبا وألحقوه بجماعة كانوا معهم مغلولى الايدى وكان يلتفت تارة الى هذا وتارة الى ذاك يستنجدهم ويتلطف بهم ويترجاهم فى تخلية سبيله وقد تفتت كبده من شدة الخوف فسألهم ماذنبى وأين أنتم متوجهون بى وكان فى غاية الترفه فسحبوه عنفا ووكزوه بالرماح فى جنبيه اللذين كأنهما وسائد قز قد ملئن حريرا فدمعت عيناه من شدة مارآه وبعد مشيه قليلا واذا برجليه قد تنفطتا ولم يقدر على المشى ولا وطئه الارض ولم يزل معهم سائرا حتى دخلوا مدينة وباتوا بها فسألهم على الحلوجى عن اسم المدينة فعرفوه أنها بغداد وأن ملكها سلطان كافة البلاد وقد كان أرسلنا الى جهة فلسطين فغزونا بها ورجعنا سالمين ومعنا هؤلاء الاسارى ثم انه لما ان لاح بارق الصبح أعرضوا السبى على ملك بغداد فعين الاسرى الى محل مختص بهم وقرب منه عليا وخصه لخدمته فالتزمها متكرها وهو مشغول ولسان حاله من ألم الفراق يقول

يادهر مهلا كم تجور وتعتدى ❊ وتنغص العيش الهنى الارغد
عاهدت انك لاتخون مودتى ❊ ولكم بأحبابى تروح وتغتدى
ما آن ان ترثى لطول تشتتى ❊ وتوحدى وكآبتى وتعتدى
أرجو وآمل أن تحن ولاتخن ❊ وترق يامن قلبه كالجلمدى
وأسأت بى حقا بما أشمت بى الـ ❊ ـمحتال والمرتاد والمتمردى
حتى الجحود لما رآه ورق لى ❊ كل العداة بما صنعت من الردى

❊قال الراوى❊ ففى بعض ليلة صار على الحلوجى يتفكر فيما حل به من مصابه وانه تغرب عن مصر الى بغداد فى جزء من ليلة وقال ما أعلم هذا الحكيم الفيلسوف وما أغزر علومه وانما أبدلت ماء حياتى بسراب التخيل ولم يبد أمره أبدا الا لاحد من أقرانه فى الخدامة ففى بعض يوم قصد ملك بغداد دخوله مع مماليكه فدخل معهم وهم حواليه كالبلابل وهو تارة يمزح مع هذا ويتضاحك مع ذاك وصار على الحلوجى متحيرا فى أمر الحمام وسأل أحد المماليك عن كيفيته اذ أنه فوق ماتحمله طاقة البشر فأخبره الغلام بقصته وقصة زوجة الملك ابن ملك سبا فتحير على برهة مطرقا برأسه ثم قال ان هذا الحمام مثل قصتى فقال له الغلام وما قصتك فحكى له على الحلوجى قصته وموقع مجراها فبوقتها توجه الغلام الى ملك بغداد وأخبره أن فلانا يزعم انه حضر من مصر فى بعض ليلة الى بغداد وقص عليه الخبر فدعا الملك عليا واستعلم منه فأخبره

بصحة الخبر كما وقع فاستحضر أبا الحارث وأعلمه بكنه قصة على فأخبره أن هذا اما بقوة السحر أو السيمياء أو بتوجه أحد الاولياء فقال الملك لابي الحارث وهل بين السيمياء والسحر فرق فقال له ان السحر علم يكتسب بالسفالة والسيمياء انما هي بالرياضات والطهارة ويتصرف السحر في المناحس والسيمياء في أفعال الخير فتعجب الملك من الامرين ثم قال أبو الحارث للملك اذا أمرتني أن أرجعه الى منزله فهو أمر سهل فقال له اسأل الغلام فاذا رغب فيها فسأله وكان هذا مما يتمناه على فأجاب الى ذلك فصبر الى هجوم ظلمة الليل اذا انسدلت ستائرها وقال لعلى أقبل الى فدنا منه فوضع قدمه على على قدمه وقال له غمض عينيك فغمض ثم قال له فتح عينيك ففتحهما فاذا هو على باب داره ﴿قال الراوى﴾ وكان ابن سينا حين ما وجد عليا خارج الدكان عزم على قطعة خشبة فصارت على صفة على الحلوجي وأرسله الى داره بعلم السيمياء فاتفق انه كان يقضي مصالحه بالدكان ومصالح أمه في البيت ويسار من كان يساره على ويبغض من كان يبغضه ففي ذات يوم مرض ولزم فراشه ولم تزل والدته تجلب له الحكماء والاطباء فلم يفده ذلك شيأ ففي المدة التي آن أن يحضر على فيها من بغداد اشتد به المرض ونازع نزاعا مؤلما كنزع الموت ثم انه شهق شهقة ففارق بها الدنيا وحرم انتشاق نسماتها فحضر الحنوط والمغتسل فجهزوه ودفنوه ثم لما أقبل الليل دق على الباب فقالت والدته من بالباب فقال ولدك على فقالت وكيف ذلك الحال وفتحت الباب واذا به هو ولدها وقطعة كبدها فقالت له كيف خرجت لى من حيز العدم انا في استغراق الحلم أم هذه مرآة تخيلى فقال لها يا والدتي قد كان مخبأ لضمير الغيب ان أسوح برهة ثم أحضر اليك فقالت وأى السياحات سحت وقد مرضت أمس ومت اليوم ودفناك وقد انصرفت الجماعة الحاضرة لدفنك الآن وقد كانت وضعت ثياب الميت بصندوق ولم تجسر على الدخول في محل الصندوق فسألها عنها ففتحت الصندوق فلم تجد شيأ فقالت له ما هذا الخبر يا قرة عيني فقال لها ان هذا كله تخيلات وان القصة كيت وكيت وقص لها الخبر ثم سألها ومن الآن في الدكان فقالت له أحد الدراويش قاعد بها فقال لعله الدرويش بعينه فلأمضين اليه وانظره وكانت والدته من المخدرات المصونات عاقلة كاملة لا تقتحم خطب الامور فأوصته به خيرا وقالت له اياك واياه من بين يديك وكن في طاعته ما استطعت ولا تغضبه وكن في خدمته كالعبد للسيد فانك تسعد السعادة الابدية واذا أغضبته ترزى رزية أزلية قم وتوجه اليه حالا فقبل يد والدته فدعت له بالخير الجزيل وخرج مهرولا الى الدكان واذا به الدرويش متهيئ بهيئة على الحلوجي فلما أقبل اليه تبسم الدرويش له وهو ابن سينا وقال له أين كنت أيها الغلام فما كان جواب على له الا تقبيل قدميه

وتلثم يديه وقد تضرع له وترجاه في العفو وأنشد لسان حاله يقول

ياسيدي انني قد كنت محتجبا * عن نور وجهك عند الحاج والسول
واليوم قد عاينت عيناي طلعته * فاجعلني بالعفو والاحسان مشمول
واسمع لمن جاء ولما أتانا اليك وقد * أضحت له بعدكم سود سرابيل
اذ ليس عنكم عوض ولا بدل * عسى أرى قيدي الممنوع مرسول

(قال الراوي) والحاصل أن عليا الحلوجي صار يتملق الى الاستاذ ابن سينا ويتعجب ويتضرع اليه وأرسل لآلئ دموعه على رياض وروده حتى كادت جداولها تشق عن جبال القمر وتنحدر الى كوثر رضابه والشيخ أي ابن سينا يتلطف به ثم أجلسه فمن الخجل لم يقدر أن يرفع رأسه في وجه هذا الحكيم وازدادت دموعه انحدارا فاستبكى ابن سينا رقة به وطلب منه العفو فطلب منه ابن سينا العفو عما جرى له منه وما لحقه من التعب وتحادثا طويلا في نشر مطوي الاشتياق وتصافحا وتعانقا وأصفيا النيات واجليا مرآة صدورهما من الغل والغش وتسامرا في مجال المحبة برهة *(قال الراوي)* ثم ان ابن سينا قال لعلي اعلم ان ما رأيته من الجفاوة في برية بغداد انما هو بقوة علم السيمياء وطلب منه بث جميع ما جرى له في تلك الغيبة فقص عليه القصة وأخبره بالحمام الذي بناه أبو الحارث وما جرى بين ملك سبا وملك بغداد وان الذي أحضره الى مصر انما هو أبو الحارث فعلم ابن سينا ان أخاه أبا الحارث تقرب الى ملك بغداد بواسطة أعجوبة الحمام ثم رجعا الى الملاطفة والمحادثة وتزينت روضة أوقات ابن سينا بتغريد بلابل درر نظيم ألفاظ هذا المحبوب الذي تدق له طبول البشائر بالقلوب وقد بسط أجنحة حنانته ورأفته وبث مزيد الاشواق اليه فعند ذلك قال علي لابن سينا ياسيدي آية حكمة كانت التي غربتني عن قفص موطني وألحقتني بديار أخاشن العالم الذي لم يرقوا لرفاهة أحوالي وجفوني وعاملوني معاملة الظالمين وأغرب من هذا ان والدتي أخبرتني انني مت اليوم ودفنت فما هذه الحالة المحيرة للعقول تكرم على بخلاصي من ظلمة هذه الشبهات ووقع على رجليه فرفع رأسه ابن سينا وأخبره بالقصة حرفيا وأخبره أن الله سبحانه وتعالى تكرم عليه بعلوم كثيرة وان الذي رأيته هو بالنسبة قطرة من بحر أو ذرة من ذرات الشمس واني لما فعلتك وصرت بديار غير ديارك كنت عزمت على قطعة خشبة فصارت مثالك بقوة علم السيمياء وهي التي ماتت فاني لما علمت أنا بقدومك أجريت تلك العملية لان غربتك كانت مقدرة عندي فاندهش علي الحلوجي والتزم السكوت ونوى أنه يخدم الشيخ بقلبه ولسانه ويديه ورجليه وقد حصل منه في برهة يسيرة علم السيمياء وعلوم أخرى وبعد ذلك لبس اللباس الفاخر وتعوط بالغوط الزردخان

المقصبة وقنع بصنعته ولم يرض له الشيخ ابن سينا غيرها لما ظهر له ماسيكون في مستتر الامر من واقعة حال ماسيبين ان شاء الله تعالى فصار على بيع الحلاوة في الازقة وهو في حال منتظم من أفخر الملابس المدهشة للعقول مشمرا عن قرى ساعديه فأينما توجه مكانا تناهبوا حلاوة تجارته فمن جهة لذة جديدها تارة وأخرى من جماله ولطافته فكل من رآه يسلب لبه وعقله ويتعلق بحبال محبته ولم يقدر على مفارقته فخارت في منتهى جماله الالباب وكم من مصونة شقت من أجل محبته الثياب فصار أكثر أهل مصر يقتفوا أثره وتركوا أمور معاشهم وقد شغفهم حبا ثم انه لما رأى أحوال أهل مصر آل الى ما آل الى على نفسه أن لايخرج الى جهة الازقة والشوارع وقد كثرت دراهمه ودنانيره فأخبر بذلك والده المعنوى وأستاذه الصفوى ابن سينا فاستحسن رأيه وزاد عنده قدره فاشترى الغلام غلمانا مثل بلابل الايك ذوى جمال وبهجة وكمال واستخدمهم بدكانه لطبخ الحلاوة فصاروا في أشغال الطبخ وهو في أشغال البيع وكان لايلاحق على الناس بالحلاوة لان منهم مشترى ومنهم مفترى واذا أراد أن يتفرج في أزقة مصر وشوارعها أخذ جانبا من الحلاوة وساح بها متوسلا بالبيع الى التفرج وكان قد استأصل الدكان القديمة من أساسها هدما وتوسع فيها وبنى جانبا منها دكانا وجانبا محلات للضيوف وبنى بها قصرا وخصه لباعث نعمته ابن سينا وزينه بانواع النقوش وكان بالنهار في البيع وبالليل مع ابن سينا في المحادثة والملاطفة ﴿قال الراوى﴾ ففي بعض الايام حمل طبليته بجانب من الحلاوة ودار بأزقة مصر واذا به بازاء بيت والى مصر وقد كان له بنت في غاية من الجمال مشهورة بالدلال بكرا معصومة مصونة وجوهرة مكنونة وقد حانت منها التفاتة الى على الحلوجى وهو يبيع الحلاوة امام بيتها وقد علته الاصوات فتعجب من تلك الحالة فأمعنت النظر منه واذا به تؤم حسنها وجمالها براها ولم تكد تراه فسبحان الذى أبدعه وصوّره وبراه فشغفت به في الحين ولم تجد للصبر محلا ولا مجالا فنادت ماشطتها وأرسلتها اليه فتوجهت ودعته الى داخل قائلة له ان من بالقصر يريدون أن ينظروا الى صنف الحلاوة وما كنهها وماهيئتها وماطعمها وما لذتها فأجابها الى ذلك واقتفى أثرها ودخل القصر واذا بابنة ذلك الحاكم أبرزت جمالها الى على بدون حجاب وبارزته بالمحادثة دون نقاب وقالت له ايها الجميل هل لحلاوة جمالك لذة كمشاهدة جمالك أم مزخرفة لاطعم لها فبوقتها اقدم اليها جميع اصناف الحلاوة وأجابها متأدبا ياسيدتى من لم يذق لم يعرف دونك وماشئت وكان على مطرقا برأسه من خجله وتكلل خده عرقا وتأدب في حقها تأدبا مؤديا الى ميل القلوب فتمكنت محبته في قلبها وصارت تلاطفه بالمحادثة مع كمال سكونه ووقاره اياها ثم نظر اليها من جانب عينيه فوجدها خارجة عن حد نهاية

الوصف فصيد في شبكة هواها وكانت هي أميل منه اليه بقلب مشغول وأنشد لسان حالها يقول

يا يوسف الحسن الذي من حسنه * حارت قلوب العاشقين بأمره
كم ذا أراه على التمنع ثابتا * وأرى القلوب بأسرها في أسره
لاتعجبوا من در نظم كلامه * قد يستعير اللفظ رقة خصره
هذا الذي سلب العباد قلوبهم * وطمئت من شغفي وباهر سحره
وخشيت من ورد الورود الأجد * من عقرب أومن أساود شعره
وظننت خيرا في ورود رضابه * فرأيتني مستغرقا في شره

﴿قال الراوي﴾ ولما ان امتلأت عينها من جماله وصارت مرآة تخيل امتأثرة بخياله انصرفت الى زاوية الحيرة وقد خشيت الهجوم عليه دون الامهال فرأت ان السلامة بعدها عنه على كل حال فعند ذلك انصرف على الى حجرته وقد زاغت بصيرة لبه وفكرته فأنشأ لسان حاله يقول

أحن الى تلك السجايا وان نأت * حنين أخي ذكرى حبيب ومنزلي
وأهدي اليها من سلامي معطرا * بمسك سحيق لابريا القرنفل
وأذكر أوقاتا بها قد تصرمت * بدار حبيب لابدارة جلجل
شكوت الى صبري اشتياقي فقال لي * ترفق ولاتهلك أسا وتحمل
وقلت له اني عليك معوّل * وهل عند رسم دارس من معوّل

﴿ياسادة﴾ ولما وصل على الى دكانه لم يحتمل الصبر وصار يتأوه ويتولول ويتوجع ولم يستقر له قرار فنظر اليه ابن سينا وهو في تلك الحالة المؤلمة الموجعة فسأله عن حاله فأنبأه بقصته وأطلعه على مكنون غيبها وأعلمه انه اذا استمر لهسويعات على تلك الحالة فهو هالك لامحالة وصارت عيناه تزرف دموعا كاللآلئ المنثورة وترك الدكان وقصد نحو حجرة شيخه ومربيه ومرشده وأبيه فتبعه ابن سينا على الفور فوجده منزويا بزاوية يتباكى بها ويقول واويلاه وامصيبتاه هل هذه حالة العشق وهذه مكابدتها ومشاقاتها أين المفر أين المفر ولم يزل في مكابدة الوله من المحبة حتى انسدلت ستور الغياهب وانفرد عن العالم فتارة يعلو نحيبه وأخرى يتذكر حبيبه ويتعلق بعنق ابن سينا ويترجاه في خلاصه من ألم هذه الورطة وتارة يقبل يديه وموطئ رجليه وعيناه تزرفان الدموع مترادفة كأنما تعد اللآلئ عدا واذا رآه في تلك الحالة عدوه ناح وعدى وابن سينا يسكته ويتلطف بخاطره ويقول له ماذا تريد أخبرني فلا يكون الا ماتريد دون الوصل بوجه غير مرض للشريعة المطهرة (قال الراوي) هذا ما كان من حال على الخلوجي وأما ما كان من حال ابنة والى مصر فانها لما فارقت عليا ونزل وخرج

قاصدا حجرته رجعت الى مكانه فوجدته مشحونا موقرا بالهوى وقد زادبها الجوى فصارت كالمجنونة المصابة وصارت تتأوه كالوالهة وهى تقول أين هو أين هو أين هو بتموه منى دونكم واياه وزاد نحيبها واشتعل لهيبها وتأرجت جهات البيت من تنفساتها الصعداء مسكا وعنبرا وعبيرا ولم يكن أحد بدرجة شغفها خبيرا فاقتفوا فى أثره فلم يقفوا على خبره فأخبروها أنه كان جنيا فاختفى هذا ما كان من أمرها وأما ما كان من امر على فانه قال لابن سينا ياسيدى صل حبل وصلى فاذا لم أنل مرامى فلا بد لى من مهاجرة أوطانى وكان ابن سينا موله بحاله ولم يقدر على مخالفته و ردمقاله فأدرج رأسه ضمن قبته ومال كالمتفكر والحال انه يعزم بعزيمته التى تزعزع أركان عرش من لم يوحد الله سبحانه وتعالى من انس وجن وعلى منزوعنه باكى العين واذا بالمكان قد اهتز قليلا كأنها ابتداء زلزلة فرفع على رأسه واذا بالباب قد فتح ونار المكان من طلعة ابنة والى مصر لما عليها من الحلى والحلل المزينة بجمالها فبهت الغلام قليلا وقد اندهش من هذه الحركة ونظرت الابنة الى المحل واذا بدرتم ودرويش ذوهيبة ووقار فأمعنت النظر من الغلام واذا به بياع الحلاوة الذى كانت تتمناه وقد أخذها الرعب مما حل بها من دخولها فى مكان لم تكن تعهده فلما وجدت الغلام سكن روعها واطمأن خاطرها ولكن لم تزل فى دهشة لكونها لم تقف على حقيقة الامر فأطالت النظر بابن سينا فوجدته حكيما فيلسوفا فلا أديبا ذا هيبة ووقار وكأنما ظهرت عليه هيآت أعاظم الخلق وهو يعظ الغلام ويقول له أى ولدى هذه محبوبتك أحضرت فلا تقتحم على فك حجاب صيانتها ولا فض نقاب بكارتها واياك أن تجسر على ذلك والا أهلكت نفسك وشاهدت ما كرهت ولربما فارقت روحك قفص الدنيا وتكون ملوما مدحورا فلا رخصة الى ذلك ولا سبيل الى مخالفة سنة سيد الاولين والآخرين وأما رشف الرضاب والمعانقة والتقبيل فليست مثل هذا القبيل فاياك ثم اياك من التهجم للعرم ثم خرج من الباب وغلقه عليهما فنهض فى وقتها على الحلوجى على قدميه واستعذر الى البنت وأبرز اليها أنواع التأدب وقرب منها فألفاها مقوّمة لصيد ألفاها من قسى حواجب استعارت النون معناها وأهداب اعارتها معاها وجبين كبدرتم طلعته وقد كسف نورالبدر لمعته ونهداها برزا للقتال فهل من مبارز فى ذلك المجال وقد يستتر على كثير من الناس بقية الحال فسألته الست أنت الذى صدت قلبى اليوم عند جلبك الحلاوة الينا فقال بلى فقالت هل أنت أنسى أم جنى فقال من الانس فقالت له ما هذه الحالة المحيرة للالباب أجبنى بالصواب فقال لها بفصل الخطاب ان مثل هذا الحال يعجز الشخص عن الجواب فلا تسأليني عنها ثم تقدم اليها فعانقها فرأت ان الحبالة أوقعتها ولا ملجأ الى الهرب

ولو

ولولم تكن وقعت لكان أحسن ولكن كان ماكان فعانقته هي أيضا اذ كانت أشهى منه لذلك وتباوسا وتراشفا رضاب بعضهما والتف الساق بالساق ومالا الى المضاجعة على تلك الحالة حتى لاحت بشائر الصباح وأذن ديكها وصاح ثم أقبل الشيخ وفرقهما من بعضهما وقرأ عزيمة فردت البنت الى منامها فاندهشت عند ذلك وتفرست في نفسها وقالت انه لابد لهذا الامر من آخر ويخشى على من ازالة بكارتي فيركبني العار أنا ووالدي فدعت بدواة وقرطاس وكتبت القصة بأكافها الامام بحزو دفعتها الى ماشطتها لتدفعها الابيها فأحضرتها اليه فقرأها وعلم مضمونها فاندهش وحار فكره في أمره فأمر باحضار أرباب الدولة والصولة والفنون والعلوم وأكابر المملكة فلما ان اجتمعوا جميعا أعلمهم بخبر ابنته وأطلعهم على كتابها فقرئ على رؤس الاشهاد فتعجب الناس منه غاية العجب فنهم من قال انها عبارة ساحر ومنهم من قال انها أفعال جن وتفكروا جميعا في هذا الامر واستصوبوا أن تحضر جميع جواري القصر ويحتطن بحجرة ابنة الملك ومرقدها وأرباب السلاح خارجا حولهن فاذا رأوها مسحوبة لصقوا بها ولم يفلتوها الى الصباح وكذلك اذا كان الصباح الى المغرب وهلم جرا حتى يعلموا حقيقة الحال فصاروا كذلك واخذوا البنت بينهم واحدقوا بها من كل مكان فلما كان وقت المساء وهجم عليهم جيش الليل فلم تر غير متأهب بأهبة سلاحه أو جامع بلابل ملاحه وصار المتسلحون خارج المكان وصارت حجرتها منهم مكان المائدة وقد أحدقن بها الجواري من داخل الحجرة وأيقنوا ان لاملجأ من الله الا اليه ولا سبيل للملك ولاجن فضلا عن انس أن يسلمهم اياها غير مليك مقتدر وصاروا متحفظين عليها وشاخصين الى العشاء اليها فهذا ما كان من تدبير الملك وجنوده من أمر تحفظه على ابنته وأما ما كان من أمر ابن سينا وعلى الحلوجي محبوبه فانه لما أصبح الصباح ولاحت بوارق نوره ولاح استقبل الشيخ القبلة على عادته وأدى فرائضه وصلى على نبيه وقرأ أوراده فلما خلص وضعت له المائدة فتناول من الطعام جانبا وصار على له مجانبا مائلا الى الوسادة باهتا من ألم الفراق فلم يناغشه ابن سينا لعلمه بسهره طول ليلته مع محبوبته وظن انه في سنة من النوم والحال انه من بعد مفارقة ابنة والى مصر اياه لم يذق من مرارة الفراق غيره وقد كان ذهب عنه ضميره وقد استغرق في تلك الحالة برهة فلما ان تناول ابن سينا الطعام قرب من على وأمسك يده البلورية المنظر الكافورية المخبر واذا به قد انتبه من وقته ظانا ان البنت هي التي أمسكت يده فرمى بيده في عنق ابن سينا فمال اليه الشيخ قائلا له ماذا الجمال الباهر والجبين الزاهر وكان لايمل من نظره اليه ومال قلبه لنحوه وانقاد لديه لما جمع من حسن العبادة والجمال فعلم ابن سينا بفراسته ان عليا ظنه محبوبته فأقعده

وقال له ألك في الطعام حاجة فقال حرام على مادمت في حال الفراق وكيف أتناول مالم أجد له لذة ولا طعما فألح عليه الحاضرون كلما فلم يلتفت اليه فقال له انك لم تذق الطعام من أمس واذا حضرت محبوبتك لم تأكل أيضا اشتغالا بها فاذا عاد الفراق بقيت أيضا بلا طعام وهذا حال تطول شرحه ولربما عدمت نفسك وبطلت حركاتك ولم تقدر على أن ترمق فكيف يكون حال أمرك فلابد من مناولة قليل من الزاد لتقويم البدن فقال له على وقد ذرفت عيناه دموعا كحباب الخمرة على كوبة خده وابن سينا يمسح له دموعه ويجمعه اعلم ياسيدى ان مابى من الاشتياق ليس مثل حالتى التى كنت بها قبل المواصلة وقد اشتعل فى قلبى نارها فياليت ما كان لم يكن وليتنى لم أولد وان الموت عندى ألذ من ألم فراقها فأين المهرب والى أين الالتجاء ثم نهض قائما وتنفس الصعداء فلم يطق التوجه الى أمه ولم يزل على تلك الحالة حتى أظلم ستر الليل وجاء وقت العشاء فترجى الشيخ أن يحضرها له وقبل مواطئ رجليه فحنت جوارح ابن سينا اليه ومال برأسه الى صحراء جيبه وقرأ ماتيسر من العزائم التى هى مستترة بغيبه واذا بزلزلة بالمكان وبعدها دخلت البنت عليه كأمسها فبقيا على حالتهما الاولى وابن سينا لم يبرح عن مكان وصيته ولم يتحول عنها كأمس الماضى

﴿قال الراوى﴾ وسنذكر كيفية نقلة ابنة والى مصر من بين جماعتها وذلك انه كان فى نقلها أمر باهر للعقول وهو انهم لما كانوا محدقين بها من كل جانب واذا بها قد نهضت واثبة على قدميها اذا خبرتهم انها متوجهة الى مكانها أمس فتعلقن جواريها بها وأمسكن أذيالها من كل جهة فانتفضت من بين أيديهن وقصدت نحو الباب فوثبن عليها جميعا أى الحراس وعلت الاصوات فسمع ذلك بقية جنود أبيها فوقفوا جميعا طرا شاهرين سيوفهم وأسلحتهم رافعين أصواتهم دونكم لا تفلت منكم ابنة سيدكم اياكم والفشل اياكم والاهمال دون الامهال فاختفت بوقتها من بين أيديهم جميعا فى الحال ولم يقفوا لها على أثر فصار النسوة يبحثن فى حجرات القصور وفى كل مكان على أن يرين أثر الخروجها فما وجدن أدنى علامة اختلت عن مكانها وختوم المحلات كما كانت ولم يفتح باب ولم تنشق حائط فتعجبوا من هذا الحال المدهش والامر الباهر للعقول وتحيروا فى أمرهم وأعلموا أباها بالخبر فجمع جنوده وحكماء مملكته ووزراءه وشكا لهم أمر ابنته وكيف يؤل أمرها اذهى مغصوبة فعجزوا اذا عن رد الجواب فأوجعهم بغلظة الخطاب وقال لهم لئن لم تدبرونى فى أمرى هذا والا تفرقوا عنى جميعا فلهذا المهم كنت مدخركم وأما الامر السهل فلا يتعسر حله على غبى العقل ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان من أمر الملك وجنده وأما على الخلوجى ومعشوقته فانهما بقيا معا فى بوس وعناق وبث أشواق الى أن برق صبح الصباح

واذا بها أى البنت بفراشها فصحن الجوارى وصرن فى حركة وأعلمن أباها بذلك فلم يجسر أن ينظرها من شدة حزنه وما وقع بقلبه من الكآبة فصاحت البنت وبكت دموعها كقطرات مطر نيسان الذى يكون درا بالصدف وسما بالثعبان فيالها من حالة أدهشت ألباب ذوى المعارف وغلت يد كل تالد وطارف ومرض والدها من شدة غيظه مرضا شديدا ولزم فراشه وصار فى حالة نزع وهو مع ذلك يوبخ أهل دولته حيث لم يدبروا له تدبيرا لانقاذه من مهم مصيبته ﴿ياسادة﴾ فعند ذلك أقر قرار أهل دولته على أن يرسلوا بجلب أبى الحارث من بغداد ليفك قيد أشكالهم فاخبروا به الملك وقالوا له ان بمدينة بغداد حكيما فيلسوفا قد بنى حماما فى نحو سبعة أيام على أربعين عقدا تحت كل عقد قرنة ماء من المرمر ودلالة مثل الحور العين يحير ألباب الناظرين وأربعين أخرى مثلها خارج الحمام يرون مصالح الواردين وبهذا الحمام من النقوش التى تحير فيها أنظار المبصرين مستكملا لجميع اللوازم وبها عيون الماء تجرى آناء الليل وأطراف النهار وبجانبه بستان مثل جنة عدن وفيه ما لا تصفه العقول ووصفوه على ما قد سبق فاستحسن رأيهم بحضوره وعين أنواع التحف والذخائر الى ملك بغداد واستحضر شخصا لسانا ليبيا وأرسله اليه وأخبره بالقضية تفصيلا واستجاربه فى خلاصه من هذه الورطة وصار منتظرا للجواب وعض بأسنانه مرارة الصبر ولم تزل ابنته على تلك الحالة التى اشتهرت بها من نقلها كل ليلة هذا ما جرى وأما أبو على بن سينا فقد علم بقوة ذهنه وفراسة عقله انهم لابد أن يبحثوا عن فك مشكلهم فوكل بدار أبى البنت موكلين من الجن يسترقون السمع وهم كل يوم يخبروه بما يجرى عندهم من تدبير وخلافه ﴿قال الراوى﴾ هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر رسول والى مصر فانه مازال فى جد سيره حتى وصل الى مدينة بغداد فلما دخلها تلقاه ملكها بالترحيب وخصص له محلا لنزوله فيه وعين له مرتبات الضيافة هو وأتباعه فبات ليلته ولما أصبح الصباح جهز التحف والذخائر وكتاب والى مصر وأبرزها بين يدى ملك بغداد فقرأ الكتاب وفهم مضمونه واستعلم أيضا شفاها من المرسول عن قضية سيده وولى نعمته فقص عليه القضية حرفيا فلما استعلم ملك بغداد ذلك استحضر أبا الحارث وأخبره بقصة ابنة حاكم مصر وما جرى لها فقال له أبو الحارث اذا أمرتنى فهذا الامر سهل ليس بالعسير فقال له الملك انه استنجد بنا فى خلاصه مما حل به من عسير مشكله فاذا استصوبت ذلك فهلم اليه فأجابه أبو الحارث بالسمع والطاعة ثم بعد ذلك تدارك ملك بغداد أمر المراسلات وأحضر من التحف ما لا عين طمحت بنظره ولا أذن بسماعه وقد عزم أبو الحارث مع رسول حاكم مصر على السفر قاصدين القاهرة فبقدرة الله تعالى وبواسطة ما أودعه فى أسمائه من

الاسرار المتصرفة في علم السيمياء وصلوا الى مصر في يومهم فتعجب رسول حاكم مصر من ذلك وصار ينظر تارة يمينا وأخرى شمالا وهو ليس يصدق أنه دخل أرض مصر وبقي كالمختل اذا نظر لانه وجد حارات مصر وأزقتها وجعل يسأل من ينظره من أصحابه ويقول هل هذا حلم أم صحو ولم يزل في بحر حيرته حتى دخل الى حاكم مصر وأخبره بما جرى له حال توجهه ورجوعه فتعجب غاية العجب ثم ان والى مصر أنزل أبا الحارث بدار مخصوصة وأكرمه اكراما بالغا الحد ذا ترة الوصف وأطلعه على القضية حرفيا فعندها أحضر أبو الحارث ما يحتاج الى الرمل فصار يجمع نارا طبيعة ويضربها في هوائها والماء في التراب ويبرر وجهاء على جوالقفار فلم يجد لما أراده أثرا فخلط الاشكال مرة أخرى وأنشأ تختا آخر وحاكم مصر ينظر اليه وقد علاه الهم وتحيره لذا وأبو الحارث تارة يجد دكان الحلواني في جزيرة محاطة بالنار وأخرى لم يجد لها أثرا فقال للملك مصر ان أمر هذا المشكل غريب وله واقعة حال فاذا استحسنت فاعرض على كريمتك ومن محادثتها أرى ما يحل هذا العقد المتين فأجابه الى ذلك ثم أخلى مكانا وأدخلها به ودخل عليها هذا الحكيم الفيلسوف اللبيب وقال لها ما شأنك فقالت له انى اذا دخل على الليل أحس بحركة في داخلي فلم أقتدر على الامهال دون القيام فأثب قائمة فلا أرى نفسي الا وأنا بمكان لم أعلمه ولا أهله وأجد بستانا وداخله قصر مزين وفيه شاب وشيخ ذو عظمة ووقار فلما استعلم منها أبو الحارث بذلك ففي الحين قص قطعة من اللباد وعزم عليها فصارت بازيا فسلمه اليها وقال لها اذا دخلت المكان الذي فيه هذا الصبي فأرخيه عليه فانه يفترس به ويقطع قلبه ويعدمه الحياة وانظرى ماذا عندهم من الفواكه والمآكل فاسترقي منه جانبا هذا ما كان من أمر أبي الحارث

﴿قال الراوى﴾ وأما ابن سينا فقد كان كما سبق موكلا خدامه من طوائف الجن بدار الملك فيخبروه بجميع ما يصير وما يستقر القرار عليه فحضر اليه أحدهم وأخبره ان الامر كذا وكذا فتحرز عند ذلك وصنع آلة بلوالب وسلمها الى على وقال له اذا جاءت البنت الليلة ومعها البازى فابرم اللولب على البازى دون امهال بمجرد دخولها والا هلكت في الحين فأجابه بالتلبية قال وقد كان على ما حكى أن فريد عصره ابن سينا قد شيده دكان على الحلوجي بقلعة بجزيرة ببلاد الهند تسمى مساقيه وهي قلعة مشيدة الاركان ويخرج بحر تلك الجزيرة نوع من السمك يسمى حوت يونس ولحمه وعظامه عندمية اللون فأحضر جانبا من لحم ذلك السمك بمائدة على وأن عظام ذلك السمك يعمل منه خرزكالمرجان وكثيرا ما يحضر من بلاد الهند الى غيرها للاقطار وليس هنا القصد والحاصل أن الغلام صار منتظرا هجوم جيش السواد الى جهة ذلك الواد فما استتم انسدال ستر الليل الا وحضرت ست الحسن والجمال والبهاء والكمال

والقدو الاعتدال قد حضرت عنده في الحال فلم يحصل امهال ولا اهمال دون أن فرك اللولب على البازى وكان بقتله اياه غازى فانقلب في الحال الى قطعة لبادة فقال لها يانور عينى ومزيلة الهم بينها وبينى ويامتسلطنة بجلوسها على ايوان قلبى ويامن حالت بين قلبى وابى لماذا تبارزينى بميادين الجور والجفا وما الاجر الا بن قدر وعفا ألست المصادفة أولا بشبكة محبتى ثم تكلبت المحبة من مهجتى وقد كنت المدبرة في أن ناديتينى الى قصرك وأريتينى الامان مابين طى خصرك فهل يجوز لك الجور عسفا علينا والحال أن لا موجب لذلك لما أن الله أعلم بما هنالك وانقصد في جمع شملنا ماهو الا لمجرد النظر والمجالسة وبث الاشواق والمؤانسة وقد قام نحو قدمى هذه الدرة اليتيمة وصار يمرغ خده في تراب رجليها وصار يمر بمرآة وجهه على حذائى ورد خديها وتارة يجلى صدا قلبه بمجرد لمسه بيدها فلما نظرت هذه الدرة الى خيبة مقصودها وأن لا مهرب الا الى معبودها سلكت مسلك المجون والهزل وأبدت له نظم در ألفاظها كالغزل وقالت له ياعندليب جنانى ويا مالك الحديقة جنانى ان جميع ماقلته في محله انما الذى حيرنى هو عدم معرفتى اياك هل أنت جنى أم آدمى لم تقل لى وأين نحن وقد شنعت باسمى مابين الخلق فماذا المقصود من هذه الحالة التى طالت حبال مدتها ولم نحص معشار عشر عدتها فاذا كان قصدك الجور والجفا فاقض ما أنت قاض فأجابها لا تشتبهين في شئ أنا أنسى مثلك ولست بساحر ولا جنى واذا أردت معرفتى فأنا الذى كنت أبيع الحلاوة بأزقة المدينة ولم يكن لى سبب آخر غير الحلاوة وأما أنت فأخبرينى هل أنت من طوائف الجن أو الملائكة حتى سحرت لبى في رؤية واحدة وصرت لا أتمالك قرارى وان الدرويش النورانى والكامل الربانى الذى رأيتيه فهو الذى أحضرك ههنا وله معارف لا تحصى وفنون لا تستقصى فعندها نظرت البنت الى المائدة فوجدت لحم حوت يونس وعظامه بها فتعجبت من جمرتها وقالت ماهذا وجعلت كأنها تتناول منها وجنت قطعة منها وقد كانت هذه البديعة في الجمال العديمة المثال التى لو قومت لما تقومت بمال أميل الى محبة على منه اياها ولكن لم تجد أطبة لمحنتها ودواها ولكن آل أمرها الى ما آل وقد انتشر بين النساء والرجال وحال بين مرادهما ما انشر من طى الاحوال وأنشد منها قائلا لسان الحال

يامن يرى عشقى لهذا الاغيدى ❊ لم لا ترق لحالتى وتواجدى
مثلى ومثله في المحبة والضنا ❊ ماسهمنا منها سوى عض اليد
لم نلق غير مشقة حاطت بنا ❊ وغليل شوقى ناره لم تخمد

وكآبة وصبابة وتذكر * ويخيب سعي عند نيل المقصد
ومضى زماني في تفكر حالتي * بتحسر وتنفس وتنهد
شوق أكابده وحزن متلف * يالهف قلبي من هجير توقدي
ضاع الزمان بما أجد من كربه * و وقعت في وجد عظيم مقعد
لم ألق لي من عاطف ذي رحمة * من مسلي زمني كذاك ومعتدي
ياعالمين ألا تروا من منصف * يحنو علي بزورة المتردد
هل من صديق ذي وداد صادق * يرثي لاسقامي وطول تسهدي
أشكو اليه ما قد أقاسي من أسى * والطوف مني ساهر لم يرقد
ويطول ليلي في العذاب لانني * أصلى بنار الهم ذات توقد

(قال الراوي) ثم انها قالت له يا محبوب القلوب ومن أبدعت في جماله ضمائر الغيوب حيثما ان هذا الدرويش الحكيم الماهر الفيلسوف الباهر المتصرف في مبدعات المظاهر قادر على جلبي من منزلي بالعنف من بين أهلي وأعواني لم لا يخطبني لك من والدي على سنة نبيه وكتابه وكان ذلك أليق به أن يبطن ما ظهر من مكنون أمري وحالتي التي صارت حيرة لكل الالباب فقال لها علي اني أخبرته بهذا الامر وترجيته فيه فأجابني بأنه لابد لقصتنا من واقعة حال فحين ذلك سكتت عنه وأمسكت عليه الحاحا في تكرار السؤال وحمدت الله تعالى ورضيت بهذا الحال قال ولم يزالوا على ذلك الايضاح حتى صاح مؤذن الصبح ولاح ونادى المؤذنون حي على الفلاح فتفرق شملهما وانقطع حبل وصلهما فوجدت سيدة الملاح نفسها في مخدعها وقت انصباح فعندها استخبرها أبو الحارث عن القضية فأفصحت له عن تلك الماهيه وأبرزت له عظمة السمكة فتفطن بوقتها محل تلك الملكة وقال لابيها ابشر أيها الملك بأني عرفت مكان الواقعة فلا تجدن لصاحبها راية رافعة وانه ببلاد جزائر الهند جزيرة تعرف بمساقيه ولم يخرج صنف هذا السمك الذي جلبته ابنتك في جميع أقطار الارض الا بها وكم أشكال الرمل تدلني عليها وقلعتها وانه يدائرها النار محاطة بها بما أنهم عبادها فتيقنت الآن منها ثم ابتدر الى الاسطرلاب ونظر فيه وقابل أشكال الرمل بتقويماته فلم يرسوى ما تقدم من أمر جزيرة مساقيه ثم سكت وفوض الامر الى أبيها فجمع أكابر مملكته وشاورهم في أمره وكيف يصنع فأجابوه بأنه يرسل الى ملك الهند رجلا جرىء الجنان ثابتا في المقال عارفا بأمور الاحوال ذا سكون و وقار ويترجوه في حل عقدة مشكلهم الذي حل بهم فرآه حسنا وشرع في تحصيل أنواع التحف والهدايا وكتب كتب التحايا وترجاه في أن يتجسس على هذا الامر وان يأمر صاحبه بالانفكاك

عنه وأرسل الرسول اليه وصار منتظرا قدومه ونوى انه اذا لم يحضر ذلك الشكل هيئا جرد على ملك بلاد الهند جراد جنوده ويخلعه عن تخت مملكته واذا ظفر به يطعمه الزقوم ويحرمه نعمات الدنيا الى يوم التلاق فهذا ما كان من أمر ملك مصر وما دبر من ارساله لملك الهند وما سيجرى ﴿قال الراوى﴾ وأما ما كان من أمر أبى على ابن سينا وبراعته وتحويله دار على الحلوجى الى غير دار فانه حيرهم ولعب بخسيف عقلهم وصار هو وعلى فى صفا وسرور وأنواع الخمور نهارا وعلى ومحبوبته ليلا على أتم الانشراح مرتشفا من عقار رضابها بالاقداح وهى ولو أنها فى ولوله أمرها لم تجد عنه صبرا الا انه صار عندها كالعادة اذ تنتظر قدوم الليل لتتملى بحبيبها وقرة عينها راضية كانت أو مقهورة فاذا لم ترض فماذا تعمل فأبدلت الغضب بالرضا وسلمت الامر للقضا هذا ما كان من أمر هؤلاء ﴿قال الراوى﴾ وأما ما كان من أمر رسول ملك مصر فانه لما توجه الى ديار الهند لم يزل فى جد سيره وهو يقطع مفاوز القفار مواصلا لسير ليله بالنهار حتى وصل الى هاتيك الديار فلما وصل الى بلاد الهند بادر بالدخول على ملكها وأعرض عليه التحف المرسلة اليه وسلمه كتاب ملك مصر ففض الملك ختامه وفهم صحاحه وقتامه فتعجب من ذلك غاية العجب وقال للرسول كيف تصدقون هذا الذى يدعى المعارف على جهله وهو منها كما بين السماء والارض والواقع ان هذه الجزيرة موجودة عندنا تتأجج نارا وكلما قربت منها سفينة قل ان تنجو من شدة عسف الريح لها الارتفاعها فى جو السماء وقل ان ينجو من الالف سفينة واحدة وبها النار كما زعم وانما ليست نار سحر وبالفرض اذا كانت هذه النار نار سحر فكيف يقيم بها حيوان أو انسان وانما ملككم من سخافة عقله لما عظم به من مصابه صدق هذا الكذاب أفلم يكن فيكم رجل رشيد يعقل الكلام وهل كلكم على سياق واحد وليس من نعتنا أمر السحر ولا غيره وكتب الملك مصر أنواع التوبيخ وصار يوبخ رسوله أيضا وطرده من قدامه ورد تحفه عليه ولم يقبل منها شيأ وطرده من دياره فوقع بهذا المسكين خجل لا يتحمله أحد وانما كان أحق به ذلك لعدم فكرته الصائبة اذ هو من أعاظم الوزراء عند صاحبه هذا ما جرى للرسول ﴿ياسادة﴾ وأما ما كان من أمر ابن سينا فانه حكى عنه انه ذات يوم توجه ليرطب جسده بحرارة الحمام المعتدلة ويغتسل فبعد ما اغتسل خرج يريد الانصراف وأراد أن يناول الحمامى مقابلة استحمامه فلم يجد كيس دراهمه فى جيبه فاخذ محرمته ووضعها أمام الحمامى رهنا على أجرة الحمام اذ كانت تساوى هى أضعاف ذلك وكان الحمامى فى درجة من خساقة العقل والحماقة والبخل والقساوة لا يعلوها درجة أشعبى المذهب وقد توارثها من أبيه مذهبا فضلا عن انه لا يحسن

لاحد لشئ ممن يحسن اليه فنهر ابن سينا وعلا بصوته عليه قائلا له يا حمار الوحش أنت تصعنا بافتتاح يا علم بوجهك الخشن بدون فائدة ورمى بالحرمة فى مشى العالم فخجل ابن سينا عند ذلك وأطرق برأسه وكان أحد أرباب المروءة جالسا فعز الحمامي تعزيرا غريبا وقال له ماهى الاجرة التى تملأ مسامعنا من أجلها ما أوقعنا جميعا فى الخجل وأنت بمعزل عن الحياء وقد أحسن على بن سينا على كفه دراهم فاعطى منها اجرة الحمامي وفر خارجا من الحمام وقد اشتدت حدته ولم يصبر ولم يسعه ثوب التصبر فعزم عزيمة ونفث بحذاء مدخنة الحمام فخمدت ناره من حينها ووقع داخله برد وريح كريح صرصر فخرج الناس عرايا جميعا واسنانهم كطارق الحداد واجنابهم كسلوك الطنبوره ترعد من شدة ألم البرد فسألهم الحمامي عن حادثة الخبر فلم يجد من يرد له جوابا وصار الناس يسارعون نحو باب الحمام وخرجوا بدون دفع اجرة فبادر الحمامي داخل الحمام وفتح بابه فسمع حس الرياح مثل ليالى الشتاء فى بلاد الروسيا وأحس بأن ألم البرودة وصل الى تدييه وجفت دموع عينيه فهى كالحجارة أو أشد قسوة فلم يطق صبرا وعلم ان هذه الحالة ليست الا من فعل الدرويش وانه ليس بخال من الاسرار فدبت فيه النار من شدة الدمار ومن لم يرتض بالمر صبر على أمر منه هذا وقد انتشر الخبر بالمدينة من واحد الى واحد حتى وصل الخبر الى أكابرها فكان من لم يصدق بحذر فيجد ماهو فوق ما سمعه وصاروا جميعا فى فكرة عظيمة وحيرة عجيبة ﴿قال الراوى﴾ ولما ان شاع خبر الحمام بذلك الشان سمع أيضا أبو الحارث بذلك الخبر فقال الملك مصر ان هذه القصة ليست بقليلة وانما هى من أمهات العلوم وان بمدينتك هذه من هو عالم بالسيميا وان جميع ما وقع بابنتك فمنه فقبض ملك مصر وقتها على غضبه بلجام الحماقة وأطلق عنان لسانه على أبى الحارث قائلا له يا كذاب قد ظهر لنا كذبك وكما صدقناك أولا فى مقالتك وأرسلنا لديار الهند رسولا من حماقتنا والآن تقول انها مادة سهل تناولها فقال له وزراؤه نعم الرأى وأى خسارة علينا ففوضوا له الامر فامر باحضار الحمامي فاتى فسأله هل اذا رأيت الدرويش الذى صنع معك ما صنع تعرفه فقال نعم فقيل له وما لباسه فاخبرهم بملبوس ما أخبرت به ابنة الملك فصدقوه فارسل الملك معه بصاصين ليكشفوا أمره هذا ما كان من أمر هؤلاء ﴿يا سادة﴾ وأما ما كان من أمر الرسول الذى كان أرسل لملك الهند فانه لم يزل سائرا فى ظلمات الكد والتعب حتى وصل الى مصر وأخبر بما جرى له جميعه أمام هذا الامير فتعجب وأحضر أبا الحارث وأقراه الكتاب فخجل وعلم انه لم يصب واخطأ واحتار الامراء جميعا فى أمرهم ولم يقدروا على رد الجواب بما وقع بهم من ألم الخجل اذ انهم تشاركوا فيه جميعا وسكتوا نحو ساعة لم يقدروا على التململ عن اماكنهم فضلا عن التكلم فتكلم أيضا فى الحال

أبو الحارث وقال للملك اننا نسأل البنت ثانيا ومنه يتضح الحال فسكت الملك وكان سكوت الملك فى أنه صرف كذا من الخزائن وأحضره من بغداد لاجل ما ليس هو لحله باهل وقد كان باعثا فى تخجيله مع ملك الهند وصار ملعبة فيما بين أقرانه وانتشر بسببه خبره حتى وصل لبلاد الهند فقال مستهجسا فى نفسه انك أنت الآخر لا تنفع لشئ بل كنت على أعظم بلية وأعلن بصوته قائلا أنتم تعرفوا ما يؤل اليه الامر فدونكم وما تريدون ثم سأل البنت أبو الحارث عن كيفية توجهها هل عند توجهك تتوجهى طائرة أم ماشية فقالت ماشية وكانما أنى أسحب وأمر بحارات البلد وان المكان الذي أتوجه اليه هو دكان فى وسط السوق فقال لها أبو الحارث هل اذا رأيت الدكان تعرفينه فقالت أظن انى أعرفه فأقر قرارهم على أنهم يغلقوا جميع الدكاكين وتنزل البنت لتعرفهم على حالة البحث ﴿قال الراوى﴾ وأما ابن سينا فانه لما رأى انهم قصدوا المباحثة عليه بكليتهم فقال يلزم انى أظهر نفسي لهم حتى أرى ماذا يصير ففي بعض الايام خرج الى السوق وكان به دكان مختص لقعد الاكابر فقصده وقعده واذا بتقدير العزيز العليم قد طلع الحمامى امامه فغمز البصاصين ان هذا الدرويش بعينه فتقدم اليه كبير القواصه فوجده درويشا ذا وقار فلم يمهله دون أن قبض على رقبته وسحبه اليه وقال له قم يا قليل الادب أجب أرباب الدولة فقال ابن سينا أنا فقير وماذا تريدون منى فلم يلتفتوا الى مقاله وجروه حتى لم يدعوه يلبس نعاله فرأى ان لا ملجأ منهم ولا مفر فحكى من عجائب حكاياته انه وهو معهم بتلك الحالة عزم وقتها وتفل على ثياب نفسه متنفثا واذا انه صار الصوباشي بعينه ودفع الصوباشي دفعات كاد أن يكبه على وجهه فتعلق الصوباشي به ودفعه وعلا بينهما الكلام والضجيج وأحدقت بهم الناس من كل مكان ولم يزالا على تلك الحالة حتى دخلا الديوان وتراعقا وتصارخا مليا فابتدأ الصوباشي يقول للملك دونك وهذا الدرويش فانى قد أمسكته فى الدكان الفلانى وقبضت عليه فادخل صورته وشكله فى صورتى وشكلى بالسحر وتأخر وهو يمعن النظر من ابن سينا فصاح عند ذلك ابن سينا وتقدم من مكانه وأخر الصوباشي ودفعه دفعة كاد أن يسقط بها الى الارض ووثب الى جهة أرباب الدولة وقال اعلموا ان جميع ما صار لنا من التعب والقلق انما هو بسبب هذا المنحوس وهذه من أعظم نكاته وسحر أعين الخلق حتى رأوه فى شكلى وصفتى وقد رصدت له وقت الفرصة حتى ظفرت به بدكان فلان فقبضت عليه وجذبته الى فجعل يعتذر ويتملق بين يدى فلم أفلته فمن حرارة ما وجدمنى من ألم الجفاوة قلب صورته ودخل فى شكلى هذا والصوباشي الحقيقى جعل كلما يتكلم ابن سينا ينظر اليه من أقدامه الى رأسه ويبعد منه مخافة من شره وفوض الامر

الى أرباب الدولة وهو باهت من الزور والبهتان وصار متحيرا في أمره وكيف الخلاص من ذلك العدوان وكيف تكون نجاته من هذه الورطة التى قد أحاطت به وجعل يقول لاتصدقوا هذا المفترى الكذاب انما حركاته وبدعاته من عظم سحره فعند ذلك تحير أهل الديوان ولم يفرقوا بين الاثنين وقد أرادوا امتحانهما فسألوهما كلا بمفرده عن متعلقات الحكومة فأجاب كلا منهما بالصواب فقال ابن سينا أيها الرؤساء وأكابر الدولة لاتعجبوا من أمر هذا الساحر اذا أخبركم بمكنونات الغيوب فانه على أكثر من هذا مقتدر بقوة سحره وقد كان بمقدور الله تعالى في ذلك اليوم موجودا في المجلس قاضي المدينة فقال أنا أخلصكم من هذه الورطة وهو أنكم تدفعوا بليتكم باحد أتباعكم وتجعلوه قربان هذه المادة وتأمروا بصلب الاثنين وفكوا هذا المشكل فانهما اذا صلبا بطل اذا السحر وظهر لكم الدرويش من الصوباشي وحل القصد هلاك الدرويش فاذا هلك فتوسدوا وساد الراحة والزموا فراشها قال فاستصوبوا رأيه جميعا فعند ذلك صاح الاثنان وهما يقولان أيها القاضى على أى كتاب قضيت وعلى من حضرت هذه المسألة وهل ماقلته مرسوم بكتاب مطالعتك أم حكمت بمجرد رأيك فان كان من كتاب أرنا اياه وان كان بمجرد الفهم فليس هذا من شأن احكام الشريعة بل هذا من اجتهاد أهل الديوان لاجل راحتهم ومن عجزهم فك هذا المشكل (قال الراوى) وقد كان صوت ابن سينا أعلى من صوت الصوباشي وأقدم منه على المناغشة والصوباشي ولو أنه بذل جهده في خلاص نفسه فانه لم يفده ذلك شيأ فاخيرا مال أهل الديوان بتفكرهم وفراستهم على صلب الصوباشي وقد سلموه لكبير العسس وأمروه بصلبه وبقى ابن سينا نهاره في قضاء مصالح الديوان وأما المسكين الصوباشي فانهم أداروه كتافا وساقوه معهم الى المشنقة ونادوا بأعلى صوتهم في جميع الجهات أن يحضروا شنق أنحس الخلائق من كان سببا في شناعة ابنة مالك مصر فأحس بالخبر على الحلوجى فحارت فكرته وتكدرت سريرته وضاقت به الارض بمارحبت وجعل يبكى من آماقه دما صبيبا ولم يستقر بمكان مما حل باستاذه وقال انه قد فقد بسبب ميلى الى الشهوات فيلسوف كامل عليم بخفيات الامور واغوثاه واندماه فهذا ما كان من على وأما الناس فقد اصطفوا صفوفا على شنق الصوباشي متفرجين عليه من كل جانب حتى النساء من الطاقات قال فعند ذلك تفكر ابن سينا قليلا وقرأ عزيمة وغاب عن أعين الناظرين ودخل في صورة وشكل كبير العسس وأدخل كبير العسس في صورة الصوباشي وألحقه به وصار الصوباشية اثنين فزعق الآخر قائلا أنا لست الصوباشي وجعل يتخلص ويتعلق بالناس ويترجاهم ويقول لاحبابه أرجعونى لملك هذا وابن سينا يقول أسكتوا هذا

القليل الادب واسحبوه فسار بهما تحت القلعة وصلبهما ورجع كأنه يريد الديوان لاداء وظيفته ووكل بهما من يحرسهما فحال دليهما انقلبا على صورتهما الاصلية وملابسهما كالعادة المعهودة فيهما وعزم ابن سينا بعزيمة أسرع فعلا من الكبريت الاحمر ونفث على نفسه فاختفى عن أعين الناس وتوجه الى مكان على الخلوجي وأخبره بنفسه فانسر سرورا عظيما ثم أخذا بيد بعضهما واختفيا عن أعين الناس بقوة الاسماء وسارا بأزقة مصر يتفرجان ويتحادثان ثم رجع ابن سينا به الى الدكان وحدثه بالواقعة وتضاحكا طويلا فتحدث الناس في أمر الصوباشي وكبير العسس وانهما صلبا فوصل الخبر الى الملك أبي النت وقد كان مشتغلا بالفرح ظانا انه خلص من ورطته وارتاح فلما ان أخبروه بهذا الخبر تكدر غاية الكدر فأرسل الى كبير العسس واستكشف أمره فوجده مصلوبا يقينا فجعل يلوم القاضي ويقول له أنت السبب في قتلهما حيث أمرتنا بصلب الصوباشي فصلب الآخر في جريمته وكل هذا انما هو من قوة أفعال الدرويش وعلمه بمكانة السحر فخجل القاضي من مقالته وأطرق برأسه الى الارض وتفكر غاية التفكر (قال الراوي) وقد كان ابن سينا متحملا من القاضي مما سبق منه في حكمه حين أمر بصلبهما معا وكنها في نفسه وحقدها وأراد الانتقام منه فيحكى والله أعلم انه كان ذات يوم مارا من أمام المحكمة حالة التفرج فوقع بصره على القاضي وهو متعاطي أمور مصلحته بنفسه فتفكر حين ذلك ابن سينا أن ينتقم منه فوقف ازاءه وقرأ كلمات من العزائم ونفخ تجاهه فحين ذلك تخيل للقاضي ان النائب وكان بقربه انه امرأته وانه بداره وجميع الواقفين هم جواريه ووقع به الانتصاب موقعا عظيما لم يقدر على دفعه وقويت معه حركة الشهوة وقد عمي بصره فمال الى النائب بوسا وعضا وزغزغة فقال له النائب ويلك ماهذا ياسيدنا القاضي فقال له القاضي ياستي أنا دخيلك اصبري لي ولو مرة واحدة هذا والنائب أخذ في شدة الصراخ ويبتغي منه مهربا فلم يطق من شدة تعلق القاضي بأكتاف ثيابه وعلا وله القاضي وصار كالثمل لايعي ولايرى غير امرأته وهو تارة يستلذ برشف رضابها ويظن أن صراخ النائب من قبيل المغانجة من حريمه فقال ياسيدتي تأني قليلا فاني لست مطيق الصبر ورفع رجلي النائب على خصره وجال خلالهما وأمسك آلته وصار يرشدها الى أفضل طريق ويرهز وسطه وقعد على قرافيصه ورفع استه الى الجو وانقض عليه كالبازي على العصفور وقد بطلت حركة النائب فاسترضى عن امرأته بذلك وصار يلاعبها ويزغزغ ثديها تارة ويعرك خدها أخرى ولم يزل مشغولا بهذه الحركة وكل من حضر مجلسه يتضاحك عليه فبينما هو في تلك الحالة الشنيعة واذا بأحد أتباعه أي الرسل مال على من بجانبه وقبله وحضنه

حضانة الطير أفراخها افــزاغ منه الآخر فتبعه ففر منه فلحقه وآلته المعهودة كعود الخيمة منصوبة كأنها قطعــة من حــديد وهو يظن أنه في الدار أيضا كالقاضي وامرأته وهو أيضا يتلطف بامرأته وهي لم ترض له وهو يترجاها فلم تستمع منه فمن شدة وجده وثب عليها وثبة الاسد وألقاها على الارض وشد وسطه بمنطقة رجليها ويرشد ضال طريقه الى سواء طريقه وصاحبه يستنجد أصحابه ولا يصغى اليه أحد وتجاولا وتعاركا وتصاولا فما كان عما قليل الأول الأعلى قلب الاسفل وصار يرتهز عليه في ذلك المحفل وبطلت حركات أعضاء الآخر ثم لم تزل هذه العلة تعدى واحدا بعد آخر حتى صار جميع من بالمحكمة من أتباعها وكتابها وخواصها وظالمها دون مظلومها يعلو بعضهم بعضا وأفواههم يعلوها زبد وبهم هوا وصاروا في كرب عظيم من شدة اجتهادهم وقد عميت أبصارهم وكلما نظر أحدهم الآخر ظنه امرأته ووثب عليه وانتصب بينهم سوق الاخذ والعطاء وغبن المشترى البائع وقامت رحى الحرب على ساق وظن انه يومئذ المساق وكأنهم حشر واحاملين أوزارهم وكل من مر بالطريق رآهــم على تلك الحالة فأخبر غــيره ولم يزل كل من مر يقف يتفرج فمن شدة الزحام هجموا عليهــم وتكاثر المتفرجون حتى علوا على الجــدران والاسطحة وانتشر الخــبر وملأ أسماع العالم حتى وصل الخبر لملك مصر أبي البنت فلم يصدق بالخبر حتى وصل بنفسه فرأى ما حل بالقاضي أشد مما حل بابنته فصار متحيرا في هذه الفعلة القبيحة ﴿قال الراوى﴾ كل ذلك يجرى وابن سينا مختف عن أعين الناس ولم يره أحد منهم لعظيم فعل علم السيمياء فقرأ حين ذلك عزيمة وفك بها ماهم فيه فنزل بعضهم عن بعض ووجدوا الملك وأهل البلد محدقين بهم فسألهم القاضي عن سبب اجتماعهم ونهرهم وعزرهــم فعايروه بما فعل هو وجماعته الضالون فأنكرهو ومن معه جميعا ولم يشعر وا بخبرهم وما قد وقع بهم ولكن انكارهم لا ينفع لان الشهود غــير ألف بل ولا تعد فأمر الملك وقتها بصلب القاضي لما عاين منه من ارتكابه القبائح عيانا فصلب لوقته عاجــلا بدون امهال ﴿قال الراوى﴾ ومن أعجب ما قيل ان عليا لما ان استمر ليلا بالمواصلة ونهارا بالفراق لم يطق التصبر وصار الوصال له هو عين البعد وحر كبــده هو من عين البرد وكانت تلك البديعة أهوى منه اليه فهما كما قال الشاعر

خمصاء هامت بــ...ــموم الحشا * ريان من خمر الصبا قد انتشى
يريك مــن طلعته لما انثنا * شمسا على بدر على غصن مشي

﴿وذا بلا شك قران السعد﴾

فصح أن الشمس تعشق القمر * كذا الصبا يهيم وجدا بالزهر

والخمر تهوى المزج كيما تبتكر * ومطلق الانثى تحن للذكر
(وافض على العكس بحكم الطرد)
ولم يزل كل على هواه * يشكو الهوى وهو الذى يهواه
يرجو وليس المرتجى الاهو * لكنه عزله اشتباه
(والحال أن الزوج عين الفرد)
لم أنس لا أنساهما اذ طلعا * بدرين أو شمسين فى أفق معا
فافترذا وطرف ذاقد دمعا * فليس يدرى سلما أو ودعا
(ضحك لقاء أو بكاء بعد)
وهكذا طريقة العشاق * اذا دنوا خافوا من الفراق
وان نأوا حنوا الى التلاق * أوضحكوا فالدمع فى الآماق
(فاعجب لحرى عن برد)

(قال الراوى) فلم يطق هذا البديع حر الفراق وقرب من ابن سينا وقبل يديه ومواطئ رجليه وقال له ياسيدى قد أضر بى السقام وازداد بى الوجد والهيام وحرت فى أمرى ولم أدر كيف أصنع فاذا استصوبت أن تعلمنى الاختفاء عن أعين الناس حتى أبدل وحشتى بالاستئناس وما عليك فى هذا الامر من باس فأعرض عنه عند ذلك ابن سينا لما علم من مضمونه ورأيه وقال له اياك ياولدى وهذا فاذا لم تصبر على وصلتها فاذا فبكى بكاء شديدا حتى ألان له عند ذلك صخرا وحديدا وقد كانت محبته من ابن سينا متمكنة تمكينا وعلم هذا علما يقينا وقال ياسيدى وولى نعمتى وباعث حياتى وسكن روعتى انى ثمل بخمر ريقها حيرانا وتهت من سكرتى وصرت نشوانا فاذا لم تغثنى بغاية مقصدى والمراد فأهيم اذا فى البلاد فعندها خشع قلب ابن سينا وخشى فراق محبوبه وعربدته اذ لا يسلم من شر الاوغاد والسفله من أشر العباد وقد وقع على رجليه يقبلهما ويترامى عليه و يقول له ياسيدى اذا لم تعلمنى هذه الكيفية فماذا أكون قد اكتسبته من شرف معاشرتك وأى فرق بينى وأنا وحيد وبين معاشرتى اياك فوالله الذى أوقعنى فى حبالة نصبتها تلك الغزالة لئن لم تعلمنى لأهلكن أسا بلا اطالة ونهض متباكيا وماس بقده امام ابن سينا كأنه قضيب خيزران فأخجل القنا بتيهه وسواد العينان وانعزل وصار يعلو نحيبه فتوجه اليه ابن سينا وتلطف بخاطره قائلا له انه يخشى عليك من تعليمك هذا الأمر من العطب لانه لا طاقة لك على العفة فيخشى أن تقع فى معصية رب العزة فيذبحك بسيف ما أمضاه وما أضره فأكون سببا لمعصيته تعالى فتمال الى ما أدعوك اليه فحلف له أيمانا وأخذ عليه عهودا أنه لا يتعدى حدود الله

ولا يتوجه لغير هذه البديعة واند على ما كان عليه لا يرتكب الباطل من خلفه ولا من بين يديه فعلمه ذلك الوقت ابن سينا علم التكحيل من الاختفاء فجربها المرة بعد المرة فلما ان اطمأن على اليقين بادر محبوبته من الحين ودخل القصر وجلس بازائها وتعلق بعنقها وقبلها فأوجست في نفسها خيفة وقد كان الجوارى احضرن المآكل وقد كان على جائعا وقصدن الجوارى مع سيدتهن المعدات لمجالستها وصرن يتعاطين من الطعام وقعد على بجانبها وصار يقطع اللقمة و يغمسها من الاصحن و يأكل معهن فنظرن الجوارى واذا اللقمات يرتفعن من جانب سيدتهن و يعلين الى الهواء ثم يغبن عن أعينهن في مسافة قريبة من فم سيدتهن ففزعن عند ذلك وقمن يهرعن ويخرجن من المكان وهجن هياجا عظيما فدرى من بالدار جميعا وفزعوا نحو حجرة ابنة الملك فلم يجدوا شيأ أبدا ولم يتجاسر أحد على الاقدام عليها وهى محدقة بعينيها و بعد برهة أكل على وعلم أن اللقم ترى ولا تخفى فسكت عن التناول فرفعن النسوة المائدة وغسلت البنت يديها وقعدت مكانها منفردة على عادتها فصار على يلاعبها حكم عادته بالليل فقالت أيها المخلوف من أنت وقد أفزعتنى فزعا زاد روعى وأزال هجوعى فأخبرها انه على فقالت له الآن تيقنت انك من الجن اذ الانس لا يختفوا وأنت لا ترى فخلف لها انه من الانس وانه مختف بواسطة ما علمه الدرويش الذى رأته عنده فقطعت الحس وشكت في أنه انسى وقالت انه أتى الى دارى ولحقنى فلا شك انه جنى وصبرت على مضض وأما على فانه بقى عندها الى وقت العصر وقصد نحو الدكان فوجد ابن سينا منتظرا له في الطريق و يقول أين توجه على اليوم فلا بد له من واقعة حال واذا به قد أقبل فقال له يا نور عينى وعين انسانى وانسان عينى أين كنت اليوم فقال له كنت بالسوق أتفرج فقال له ابن سينا انك كنت اليوم مستأنسا مع محبوبتك وتركتنى أصلى بنار الشوق الى لقائك وصرت متشوقا للطريق فقال له على وكيف أصبر أنا على نار الفراق وصار يتيه عليه دلالا ويميس قداوا عتدالا وقعد عنده وتحادثا طويلا حتى اذا أدركهما جيوش الظلام وتشوق كل محبوب بحبيبه وهام استحضر على بنت ملك مصر وتسامرا وتحادثا وتعانقا وتلاعبا الى برق الصباح وحلت عساكره الملاح ثم رجعت البنت لمنزلها وبكت بكاء شديدا ولم تجد لسوء حالها رشيدا وقالت وأى مصيبة أنا فيها ثم أحضرت دايتها وأخبرتها أنه صار يحضر عندى نهارا وقد ضاق منى صدرى ولم أره لوجها اذا أتى بالنهار فلا شك ان هذا جنى لا انسى وانى أخشى من مسه فأخبر وا بذلك أباها فبكى ولم يدر له حيلة ولا مذهبا وأخبر أبا الحارث بما استجد من أمر ابنته فقال له ان هذا أيضا من علم السيمياء ولكن قد سهل الامر فأرسل الى البنت خبرا انه اذا حضر

عندك فامري الجواري أنهم يغلقن الباب و يحكموا وثاقه وكذلك الشبابيك وارسلوا اخبروني فأمرت البنت الجواري سرا أنه اذا احضر وأشرت اليكم فأغلقوا الابواب والشبابيك جيدا وأخفوا هذا الامر ولا تظهر و اعلمه أحدا فلما ان خان وقت مجيئه وحضر هجم عليه عسا كرهمه وجيوش غمه واستعان على دفعهم بنظره في مرآة اسكندر جمالها وشن الغارة على سوادها ببيض سوالفها وابيضاضها وانتهز الفرصة في سلب أنواع الوصال وباع الرخيص منه بالغال فعندها نهضت سيدة الحسن والجمال ووثبت من مكانها في الحال وقالت له من تأنى نال ما يتمنى فاصبر قليلا حتى أنبه على الجواري يحضرن لنا الفراش ونتجرد عن العواش وصارت تنتفض بين يديه كالفراش ونحت نحو الباب وغمزت الجواري فغلقن الابواب وأرسلن الخبر الى أبي الحارث ففي الحال أحضر جانبا كثيرا من التبن وأمر بوضعه قدام الباب وأضرم النار فيه فامتلأ داخل المكان دخانا فنظر علي الحلوجي الى البنت ولم تحضر اليه فقال واعجباه وأي الاسباب أخرتها ثم نهض الى الباب فرأى أرباب الدولة وأبا الحارث أمام الباب يوقدون تبنا وافرا فقال اي وربي ان عديمة الوفاء خنت عليها وباعتني بأرخص ثمن وتمثل بقول الشاعر الفطن

فلا تأمن لانثى قط يوما ❊ ولو قالت نزلت من السماء

❊ ياسادة ❊ ثم هم خارج الباب وأراد الخروج للهرب فدمعت عيناه من الدخان ونزل الكحل منها ولم يجد ملجأ ولا مهربا فرأوه ورأى العين فوثبوا عليه دفعة واحدة وقبضوه والى الملك أحضروه وهم يضربوه ضربا عنيفا وجيعا فلما ان مثلوه بين يدي أبي البنت استخبرهم عن كيفية ضبطه ❊ قال الراوي ❊ ويحكى أن عليا حين أراد الانفلات من بين أيديهم هم بزوايا المنزل ليرى له مخرجا فلم يجد وضاقت حضرته فصار ينتقل من زاوية الى أخرى وكلما تعلق بكوة يجدها مانعة التحصن فرأى أنه لا سبيل الى الوصول للخروج منها ولا بد من القبض عليه فسلم أمره الى خالقه ومكث بأحد جوانب الدار فكثر عليه الدخان وكاد يختنق حتى كادت روحه أن تفارقه فدمعت أولا عين من عينيه هذا وأرباب الدولة يمعنون النظر من داخل المكان فاذا هم وقد ظهر نصفه الذي يلي العين التي دمعت فداخلهم الخوف والفزع وقالوا لابي الحارث ان داخل المكان نصف آدمي برجل و يد ونصف رأس وعين واحدة فقال لهم اثبتوا فلا شئ وانما هذا من علم السيمياء وقد اكتحل بكحل الاختفاء فدخل دخان التبن احدى عينيه فدمعت والآن تدمع الاخرى و يظهر لكم باقيه فكان كذلك كما قال أبو الحارث وقبضوه كما قدمنا وأحضروه الى ملك مصر فنظر اليه فوجده في أعلى درجة الجمال فمن نظر الى وجهه مرة واحدة لم ير

بعدها ألم الغم والهم فقال الملك سبحان الله ما أعجب هذا الجمال ثم سأله من أنت ومن أين وابن من وما الحكمة في اقدامك على مثل هذه الفعلة والمرأة وما سببهما ومن هذا الدرويش ومن أين أقبل وأين هو الآن وأين أنتم مقيمون وصار يستخبر منه فرأى على الحلوجي انه كان ما كان وتيقن بالهلاك ورضي بالقضا حين ماضاق عليه الفضا وصار كل من في الديوان في دمه خائضا ونهروه فقال في نفسه هلا كي ولاهلاك أستاذي وسيدي ولم يرد عليهم جوابا وثبت عزمه وجنانه وصاروا تارة يهددوه وتارة يتلطفوا به وتارة ينهروه ويريدوا منه جوابا شافيا فلم يفدهم ذلك شيأ ولم يزدهم الا النفورا فنهم من قال انه أخرس ومنهم من قال انه مبهوت ومنهم من قال انه لا يعقل والحاصل أن كلا منهم أدى رأيه فأخيرا احتد الملك غضبا وصاح على الجلادين دونكم وضرب عنقه فعند ذلك قال أبو الحارث وأرباب الدولة يا ملك امهل ولا تعجل فان قصة هذا الصبي مع ابنتك صارت شهيرة فاذا قتلته هنا لم يصدق أحد أبدا وانما الذي نرى فيه الصواب أن تسلمه الى الصوباشي ويطوف به البلد من كل جهة ثم يحضره الى محل السياسة تحت القلعة ويقتله واتفق رأى الكل على ذلك واستصوبه الملك أيضا وأمر بذلك فأخذ على مذموما مدحورا وصار المنادي ينادي امامه بكل جهة حتى اذا ما قاربوا الى جهة دكانه وقد كان جالسا ابن سينا بها متفرجا في حال المارين واذا بأصوات وضجيج فشخص لينظر ما الخبر واذا بعلي مكتوفا فقال وقد علا قلبه الهم وبأي كيفية أسلم نفسه لهم وكيف انهم عثروا عليه فذهب عقله عن راسه واحتد وكبر باسه وعظم مراسه وكان جاهلا الامر على وكيف ضبطوه ونب قائما على قدميه وقرأ عزيمة ونفخ تجاه علي فاختفى عنهم في الحال ولم يجدوا غير الاحبال ونظر الناس الى ذلك الحال فوجدوه صار في حيز المحال فتحيروا وانقطع الحس وبهتوا جميعا جميعا ورجع الصوباشي وجماعته الى الديوان وأخبروا الملك فتكدر عيشه ونظر الى ابي الحارث وقال له وأي فراسة رأيت في افلاته وقد كان بين أيدينا فلو قتلنا دهنا لاسترحنا من شره فقال أبو الحارث للملك اعلم ان هذا الولد مادام أستاذه لم يقع لنا في شبكة الاسر لا يمكن أن ننتقم من هذا الصبي وبالفرض لو قتلته فلا نسلم من شر استاذه والحاصل ان أبا لبنت صار يسب أبا الحارث في نفسه ويقول يا مشوم أنت لا تقدر على شيء ولكن لا أدري ماذا يؤل اليه أمرك وتحير فكره فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر علي وابن سينا فانهما دخلا الدكان وسأل ابن سينا عليا عن كيفية الواقعة فأخبره بها حرفيا كما صارت فأطرق برأسه ابن سينا قليلا وقال له اني حين امتناعي عن تعليمك علم السيميا انما هو ليس عن بخل ولكن احترازا من وقوعك في مفسدة مثل هذه فلماذا

تشرع في هذه المادة فلولا تداركك الله سبحانه وتعالى بالطاقة العمية والا كنت في آخر يوم من الدنيا وفقدت فاذا كان كذلك فما فائدتي لك بعد موتك سوى احتراقي بنار فراقك ومقاساتي الشدائد بعد موتك ونعم لطف الله بك حيث انهم أخرجوك الى خارج الشوارع جهارا وان ماوقع من الامور فقد فات وقد غلقت دونه الابواب فاذا قعدت في غاية تاديبك فيها والا تركتك وأتوجه الى حال سبيلي وأتركك على هذه الحالة وأنت تعلم الحال الى أي شئ يؤل فوقع على الحلوجي عند ذلك على رجلي ابن سينا وقبلهما ووقع في عرضه وترجاه أن يسامحه وتاب واستغفر وبكى وعاهده على أنه لا يشرع في مادة بدون مشاورته وأخذ منه العهود والمواثيق والايمان الوثيقة فلم يقدر ابن سينا على تركه لتمكنه من محبته ووقوعه في صيد حبالته فعفا عنه استجلابا للرضاء وسامحه فيما جناه وكان اذا أمسى الليل لا يقدر على أن يتحدث مع ابن سينا في جلب محبوبته وبقي أياما على تجلده ومكابدته ألم الفراق وأهمله ابن سينا تأديبا له ولم يلتفت الى ذلك وبعد أيام قلائل صار على يترجى ابن سينا في جلب محبوبته والتسبب في جمع الشمل بها فصار ابن سينا يقول لعلي ماذا تريد أن يكون فيقول له ليس يخفى عليك حالي ولي أيام وقلبي يصلى بنار الفراق وقد يئست من جنة التلاق وجعل يبكي فجعل ابن سينا يمسح دموعه ويطمنه انه قد آن أوان هجوعه وفي الحال عزم بعزيمة من ليلته وأحضر له محبوبته فنهض حين ذلك علي وترامى عليها وترجاها في العفو عنه والصفح عما جرى لها منه وذكرها بما مكرت به وكيف يليق لها ذلك هذا ما جرى لعلي وأما البنت فانها قد كانت أخبرت أباها سابقا بأنها لم تتوجه الى محل مدة أيام ففرح أبوها بذلك فرحا شديدا وقال لعلنا خلصنا من هذه المادة وانسر واذا به في حالة السرور حين عودتها في هذه النوبة قد أخبروه ان ابنتك قد فقدت أيضا فتجددت طول الهم بخفقان قلبه ثانيا فاشتغلوا بالتدبير واتفقوا على أنهم يدوروا بالبنت في أزقة مصر وتنظر المحل الذي تمر به في أثناء التوجه والمكان الذي تدخله وقد كان ذلك ففي أثناء مرورها بالشارع الذي فيه دكان علي تمهلت قليلا وتفكرت والتفتت يمينا ويسارا وقالت الله أعلم ان هذه الجادة التي أسلكها ليلا ولا أعلم المكان الذي أدخله هل هو دكان أو دار فأخبروا الملك بالكيفية حالا فرأى أبو الحارث ما استصوبه رأيه انه يتوجه أبو البنت مع عدد من الشجعان وينتظروا قدوم البنت اليهم ليلا ويمعنوا النظر من المكان الذي تدخل فيه ﴿زيادة﴾ فهذا ما جرى هنا من التدبير وأما ابن سينا فانه لم يعتن بهذا الامر أبدا وقد استحسن به فلما ان جن الليل لم يشعر أبو الحارث وأبو البنت الا والبنت مقبلة عليهم مهرولة ودخلت الدكان فأراد أبوها وأبو الحارث الرجوع بعد

ان عرفوا المكان فلم يمكن التصبر لابيها ودخل خلفها واذا اخل حجرة ولد كأنه البدر عند تمامه وبجانبه درويش واضع رأسه بجيبه كأنه فى حال المراقبة فدخلوا بدون تكلف وقعدوا وقد كان ابن سينا يعرف أخاه أبا الحارث وأما أبو الحارث فلم يعرف أخاه أباعلى بن سينا وكان يظن ان هذا الامر لو كان من أخى لما امتنع منى ولم يلتفت الى حال الدرويش هذا وأما ابن سينا فانه قرأ عزيمة وعقد ألسنتهم وعقد قواهم وأمسكهم وربطهم فلم يقدروا على التحرك وصار وازمنا باهتين مما وقع بهم ولم يقدروا على شئ غير الصمت فأمر على أن يحضر طبقا مملوأ بالحلاوة وقال للملك تفضل كل فهذه حلاوة ابنتك وكان الملك من شدة غضبه فضلا عن عدم أكله الحلاوة مضمرا فى نفسه أنه اذا وجد فرصة فى أن يشرب دم ابن سينا شربه ولكن لم يقدر على التكلم وقد هفت روحه كأنه لم يأكل طعاما مدة أيام عديدة وأكل من الحلاوة ففى الحين تكلم ابن سينا وقال يا حضرة الملك حيث انك أكلت الحلاوة فأنا أترجاك فى أن تجيبنى الى دعوتى اياك فى تزويج ابنتك هذه من ولدى هذا وكان الملك من شدة غضبه يأكل الحلاوة متشمتا عاضا على أنيابه وقد كان أبو الحارث معقود اللسان لا يقدر على أن يتكلم بل ولا يفجى نفسه وهجس فى نفسه انه يرى الامر ماذا يكون آخره فعلم ابن سينا بالفراسة انه صار محشوا بالغيظ والغضب ولم يرد جوابا والحال أنه معاين ما حل بابنته من غرائب الصناعة بل اذا أمعن النظر يرى ان هذه الحركات ليست الا مجرد كرامة ولى ومع هذا لم يرق قلبه الجحود وصار يأكل الحلاوة كاللعفان ففى الحال أخذ من مدربة أحد القاعدين على طبق الحلاوة يا كاون قطعة قطن وصار يفتلها فنظر ملك مصر وأبو الحارث الى ابن سينا ماذا يصنع واذا به قد فتلها وربط رجل أحد هؤلاء الذين يأكلون وحذفه الى سقف الدار وربط بالجانب الآخر من الخيط قطعة قشة تبن وعزم ونفخ فيهما فارتفع الخيط بمن معه وصار يكبر الشخص حتى صار قدر الرخ وأما التبنة فقد صارت كالعمود وكلما ارتخى الاعلى نزل العمود على أعين الملك وأبى الحارث فتعذبوا عذابا شنيعا حتى كادت أرواحهم تزهق ثم ربط الخيط فى قبيتهما وأرخاه فطاروا الى الجو وارتفعوا كثيرا حتى غابت عنهم الارض ثم نزلوا قليلا قليلا الى الارض ونزلوا بدهليز فسار وافيه يوما وليلة نازلين ثم انهم صادفوا بابا أمامهم فقصدوه طالبين النجاة فلما دخلوه وجدوا به بستانا كالجنة وأشجارها مزينة بالزهورات وأنواع الرياحين والورد والسنبل وبه الاطيار تغرد بأصوات متنوعة والحاصل أن هذه الحديقة تضيق صفحات السطور عن رسم حقيقة كنهها وصفاتها ويعجز عن ذلك طاقة البشر فصاروا يتفرجون زمنا بهذا البستان لشبيه بجنة رضوان ووجدوا عجائب لا توصف وهما يمشيان فوصلوا

الى

الى باب فقالوا واعجبا وأى شئ داخل هذا الباب فذهبوا قاصدين نحوه فاذا هم بالمحل الذى كانوا جالسين فيه فتفكر كل منهم فى حال الواقعة واستغرقوا فى بحر الفكرة فجمع أبو الحارث عقله واندهش ثم قال أيها الملك اعلم ان هذا الحكيم الفيلسوف الكامل الذى فك بعقله معضلات المسائل انما هو أخى أبو على بن سينا وقد حصلنا علوما فى محل واحد معا واعلم انه من قوة علمه جعلنى واياك رسولين للهوى ثم أهبطنا الى حضيض ما نهوى وجعلنا عبرة لمن يصغى وانما هذا كله من علم السيمياء والكيمياء ومع كونى ماهرا فى العلمين أعجزنى فى طرفة عين خذ حذرك منه واعلم ان مادونه فى دفاتر عقله من العلوم لو سطرت لكادت أن تكون مدونات كالنجوم ويعجز عن ادراك علمه الفهوم وان ما حصلته أنا ليس الا كقطرة من بحره وانه بعناية الله تعالى يبهت من باهر آياته آلاف من مسطور أفلاطون وان ما تيسر له لم يتيسر لاحد من أهل البسيطة وانه قد استخف بحضورى لمعاونتك فأراد تأديبى وتعجيزى هذا وقد اظهر أبو الحارث الانكسار للملك فاحتار اذا الملك فى أمره وتفكر فى ذلك وضاقت عليه المذاهب والمسالك وعظم عليه أمر بليته وحل مشكل رزيته فجمع أكابر دولته واستشارهم فى أمر عاقبته فأشار كل منهم بما وسعه عقله فقال أبو الحارث لا تتعبوا أنفسكم فيما لا نفع فيه وان هذا الرجل قادر على كثير من الاشياء وان كل ما رأيتموه منه للآن فهو على قبيل المزاح فاذا نحى نحو الجفا نضركم ضررا كثيرا وان دواء هذه العلة المداراة بالترجى فاذا كان ابن سينا أخى فانه اذا اجتمعت أهل البسيطة فلا سبيل لهم للوصول اليه أبدا فعند ذلك قال الملك لابى الحارث قد علمت ماهيتك أنت أيضا وأنتم جميعا لم تقدروا على خلاص أنفسكم وأنت قد طرت معى الى الهواء وهبطت للدهليز ولم تقدر على نجاز أمر حالك ثم أعرض عنه الملك وقال له قد علمت درجة كمالك ومعرفتك ومن الآن لم أهتم الى قضاء مهمى الا بالقوة فقال له أبو الحارث لك الامر وها أنا أتفرج ولا على المتفرج حرج ﴿قال الراوى﴾ وقد يحكى أن ملك مصر حين ذلك الزمن كان مالكا لمائة ألف محارب فجمعهم وأمرهم أن يحتاطوا بالمدينة لئلا يفلت ابن سينا من بينهم ثم أمر أحد أتباعه الجبارين وقال له ان المحل الفلانى فيه دكان من ضمن دكاكين الحلوانية وفيه ولد جميل ودرويش فدونك بهما وأحضرهما عندى فأجابه لذلك فلما أن حضر الى الدكان ودخلها وجدبها ولدا تكاد روح ناظره أن تخرج دون وصاله ودرويشا فى هيئة أفلاطون قاعدين معا وهما يتلاطفان فقال لهما ذلك الجندى وقد احتد منهما باعد عين الادب لماذا أنتما قاعدان قوما فقد أرسلت اليكما من جانب الديوان أجيبا الملك فقال له ابن سينا ممازحا ومستهزئا يا أغا أظنك غلطانا لاننا لا شغل

لنا بالديوان فغضب منه الجاويش واحتد جدا وامتلأ غيظا وقال له أنت للآن لم تقم
وتتكلم وهجم عليه وأخذ بيده عصا وقصد ابن سينا ليضربه ويسحبه فعند ذلك
غضب ابن سينا وشرع في عزيمة حالا وقال له كن قردا في الحال فصار قردا ثم أخذ
ابن سينا حبلا وربطه وأخذ بيده عصا وجعل يرقصه بها ويلعبه وهو متزي بزي
قرداتي وقال لعلي الحلوجي اقعد أنت بالدكان وقد اتخذ عليه دائرة بعلم السيمياء
وقال له لا ينالك ضرر وتوجه هو بجهة تحت القلعة يلعب القرد وصار يجمع عليه دراهم
وجعل لمن يضربه بالحجر ضربة نصف فضة فجعل القرد كلما ضربه أحد حجرا يقفز قفزات
في الهواء ويتضرع بصوت غريب ومن رآه على تلك الحالة صار يضحك عليه وقد كان
المسكين الجاويش ملجما لا يقدر على سرعة الحركة وكان مثل الدب الذي نشأ بالجبال
وصار يلتفت يمينا ويسارا من كثرة الضرب وعدم مقدرته على القفز وكادت روحه
أن تخرج من شدة ما عاين ﴿ياسادة﴾ هذا وقد استبطأ الملك رسوله فأعقبه بآخر فعلم
بذلك ابن سينا فحضر للدكان قبله فأتى الجاويش ونظر وإذا بدرويش يعلم قردا
اللعب فتعجب وقال حلواني وقرداتي كيف هذا وقد تضادت الصفتان ثم تقدم اليه
وقال له أجب الملك فلم يلتفت اليه وجعل يلعب القرد فاحتد منه الجاويش وقال له
أنيس الذي يكلمك رجل وسل سيفه وقصد ابن سينا فعزم عليه ابن سينا وضربه على
وجهه وقال له كن عنزا فصار عنزا في الحال وركب القرد على العنز وتوجه بهما يلعبهما
تحت القلعة فنظر الملك حين ذلك خلفه وامامه وجانبه متحيرا وقال ان كل من توجه
لا يعود ويلكم انظروا ما الخبر وما السبب في أن كل من أرسلته لا يحضر الى ثانيا
وأرسل ثالثا فجعله أيضا ابن سينا كلبا وآخر جعله دبا وآخر فجعله حمارا والحاصل
ان الملك كلما أرسل له جماعة جعلهم على أجناس الحيوانات وصار يدور بالبلد
ويطوف بها هذا وقد اشتهر الامر بأنه قد حضر قراد جديد ومعه جملة حيوانات
وضجت المدينة بذلك وقصده الصبيان والنساء وأحدقوا به من كل جانب وتراكموا
على بعضهم وتزاحموا عليه لانه لم ير أبدا جمع حيوانات في أحد أركان الدنيا مع
ملاعبين الامعه ثم بعد تكلفهم بمشقة اللعب وجههم الى الدكان وقد جمع عليهم
جملة دراهم فاجتمعت لديه الفقراء الجاويشية ووقعوا على أقدام ابن سينا وتمرغوا في
التراب وتضرعوا اليه بلسان الحال وتباكوا فرق عليهم ابن سينا ورحمهم وعزم
بعزيمة ورجعهم الى صورهم الاصلية وقال لهم توجهوا واحكوا بما رأيتم فلما نظروا
أنفسهم في الهيكل الانساني سجدوا واشكروا الله تعالى ولم يلتفتوا الى ما خلفهم
وقصدوا الديوان ووقفوا قدام الملك فلما نظرهم قال لهم مغضبا ما سبب تأخيركم لهذا
الوقت وأين الذي ذهبتم لتحضروه فأجابوه جميعا انما كنا نلعب تحت القلعة وقالوا من

يقدر على جلب هذا الرجل فقال الملك ماهذا الذي تتفوهوا به ياملاعين هل أنا كنت أرسلتكم لمصلحة أم للعب تحت القلعة وأمر بقتلهم فقالوا له ياصاحب الدولة وولي النعمة منامن صار قردا ومنامن صار كلبا وقصوا عليه القصة وانه لم يفكنا الا بوقوعنا على مواطئ قدمه وتعلقنا له في حالة الحيوانية فاندعر الملك من هذا الخبر وجعل بعض أنامله غيظا هذا وأبو الحارث يضحك من تحت شاربه وأما الملك فانه قال لحاشية دولته كيف العمل وقد عجزت عن ذلك ولم أدر ماذا أصنع بهذا الرجل وقد فعل بنا كل هذه الفعال وهو لم يتحرك من المدينة وثبت امامنا ونحن لم نقدر معه على شئ ماهذا الحال والفشل والجبن الذي أحاط بنا فموتنا جميعا أفضل من حياتنا ثم أمر الملك بأن تركب العساكر جميعا وأن يحضروا له فرسا وسلاحا فأحضروا له ما طلب وتحمل بالسلاح واعتقل بالرماح فقال له أبو الحارث ارجع أيها الملك لا حاجة لك بهذا كله ولا تتعب نفسك ولا تتحصل على غير الضرر فغضب الملك وقال له قم ياجبان وأي ضرر أشد من هذا الذي أنا به وان ابنتي تتوجه الى البلا وأنا متحرس نهارا فالموت خير من هذه الحياة وأمر عساكره بالمسير وقال لحاشيته لماذا أنتم وقوف اذهبوا الى الدكان الذي احتوى على هذا الحمار الوحشي وأحدقوا بها واحرقوها ودعوه يحترق بها فهجم هذا العسكر جميعه على دكان ابن سينا وعلى الحلوجي فدرى ابن سينا بذلك فوضع رأسه داخل عباءته وعزم بعزيمة فصار يخرج من الدكان عساكر تنوف عن مائتي ألف كل أربعين دفعة وخمسين كذلك خيالة وقرابة وابتدأ يخرج كل مائة سوى وقد اصطفوا وحملوا على العسكر الذي مع الملك فصارت بالمدينة حرب ومعركة زيادة عن الحد الذي يطيقه البشر فغلق أرباب الدكاكين دكاكينهم وفروا هاربين من عظم المصاب واشتد الكرب وزادهم الحرب حتى كانت الدماء على ماحكي بشوارع مصر من كثرتها تسحب الرمم ولا تسمع الا قائلا وايداه واعيناه ولا ترى الا كفا طائرا وبصرا حائرا وطلب الجبان الهرب واشتد اليه الطلب ولم تزل رحى الحرب دائرة حتى التجأ عسكر الملك الى القلعة ثم فتحت لهم الابواب وقد عظم لديهم المصاب وركن الملك الى الفرار من سبيل عسكر ابن سينا الجرار ولم يصدق بالنجاة حتى دخل منزله والحاصل ان ثلاث الليلة لم ينقض فيها أمر الحرب ﴿قال الراوي﴾ ولما كان عند الصباح وهل بارق الفجر ولاح احتاط عسكر ابن سينا بأطراف القلعة وضيقوا عليهم المسالك وظن كل من بها انه هالك وقد علوا على الاسوار وهم كالمعصم وآخرون كالسوار ولم يبق من عسكر الملك اثنان ملتئمان الا وقد تفرق جمعهما وتبدد شملهما وصاح عسكر ابن سينا هل تعطينا ابنتك والا نضيق عليك رحب الدنيا ونهدم القلعة عليك وقد عجز كل من

بالقلعة عن الخروج فأما حاشية الملك فمن ضيق أمرهم حضروا الى الباب والتمسوا
لهم أعذارا وطلبوا لهم الامان وقد قال الملك ان كان مرادكم البنت فنعطيها لكم
وابعدوا عنا شركم فلما سمع ابن سينا هذا الكلام رجع الى الدكان ودخلها
وتبعه عسكره وانمحى أثرهم فلما ان وضعت الحرب أوزارها طلع أهل المدينة
للشوارع فوجدوا جماعتهم لم يفقد منهم أحد ولم يقتل أحدهم ابدا فاحتارت
الخلائق عند ذلك وبقى الخلق على هذا اليوم واليوم من ثم ان الملك جلس بالديوان
وصار يتشاور وكان يبكى بدل الدمع دما صبيبا وقال كيف انى أزوج ابنتى لاحد
بياع حلاوة وماذا يقول لى الناس لابد من دواء لعلتى وهو يبكى فرجع الامر لابى
الحارث فقال أنا قلت لكم أولا وثانيا ان حركتكم هذه لاتفيد شيأ وان هذه المادة
لا يفيد فيها غير التدبير وان كان ولابد فيكون بالرجاء فارسلوا اليه أحد عظماء الدولة
يدعوه الى هنا فاذا احضر سألناه ماذا قصده ومرغوبه وعلى موجب جوابه يكون
العمل قال وكان من جملة أرباب الدولة رجل عاقل ذولب ثابت فتقدم للملك وقال اذا
ناسب فأنا أتوجه وأدعوه اليكم فأمره الملك بذلك فالتزم أصوب المسالك ﴿وقال
الراوى﴾ فيحكى انه لما أتى الى الدكان الذى به ابن سينا تقدم اليه البواب وقال
تقدم يا سيدى الى القصر الذى فوق فطلع الى فوق قال وقد كان ابن سينا أخبر بذلك
فرتب ديوانا بديع الوصف لا يتصور نعته وتحير العقول فى أشكاله وابن للملوك رسم
أمثاله فدخل الى الدكان فرأى حديقة وسيعة الرحاب وقد صنعت الاربع جهاتها
بتخوت مذهبة وعليها نحو الالف من الذوات الكرام والوزراء العظام وعلماء وحكماء
وهم جلوس عليها وأمامهم سلطان ذا هيبة ووقار وعظم واقتدار اسكندر زمانه
وأفلاطون أوانه وهو جالس على تخت عظيم وعلى رأسه أرباب النوبة شاهرين
سيوفهم وخلفه اثنا عشر ألف غلام أبهى من جمال يوسف وعلى رأسه تاج لا يكاد
يوصف وبحزامه خنجر مرصع بأنواع اليواقيت والاحجار المثمنة وبيد كل من الغلمان
سيف مسلول وبأوساطهم الخناجر المذهبة ولكل من جانبيه أبطال لا يسوون الزرخ
الداورى وعلى رؤسهم الخود وقد أحدق به نحو المائة ألف مقاتل كالليوث فمنهم
القائم ومنهم القاعد وبجانب آخر نحو ألفى جاويش وبأيديهم الدبابيس والسيوف
وبجهة اخرى نحو الالفى بواب وعلى رؤسهم البيض والخود والحاصل انه رأى ديوانا
منصوبا لايليق ملكهم ان يكون لاحدهم سايسا فخجل وندم على قدومه لذلك
المكان وقال ليت الذى كان ما كان وانما حيث لم يمكنه الرجوع فبالضرورة تقدم
وسلم فوضع له كرسيا من جوهر فقعد فناولوه شربات سكرى فشرب منه فتحير ولم يقدر
على ان يفاتحه أبدا وكيف يدعو ملكا الى زبال فتهيأ الى ان يتوجه فأنعم عليه

صاحب

صاحب السطوة والدولة العلية بتاج على رأسه أخضر مرصع بالزمرذ والزبرجد
والفيروز وبأعلاه جوهرة تضيء في ظلمة الليل البهيم وعلى كتفيه خلعة ثمينة فاخرة
بهية وأعطاه خنجرا مرصعا بأنواع الجواهر وقلده به وشيع هذا الرجل بجماعة الى
الباب فصار في تيه وعجب بما ناله من الكرم وقصد جهة ملكه وكل من براه
يتضاحك عليه ويتغامزوا عليه لانه كان من مقربي ملك مصر فلا يجسر عليه أحد
﴿قال الراوى﴾ فلما ان تمثل بين يدي ملك مصر واذا بالتاج قوارة بطيخة خضراء
والجوهرة التى تضيء هي قمع البطيخة وأما الخنجر فقصبة رجل حمار وأما الخلعة فقد
انقلبت قطعة حصير عتيقة متقطعة فعند ذلك صار كل من بالديوان يضحك عليه وقد
صار في أثناء كلامه يتيه فقال له الملك ويلك ماهذه الحالة التى أنت فيها فقال وأي
حالة ثم انه التفت الى الخلعة فرآها بتلك الصفة فألقاها عن نفسه ثم انه حكى للملك
بما رآه جميعا فتعجب غاية العجب ولم يعلموا ماذا يفعلوا فعند ذلك قال أكابر حاشية
الملك ان هذه المصلحة ليست الالابي الحارث حيث انه أخوه ففوض الملك الامر اليه
فعند ذلك قال له أيها الملك ألم أقل لكم انكم لن تقدروا عليه كل ذلك وحضرتك
تعاند وتريد ايقاع المستحيل بالقوة الجبرية فقال له الملك قد فوضت لك الامر فافعل
ماشئت ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك قام أبو الحارث وتوجه الى أخيه فعلم
أخوه بقدومه اليه فاستقبله واعتنقه واستعذر له وتباكا من شدة الفرح وقال له
ماهذه الكيفية التى نحن فيها وأنت على يقين من معرفتي أفلا تعلمني بذلك وتذاكرا
الامر الذى صار فضحكا كثيرا وتباسطا مع بعضهما هذا وقد حضر علي وقبل يد أبي
الحارث وتأدب بحضرته وقعدوا أيضا معهم فدعا له أبو الحارث وأعلم أبو الحارث أخاه
بأنه قد حضر من بغداد لدفع هذا المشكل وقال له لابد أن تتوجه معي فقال له ابن سينا
ياأخي ان هذا الرجل عنيد والله يجعل العاقبة خيرا هذا وقد كانت عصاة ابن سينا
مركوزة على الحائط امامه فعزم عليها فصارت حصانا وعليه رخت مرصع بأنواع
الجواهر فتقدم وركب عليه وأبو الحارث ركب الحصان الذى جاء عليه وأرسل الخبر
أمامه أن أخي حاضر معي فتصايح أهل الديوان جميعا وعلمت الخلائق بذلك فابتدروا
جميعا وهم مصفوفون في الطرق لاجل السلام والتفرج واستقبله جميع أهل
الدولة والديوان وقبل ركابه جميع الاشراف والاعيان وأرباب الصولة وكل من حضر
ومشوا امامه حتى أحضروه الى الملك وعظموه وأجروا له رسوم التكريم وقد كان ابن
سينا جريء اللسان ثابت الجنان ذا فصاحة وبلاغة فحمد الله تعالى وأثنى عليه
وعقد يديه امام الملك ووقف متأدبا فنظر اليه الملك بعين العبرة فوجده دروشا
حقيرا ووجهه يتلألأ نورا وكانت ملاحته وجماله يقدحان زناد القلوب فأمره

بالجلوس فجلس وقعد كل أحد مرتبته ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك قال الملك أيها الحكيم الماهر أهلا وسهلا ومرحبا قد أشتقنا زمنا طويلا الى قدومك فقال ابن سينا للملك حاشا الله من أين لفقير مثلى لا يساوى تراب الارجل ان يكون ذا لياقة لامتثاله بين الايدى فضلا عن أن ينتظر قدومه وسكت ثم صارت الضيافة ثم قال الملك لابن سينا أيها العليم والفيلسوف الحكيم أفلاطون الزمان الذى هو لعالم الفنون عنوان قد ظهر فى هذه المدة أفعال غريبة وأمور عجيبة فهل أنت الذى أظهرت هذه المبدعات فقال له ابن سينا نعم أنا العبد الضعيف فقال له الملك أيها الفريد ان هذه النكات التى بهرت عقولنا جميعا والبعض صدق بوقوعها والبعض انكرها اذ ليست فى مقدور البشر ومن لم يرلم يعتبر فهل لك أن تظهر لنا شيأ من ذلك بهذا المجلس لكى نرى باهر آياتك وعظيم كراماتك ليراها أرباب الديوان جميعا فقال سمعا وطاعة ﴿قال الراوى﴾ فيحكى ان ابن سينا لما طلب منه الملك اظهار شئ من الكرامات استحضر طاسة وقد ملئت بالماء وقال كل من أراد أن يرى العجائب فليحضر وينظر الى الماء الذى بالطاسة فأراد الملك أن ينظر بنفسه فنهض أحد الامراء وقال اذا استصوب الملك أنظر أنا وأخبره بما أراه فأمره الملك فنظر فى الماء فرأى نفسه بصحراء واسعة جدا واذا به تحوّل بنتا فى غاية الحسن والجمال فهجس له فى نفسه هل الحادثة واقعة كما هى أم تخيلات فوضع يده بين فخذيه واذا بينهما فرج مثل النساء فقال ما هذه الحادثة التى نزلت بى وتألم لتلك البلية وأمعن النظر بتلك الصحراء فما لها أوّل ولا آخر فتيقن حين ذلك انه وقع ببلية لم يقع بها غيره وصار يبكى بكاء شديدا وقصد جهة من الجهات يريد النجاة واذا امامه عبد أسود شنيع الصورة غليظ الهيكل بشيع المنظر فنظر هذه البنت فوثب اليها قائلا هذه امرأة وقع عليها فجاهد المسكين خلاص نفسه وبذل جهده فلم يفده ذلك شيأ فلحقه الزنجى وتعلق به جيدا وقال يا حبيبتى أين تذهبين منى فرماه تحته ساخطا أم راضيا فلم يدر المسكين أى بلية حاطت به فجعل يبكى فلم يفده شيأ وترجاه فلم يقبل منه وجاهد فى خلاص نفسه فلم يفلته وابتدأ الزنجى الخبيث بالمباشرة ففى الحال برز امامه ابن سينا من بعد وقد دعا الله فى خلاصه فصاح به وطلب لنفسه الامان من هذا النحس وقال أيها الحكيم الماهر خلصنى من يد هذا اللعين الفاجر فشفق عليه ابن سينا وتقدم اليه وشرط عليه شرطين وقال له اذا قبلتهما خلصتك منه فقال له خلصنى واشرط على ألفين غير هذين الشرطين فقال له الشرط الاول أن لا تظهر ما رأيته لاحد أبدا الثانى هو أنه لا بدّ لى من طلب بنت الملك لولدى فتكون لى معينا فى الطلب فرضى المسكين بهما وأخذ عليه العهد والميثاق فسك

ابن

ابن سينا التركي من ذراعه وحذفه الى جهة فغاب عن البحر فوقف قليلا فرأى أن الحس قد انقطع وفتح عينيه فرأى نفسه في الديوان ناظرا الى الطاسة فنظر يمينا وشمالا فوجد ارباب الديوان جالسين كما كانوا ينظرون اليه وابن سينا ينظر اليه نظرا مخفيا ويضحك فتحير هذا الانسان بما رآه وقام وجلس مكانه وصار يمسح عرقه بمحرمته فقال له الملك حدثنا بجميع ما رأيت لنسمع غرائبه فقال له أيها الملك ان الذي رأيته كثير لا حد له فلا يمكن أن أخلصه في مر السنين وكان ذلك مجلس صفاء أشهى ما يكون رؤيته وصار يتفكر ويتذكر ما جرى له وبهت فتعجب الحاضرون وقالوا واعجبا وأي شئ جرى له فنهض غيره وطلب الاذن منهم لينظر الى الطاسة فأذنوا له في ذلك فنظر فيها واذا به أيضا في صحراء واسعة ووجد نفسه عبدا أسود وثيابه خلقة مقطعة فصار يبكي ويتأوه من وقوعه بهذه الصحراء الموحشة وجعل يلتفت يمينا وشمالا واذا بتركي مقبل عليه فرآه فقال هذا عبد آبق فأقبل اليه وقبض عليه وأوثقه كتافا وحمله حجرا ولم يرق لحاله ولم يرحمه وصار يضربه ضربا مؤلما وساقه امامه ويقول له اسرع يا عبد السوء فقال له يا شيخ لست عبدا أسود وانما صرت هكذا بأمر الله تعالى فلم يلتفت له التركي وجعل يضربه عند كل لفظة يلفظها فتيقن المسكين ان العصاة كسبت حجة أكتافه ونبت بها دورا وقصورا فالتزم السكوت وصار يتفكر في أمره بالمشي سرعة وهو يضربه بكل خطوة ضربة فتورمت أقدامه واسودت الدنيا امامه وقد أيقن انه اذا تم الحال على ذلك برهة قليلة خرجت منه روحه لانه لم ير مصيبة مثل هذه المصيبة أبدا مدة حياته وهو في أعظم النعم وأرغد المعايش فاستغاث ودعا الله تعالى في خلاصه من هذه البلية فنظر مد البصر واذا بابن سينا مقبل فلمث غير بعيد واذا به عنده فتعلق به وطلب منه الشفاعة وأن يخلصه من هذا الجندي وصار يتأوه ويئن فرق لحاله ابن سينا وقرب منه وقال له أنا أخلصك من هذه الورطة على شرطين أحدهما أن تكون عونا لي اذا طلبت ابنة الملك لولدي والآخر ان لا تطلع أحدا على قصتك هذه ولم تخبر بما رأيت فحلف له ذلك المسكين العاجز بأيمان قوية ان يلتزم ذلك فمسك ابن سينا ذلك التركي من ذراعه وأبعده عنه وولى هذا الفقير داخل بئر كان هناك فنزلها فصارت رجلاه تنفرجان الى أعلا ورأسه أسفل وبالعكس وغطس بالماء وبعده قذفه الماء على وجهه ففتح ونظر بعينه وقد طار لبه من عظم ما قاساه بالوقعة في الماء فحين فتح عينه واذا به مكانه ينظر في الطاسة وأرباب الديوان كما هم ينتظرون خبره وما يحدث له ولم يختلف أحد من محله ولم يفت عليه دقيقة واحدة فقال سبحان الله وبحمده ما هذه التخيلات ورجع الى محله وجلس به فسأله الملك حدثنا بأمرك وما رأيت حتى نسمع حكايتك فقال أيها الملك الامر

لا يكاد أن يوصف وكيف أصفه وهو لا يكيف ولا نهاية للمكان الذي كنت به وفيه ما لا خطر على قلب بشر وآخر الحكاية تنسى أولها وأولها يضيع آخرها من عظم التفرج وانما يحتاج المشتهي أن ينظر بعينه حتى يعتبر بما يراه فتحير الحاضرون فخاطب الملك أحد البقية وقال له قم أنت وانظر واحفظ ما تراه ثم اذا سألتك فخذني بخبرك فنهض واقفا على قدميه وقرب من الطاسة وقعد بقربها وأمعن النظر بها واذا به في صحراء واسعة وقد لحقه العطش وصار دبا عظيم الخلقة فقال سبحان الله ما هذا وكلما أراد أن يتحدث صار يهدر كالدب ولم يطق التكلم وجرى قليلا يمينا وشمالا من شدة عطشه وقلق ولم يمكنه التوجه الى جهة ففي أثناء مشيه وبكائه على نفسه واذا بنحو عشرين من الاصيادين معتقلين الرماح وامامهم فرقة من الكلاب الذين أنيابهم كالحديد جارحين لا يمهلون الصيد دون أن يثبوا عليه و يفترسوه فنظروا على بعد واذا على مدا البصر دب يهدر فهجموا عليه من كل جانب وأحدقوا به وقالوا لبعضهم دونكم لا يفلت منكم هذا الدب فقال يا هؤلاء أنا آدمي ولست بدب وانما كلامه صار همهمة ولم تلتئم شفتاه على بعضهما فلم يفده هذا شيأ وهرب منهم يبتغي النجاة فلحقوه وهجمت عليه الكلاب وصالت عليه بأنيابها ثم أحدقت الخيالة به وصار كل منهم يوكزه بسنان رمحه ويرميه بسهامه والحاصل انهم صاروا ينهشونه وابتدؤا يأكلونه حيا فدعا هنالك ربه فاستجاب منه بأن أنجده على بعد بحضرة ابن سينا فابتدأ يتملق اليه بلسان حاله اذ عجز لسان مقاله فرحمه ورق لحاله ودفع عنه الكلاب والصيادين ورده الى صورته الاصلية بعد أخذ العهود عليه والمواثيق والايمان الشديدة ثم قال له اغمض عينك فأغمضها وانقطع عنه الحس فتضايق من غمض عينه اذ لم يجد بعد غمضه ابا ها حوابا ثم فتحها واذا به متغير اللون والطاسة امامه ولم يقدر على النطق فقال له الملك ماذا رأيت فصار باهتا كالحيوان وينظر لابن سينا طويلا فقال الملك واعجبا ماذا صار لهؤلاء والحال أن هذا المسكين كان متألما من نهش الكلاب اياه فلم يقدر على الجلوس هنالك فقام وتوجه الى منزله ليداوي جراحه فاستغرب الملك واقعة الحال وأراد أن ينظر هو بنفسه فنهض أيضا أرباب الدولة وقام أحدهم وقال مهلا أيها الملك حتى أنظر أنا وأخبرك بما أراه وتقدم الى الطاسة وجلس بازائها ونظر بها واذا به في برية وصحراء واسعة لا أول ولا آخر لها واذا بها غول بتقدير الله تعالى فكادت روحه أن تفر منه لبشاعة هيكله وقبح منظره وقدمات من العطش وهو فيها عريان كيوم ولدته أمه فتحير في أمره وأراد أن ينظر له ملجأ فلم يجد ولم يزل في بحر هذه الحيرة مستغرقا واذا بعقاب مخالبه مثل كلاليب الحديد انقض عليه من الجو وأنشب مخالبه بلحمه وارتفع به طالبا نحو السماء فرآه عقاب آخر

فقصده وخلصه من مخاليب الاول وتعاركا عليه فانفلت من بينهم وصار يفتل في الهوى فظهر عقاب ثالث وارتفع به والاثنان الاولان يقتتلان فظهر رابع وخلصه من الثالث فكلما سقط من بينهم نهشه آخر وكلما سقط من بين اثنين صارا يتعاركان والحاصل انه ظهر نحو ثلاثين عقابا وصار بينهم معركة عظيمة حتى شخصت لها الابصار وحارت فيها عيناه الجن كل ذلك وهذا المسكين يشاهد ذلك كله وقد ضربته مخالبها وصارت جراحته تمج دما وصار في كر وفر وهو هابط لا يدري ولا يعي ووقع ببئر فيها أثرماء وقد ملئت من الرويه والوحل فغرس بها الى وسطه وبعد برهة رأى ثعبانا عظيما مكعكا فلما نظر اليه هم ليلتقمه فتحير أمره وجاهد في نجاة نفسه فتخلص من الرويه وقصد أحد زوايا البئر فرآى أن لا مهرب اضيق المحل فدعا الله سبحانه وتعالى فنظر واذا قد ظهر له ابن سينا من أحد الاركان فوثب اليه واسترحمه ورق لحاله وقصده فتعلق به ووقع على رجليه تقبيلا فقال له ابن سينا ماذا تقول في اني سأطلب ابنة الملك واذا طلبتها هل تعاونني على ذلك فقال اى وربي كيف وأنت سبب حياتي وباعثي من بعد مماتي وعلى يديك نجاتي فأخذ عليه العهود والمواثيق ثم أشار له الى جهة من المكان واذا به باب فطلع منه واذا به ينظر في الطاسة فنظر الى ابن سينا متحيرا وابن سينا يتبسم وهذا المسكين صار متألما من الجراحات التي أصابته من العقبان وهو يجد ألمها وكان كلما وقع به ضجيج وصار مستغرقا في بحر الحيرة متعجبا في هذه المادة التي لم يسمع بها أبدا فقال له الملك ماذا رأيت فلم يرد له جوابا وتوجه لينظر له طبيبا ليطب جراحته فتحير الملك عند ذلك حيرة عظيمة وقال ان لهؤلاء القوم واقعة حال وأراد أن ينظر الى الطاسة فوثب أحد الحاضرين على قدميه واستأذن الملك أن ينظر اليها هو فأذن له الملك فتقدم وقعد ينظر بالطاسة واذا به في صحراء واسعة جدا وبرية ذات تيه فاشتد عطشه من شدة الحرارة التي بها وهو عريان متحير لم يدر أين يذهب وركن الى الالتجاء والمهرب فلم يجد ما خلفه الا كما امامه فبكى بكاء شديدا وهطلت دموعه ولم تبل آماقه من الحر فبينما هو على تلك الحالة واذا امامه على بعد جمل حامل عليه كالفيل وفمه يربد وهو فاتح فاه مسرعا اليه فابتغى منه مهربا وقد انحلت فرائصه وارتخت أعضاؤه وقصد كل مكان فلم يجد له منجا ولا مهرب وقد كان هذا الجمل في سرعته لم يكد يهرب منه عقاب فضلا عن هذا العطشان النكيد الزائد الهم والنكد ومن عظم ما وجد من الكرب والخوف تيم جهة فارا من شدة خوفه فلم يزل مجدا في السير هاربا حتى جذب عنقود قلبه من سرعة نفسه فوصل اليه الجمل وقصد بلعه واذا امامه هوة فرمى نفسه فيه وكان بهذا الهو شجرة نابتة عظيمة فوقع عليها فتعلق بأغصانها وتنفس قليلا ثم نظر أسفل الشجرة

واذا بتنين عظيم فاتح فاه ينتظر سقوطه وهو ناظر اليه فالتفت الى منبت الشجرة واذا هي نابتة على سقف صخرة وقد تسلط عليها جردون معول وهو يقرض أصولها ولم يبق الا نحو قيراطين وتسقط به فيلتقمه التنين فالتفت ليرى جهة يلجأ اليها ونظر الى أعلى الموقف فوجد الجمل يزبد وفمه نحوه مفتوح وهو في حالة كاد أن يسقط عليه فدعا الله أن يخلصه من تلك الحالة واذا هو بابن سينا ظاهر له فصرخ عند ذلك عليه وترجاه في الخلاص وبكى بكاء كادت عيناه تقطر دما فشفق عليه ابن سينا وقال له كيف تكون اذا طلبت ابنة الملك لولدي فهل تعاونني على ذلك فقال اي نعم فأخذ عليه العهد وخلصه على ان لا يظهر قصته لاحد فحلف ايمانا شديدة ومن شدة ماهو فيه مما عاينه لو كان المصحف امامه لابتلعه فضلا عن الايمان فنفض ابن سينا الشجرة وأسقطه منها على الارض فظن انه واقع في فم التنين فصاح صيحة وفتح عينيه فوجد المجلس الذي فارقه حين نظره الى الماء الذي بالطاسة ووجد الملك جالسا وابن سينا يضحك فقال سبحان الله العظيم ماهذه الحالة المحيرة التي حلت بي وقلبه يرجف وقام الى محله ورجلاه وارمتان من كثرة جريه وخوفه وقد احترق قلبه وكبده من العطش وأظلمت عيناه ولم يقدر على ان يستقر بموضعه فسأله الملك ماذا رأيته زيادة عن بقية الجماعة حتى انك صحت هذه الصيحة التي أفزعتنا جميعا فأجابه لا تسأل عن شيء وان ما رأيته من الصفا والزوق لا يعبر بمجرد القول أبدا وسكت وهو ينظر بعين العبرة الى ابن سينا فكاد الملك أن يهلك من شدة الغم وطرق يديه وتعجب وكلما يسأل أحد الناظرين على مارآه فلم يجبه أحد أبدا وهم سكوت فقام واحد آخر وتقدم الى الملك واستأذنه على ان ينظر بالماء الذي بالطاسة كأقرانه حتى يرى ماهذه الحركات فأمره بذلك فنظر في الطاسة واذا به على ساحل بحر خالي الجهات عن كل حيوان وصوت وكان هذا المحل لم يطأه أحد فحينما رأى نفسه في هذا المكان غاب عن الوجود وصار في درجة من اليأس حتى انه أيس من رجوعه الى موطنه اياسا كليا وبكى بكاء شديدا وأنشد لسان حاله يقول هذه الابيات

دهيت ولم أدر بما قد أصابني ✻ وأصبحت كئيب الحال بالوجد والبعد
وأمسيت أشكو ذلتي وتباعدي ✻ وأحاطت بي صروف الدهر بالنكد
تراني غريب الدار أضحيت مغرغرا ✻ بعيدا عن الاوطان والالف والولد
وأصبحت في قفر عديم أنيسه ✻ شنيع الزوايا زائد الحر والوقد
أجول به ذات اليمين وميسرة ✻ اماما وخلفا زائد الضنك والوجد
وقد كان هذا بالتقادير والقضا ✻ بحكم اله العرش الواحد الفرد

﴿قال الراوي﴾ وبعد ان فرغ من مقاله وما أبداه من شعره ونظامه صار يتعجب

ويعلو

ويعلو صوته حتى سمع الحاضرون منه ذلك وهو لم يدر من نفسه وقد عبس وجهه وقشعر جبهته وجمع شفتيه كرضع العيال باكيا وتحير الى أين يذهب وقد سدت دونه أبواب السبيل والطرق ثم تفكر وقصد جهة طالب النجاة ومشى قليلا وهو ينظر الى أمواج البحار كالجبال ولم يكن قبل علم بالبحر أبدا وتلاطم أمواجه وهو في تلك الحيرة والنظر الى البحر واذا بشراع مرفوع أبيض فوقف لينظر ما هذا واذا في برهة قليلة وصلت اليه مركب كبيرة وقربت من البر وأرمت المرساة ومدت السقالات الى البر وخرج منها جم غفير من أرباب المركب وقصدوا نحوه فأراد هو الركون الى الفرار فأخذ قوانه من كل مكان وأوثقوه كتافا وألقوه بالمركب ورفعوا القلاع وما كأنهم الا حضروا لأخذه وكان جل مقصدهم فساروا قليلا واذا بالامواج ارتفعت وصار ماء البحر يعلو ويرتفع فصرخ الرئيس وقال لهم ويلكم ماهذه الحالة التي نحن فيها وقد اندهشوا فنظروا الى البحر فرأوا ها بشة قصدت هلاك من بالمركب فصاح أرباب المركب جميعا وجمعوا أمرهم على أن يرموا اليها أحدا فداء عنهم فقالوا لبعضهم ومن يرمى فقالوا نرمي الذي أسرناه فعند ذلك صرخ ذلك المسكين وقال أنا أنفعكم لا ترموني فلم يسمع منه أحد وقربوه الى حافة المركب ليلقوه فأيس من الحياة وناجى ربه واستنجده واذا بابن سينا قد برز له من جهة من جهات المركب فصرخ اليه وتظلم له وقال له أيها الحكيم بالأمور المحصل لما في الصدور انجدني من هذه المصيبة وبكا بكاء يفتت الأكباد فرق له ابن سينا وقرب منه وقال له اذا خلصتك من واقعتك هذه هل تعاونني على طلب ابنة الملك لولدي علي وتكتم سرك هذا فأجابه الى ذلك ورضي وحلف له ايمانا مؤكدة فمسكه ابن سينا من يده ورماه الى فم تلك الهابشة فزعق المسكين من صميم فؤاده وقال آه صار خارفا صوته وفتح عينه واذا هو بحافية الطاسة فتحير من أمره واندهش وصار ينظر يمينا وشمالا فوجد المجلس بحاله ولم يتحرك أحد من مجلسه وهم شاخصون اليه والملك ينتظر خبره فقال له الملك ماذا جرى لك وما شاهدته من غرائب الامور حتى انك صرت تبكي تارة وتصرخ أخرى وما نشدك التي قلته وأنت تستغيث وتنادي بأعلا صوتك وتستنجد بابن سينا ما هذه الفعال فقال له أيها الملك ان جميع ما شاهدته مني فهو بخلاف ما كنت فيه أنا رأيت من موجبات السر ورما لا يوصف ولا يعبر ومن سمع ليس كمن رأى فيحتاج الامر الى المشاهدة وقام الى محله وأطرق برأسه وقلبه يرجف ويخفق خفقان الطير بيد الصغير وهو ينظر لابن سينا فوجده يضحك فعند ذلك تحير الملك وقال ما دهم هؤلاء القوم وما سر هذه القضية التي كل من اطلع على مكنون سرها خرس وبهت ﴿قال الراوي﴾ ثم ان الملك قام بنفسه ونظر الى الطاسة فلم يجد خلاف الماء شيأ فقال لابن

سينا لم أجد غير الماء شيأ فأمره ابن سينا أن ينظر ثانيا فنظر الملك فوجد نفسه داخل بئر عريانا وقد غطس بالماء وارتفع ولم يزل على هذه الحالة وماء البئر لا قرار له وصار يمارس تلك الحالة ولم يجد شيأ يتبسطه الاحجرا صغيرا وسعه بأصابعه شيأ قليلا فلم ينفعه فصار يغطس ويرتفع على وجه الماء ليلة كاملة ولم يستطع شيأ وكلما غطس ابتلع ماء كثيرا فصار كالقربة من كثرة شربه بالماء فنظر الى فم البئر فوجده في بعد النجوم صغيرا جدا فعلم أن حالته آلت الى العدم ثم بكى بكاء شديدا وقد يئس من النجاة فبينما هو كذلك واذا بدلو ابتدأ بالنزول الى البئر فكأنه تداركه الخضر بلطف الله فمسك الدلو مسكا قويا فظن صاحب الدلو انه ملئ ماء فصار يسحبه حتى اذا قرب الى فم البئر وجده انسانا فظنه جنيا فافلته فكر هابطا الى أسفل وهو يكر ككر المغزل وهرب الغلام وكان عبدا وأخبر سيده بالقصة فتعجب أيضا سيده وقال ماذا يفعل الآدمي داخل البئر فحضر سيده مع جماعة وأدلوا الدلو والملك المسكين من شدة مكابدة الغطس والارتفاع قد مسك الدلو ثانيا مسكا وثيقا فأخرجوه فنظر الى الذين أخرجوه فرآهم من أحسن الناس فحانت منه التفاتة الى جهة فوجد عسكرا كثيرا يستحيل عدده وخياما سلطانية وأعلاما متنوعة منصوبة وصهيل خيل منتشرة وبغالاتهم معهم عرضهم يوم وكذا طولهم فقال سبحان الله العظيم وتعجب اذ لم يخطر على قلب بشر اجتماع عسكر بهذا العدد ثم انهم سألوه هؤلاء الاكابر عن حال واقعته

❊قال الراوي❊ ومن أعجب العجائب أن هؤلاء القوم حين سألوه فلم يعرف أحد منهم لغته فأخذوه الى خيمة وأطعموه وقد كان غلبه النعاس فنام وفي أثناء ذلك أي وهو نائم رأى الشمس قد قربت منه وأحرقته حرارتها فأراد تبديل مكانه وفتح عينه فلم ير أثر الخيام ولا السرادقات ولا العساكر فتفكر هذا الملك وقال ما هذا الامر المدهش الذي وقعت فيه أنا أين ذهبت هذه العساكر في برهة قليلة من الزمن وأنا لم أدر وقد هدموا الخيام وكذا الخيمة التي كانت منصوبة علي فلم أشعر بذلك وصار ينظر يمينا وشمالا فرأى نفسه في برية مشحونة بالتعب وصحراء مملوءة بالهجير واللهب فاذا هب منها ريح سموم على قوم أو حيوانات هلكت من حينها واحترقت فتأسف على نفسه من هذه الواقعة وأنشد لسان حاله يقول

تحيرت والرحمن لاشك في أمري ❊ وأحاطت بي الاحزان من حيث لا أدري
وأصبحت حيران في وقفر بلاقع ❊ خلي من السكان لا وحش ولا طير
سوى الرياح السموم عواصف ❊ تهب هبوبا هائلا زائد الشر
ولم أعلم أي المقاصد ألتجي ❊ وقد صرت فريدا في المهامه والقفر
ولم أدر ما قد نالني وأصابني ❊ من البعد والتشتيت والبأس والضر

بليت بأحزان وكرب وغربة * وأصبحت حيرانا مع الوجد والفكر
فأسألك يا رحمن يا سامع الدعا * ويا منقذ الغرقان من لجة البحر
ويا كاشف الكربات يا دافع البلا * ويا غافر الزلات يا مسبل الستر
بتوراة موسى بالخليل وما دعا * بانجيل عيسى بالصحائف بالنهر
بحق كتاب أنت بينت فضله * على ما سواه من كتاب ومن شعر
بكتبك بالآيات بالرسل كلهم * بتقديرك الاشياء بالنهى بالامر
تمنّ على بالخلاص من الردى * وتنقذني من ذى المهالك والوكر
فأنت رجا من التجى وبك النجا * فلا ملجأ الا اليك من الضر
فكن لى مجيرا يا الهى وخالقى * ونج نجاة تبدل العسر باليسر

(قال الراوى) والحاصل أن الملك لما فرغ من ذلك الشعر والنظام صار حائرا فى تلك الصحراء الواسعة الرحاب التى لم تطأ أرضها ركاب ولا يمطر ساحتها منذ خلقت سحاب فصار بها بريد النجاة وعيناه تدمعان دما صبيبا ولا يجد من يجده صاحبا ولا حبيبا وسار بها الى المساء حيرانا وتدلى لسانه من شدة العطش وصار ولهانا فيا لها من كربة قد أحاطت بعساكرها ويا لها من شدة لم يلح صبح باكرها ويا لها من مصيبة أحاطت بعساكرها وكأن جهنم بالنسبة لها جنات عدن والموت لديه ألذ من الحور العين وما بعدهن فكابد مشقات ورأى نكبات الى أن دخل عليه الليل وهو باكى العين بدماء كالسيل ونادى الويل الويل وهدت قواه وانصرمت منه حبال الحيل فارتاح نوع راحة من حرارة الشمس ولكن صار خائفا جائعا عطشا نافريدا وحيدا فاشتد بكاؤه ونحيبه وقد تورمت قدماه من شدة حرارة الرمال وندم على مشاجرته مع ابن سينا وعلم أن هذا كله غلط منه وخطأ وعزم بنيته انه اذا خلص فى هذه المرة مما هو فيه يمتثل له فى ظاهر كل أمر وخافيه ولا يخرج من تحت طاعته ويعيش معه فى حرز الامان وعزم بكليته على ذلك ومال اليه وأشهد الله على ما عوّل عليه وأما باب عشم الخلاص فقد أغلق أوقاته وندم على موضع الصلح اذ فاته فتفكر فى نفسه حين يأسه من الخلاص ان ابن سينا قصد ذلك هلاكه لاجل أخذ البنت لولده المعنوى على الحلوجى فرضى بالقضاء ووطن بأقدام الصبر على نار القضاء ثم بكى بكاء ابتلت من دموعه لحيته لما عظم عليه مصابه وبليته وصار مبهوتا فتنبه لحاله وقال ان الصباح اذا أدركه عساكره وطلعت عليه الشمس انحرق من شدة الحرارة فنهض قائما على قدميه وطلب ما يستظل به ومشى وهو يتخيل امامه كأن أشيا تتحرك ولم يرها من شدة الظلام فأسرع فى عدوه واذا بأسود زنجى مهول الهيئة مشوّه الخلقة عظيم الراس شديد المراس فاتحا فاه وقد قصده

يريد ابتلاعه وهو يتهرب منه وذلك يجرى خلفه ولم يجد ملجأ ولا ملجأ فانخلع قلبه من الخوف وأيس من حياته وقد أدركه الزنجى ولحقه من الخوف ما أوجب سقوطه الى الارض وسلم الامر لخالقه فعندها نظر واذا بشعلة نار فحمد الله تعالى اذ الحال انفرجت أزمتها وكثر ازدحام الناس وطمع فى نجاته وقصد نحوهم وهو فى شدة وكرب وعطش فقرب منهم وبدا ينفجر صبح سواد كربته واذا بغولين وقد استحسنا بجثته فوثبا عليه وقال أحدهما للآخر هذا نصيبنا قد ساقه الله الينا وأمسكه أحدهما قويا وجاء الآخر وتعلق به من جهة أخرى فقال الاول ان الصيد لى وأنا اقتنصته فانتظر لك آخر فكثر الجدال بينهما وقال الآخر خذ أنت كل ما يأتى بعد هذا وسلمه لى آكله فزاد القيل والقال بينهما وعلا الكلام وتضاربا وتصاولا وتجاولا فتارة أحدهما كان يلقى صاحبه الى الارض ويعلو عليه وتارة ينعكس الامر وقد جرحا أوجه بعضهما وشجا رؤس بعضهما ونهضا قائمين وقبضا على بعضهما ففر المسكين الى جهة ونجا منهما بشدة التعب وقد لحقه من التعب والخوف ما لا مزيد عليه ووقع وقد أتى الى غابة والتجأ الى مكان ظليل وأراد الاستراحة قليلا ونوى أن يأتى الى مكان مؤتمن لينام به قليلا حيث كان له مدة لم ينم ففى أثناء مسيره واذا بثعبان عظيم الخلقة بسبعة رؤس فقام الثعبان برؤسه فوجده انسانا فهم حالا أن يبتلعه ونفخ نارا من فمه تتأجج وشفطه فانسحب رغما عن أنفه الى فمه لما فى شفطته من جذب الهواء بقوة فصار كالذى هرب من دب فوقع فى جب وقال لا محالة انى هالك هذه الواقعة فتعلق بأحد أشجار الغابة حتى بطلت عنه قوة جذبه وفر عدوا الى جهة يريد النجاة وهو باكى العين وقد كانت النار التى خرجت من فم هذا التنين أحرقت أخضر الحشائش بل وبعض الاشجار فارتفعت النار الى الجو وانسد الافق من دخانها فلما حالت النار بينه وبين التنين صار فى أمان منه واطمئنان ولكن لم يمكنه الخروج من النار وذهابه الى أى جهة فتيقن باحتراقه وقربت منه النار حتى أن شعره ولحيته شاطتا وكاد ان يحترق فى ثيابه ويئس اذن من الحياة فهنالك ناجى قاضى الحاجات رب الارباب ومسبب الاسباب فظهر عندها ابن سينا من داخل النار فطلب الامان منه واسترحمه وقال له أدركنى عاجلا يا عديم الانسانية ماهذه المصائب التى سلطتها على وبكى بكاء شديدا فتبسم ابن سينا وقال له لماذا تعاندنى وتبارزنى بالكرات العظيمة وقد شاهدت منى عجائب دفعات عديدة ولم تنصف وتعطينى البنت فمن عديم الانسانية منا أنا أم أنت فاذا امتثلت الامر وأعطيتنى البنت نجيتك والا الآن أهلكك وآخذها بالعنوة منك بوجه السهولة فرضى الملك وقال له خلصنى من هذه الورطة وخذها

خلفه وأخذ عليه العهود والمواثيق وقد كان بيد ابن سينا طاسة مملآنة بالماء فألقاها عليه ففتح الملك عينيه واذا هو بالديوان بجانب الطاسة والمجلس كما هو ولم يتحرك أحدهم من مكانه ولم يجد من معالم ما رآه شيئا فقام وقعد مكانه ولم يسكن ألم الحرارة التي وجدها وموضع الشياط في ذقنه فنظر الى أبي علي ابن سينا واذا به ينظر اليه من لحاظ عينيه ويتضاحك خفيا فأطرق برأسه الى الارض من خجله ماذا يقول وماذا يفعل وقد ضاعت حواس عقله واستغرق في لجة التفكر فقال له أحد أرباب الدولة ياملك ماذا رأيت عند نظرك بالطاسة وأظن انك صرت امرأة وقال الآخر بل صار زنجيا والثالث قال صار دبا فنظر اليهم الملك بالحقد والغضب ولم يجبهم ثم قالوا جميعا في نفس واحد انه وقع بورطة عظيمة وسكتوا فتفكر الملك قليلا ورفع رأسه وخاطب ابن سينا وقال له ياصاحب العلوم الغريبة والفنون العديدة العجيبة ويافيلسوف زمانه وأفلاطون عصره وأوانه ما المراد من هذه الفعال التي قد أدهشتنا جميعا فأجابه ابن سينا ان مقصدي رأيته عند نظرك للطاسة في برهة من الزمن ثم أنت جالس على سريرك فاذا كنت متوهما فيما رأيته وشككت فيه فاسأل أرباب دولتك يخبروك فقال أرباب الدولة نعم ياحضرة الملك قد كنت ناظرا الى الطاسة مدة نحو ساعة ثم قمت وجلست مكانك فقال الملك سبحان الله اليوم سادس يوم وأنا تارة في البئر وتارة في الصحراء أشاهد أنواع العذاب ولم أخلص من كل لا بشق الانفس وحكى لهم بجميع ما شاهده وعاينه كل ذلك وأهل الديوان له سامعون ومنه متعجبون فدعا هنالك ابن سينا للملك وأثنى عليه وقال له ياصاحب العناية وولي النعمة ان ما رأيتموه من هذا الفقير من النكات هو كلا شئ فان ما من الله سبحانه وتعالى به على من العلوم التي أتحقق بها ولا يكون فيها شبهة ولا ريب كالبحار الزاخرة وكل ما رأيتموه فهو كقطرة من لجة وقد شاهدتم البراهين مرارا عديدة فالاصوب الآن أن تكرموا على هذا الفقير بأن تكفونا شر مؤنة الحرب وتوفوا بما وعدتم على سنة رسول الله وكتاب الله تعالى وتعطوني ابنتكم لولدي وهذا الاكدر فيه واذا قلتم انكم أغنياء وهو فقير فهذا غرور وكبر من أفعال الشيطان وليست هذه الفعال دالة على حسن أصل الانسان فقال له الملك نعم نعطيها ولكن دعنا نتدارك أمر الجهاز برهة ثم يجري اللازم فلما سمع ابن سينا من الملك هذا الكلام أعجبه وهم الى دكانه قال فلما حضر ابن سينا الى الدكان وجد عليا يبكي حزينا فانظر قدوم شيخه وترامى على قدميه عند قدومه عليه وقال ياسيدي أنا تركت هذه البنت فقال له لماذا يامحبوب قلبي وسبب حياتي قل لي ماذا طرأ على بالك وأي شئ دهاك فكل ما طلبته أنا قادر عليه ومادمت حيا لا تحتاج الى غيري وأي حاجة أردتها فهي

حاضرة بين يديك فانظر الى هذا الحكيم مع كونه فيلسوفا عاقلا أديبا لبيبا ناصحا لجميع الخلق صار أسير المحبة ولم يتمالك نفسه وانقاد لمعشوقه انقيادا أبهر العقول اذ لو كان للعشق دواء دون الوصال لتداوى به هذا الفاضل وانما كان وصاله مجرد المشاهدة وحاشاه من ارتكاب نحو الصغيرة دون الكبيرة وأخذ علما من يده وأجلسه بجانبه وصار يلاطفه فقال له على أنا أتعبتك فى هذه المادة فتارة يدعوك وتارة يحاربوك ولم أدر ماذا آخر هذا الامر فأترجاك فى ترك هذه المادة فقال له يا ولدى ان الناس قد سمعوا ما صار بينى و بين الملك فاذن لا يمكن السكوت دون أخذ انتباه لك فدع عنك هذا وصار يتحدث معه و يلاطفه ﴿قال الراوى﴾ هذا ما كان من أمر ابن سينا وعلى وأما ما كان من أمر الملك فانه اختلى ودعا أبا الحارث وقال له يا أيها الحكيم قد علمت انى قد صرفت من أجلك أموالا لا تحصى حتى أحضرتك الى هنا وقد كان همى واحدا فصار اثنين وأنت أوميت لنا الى الهند وعلمت ماذا أصابنا من ملكها من الفضيحة ما عدا المصاريف التى صرفتها وكنت أنت السبب فى سماعى مر كلامه وجرستى عند الخاص والعام من الناس وقد صار معلومنا عدم معرفتك وكنت شريكنا أيضا فى بعض المشقات التى عانيناها ثم تحزنت ومن خوفك من هذا الدرويش ادعيت أخوته فاذا يؤل اليه أمرنا فاذا كان طلبته البنت له خاصة فلا بأس اذ هو صاحب معارف كثيرة و يليق له أن يصاهرنا و بذلك كنا نخلص من طعن الخلق فكيف انه بعد جوره وتعسفه يقول اعط ابنتك لولد أجنبى كل ذلك وأنتم لا غيرة لكم علينا وأظن ان درجة عجزك أقعدتك عن النهوض الى ابراز مقدرتك وقد طعن على أبى الحارث طعنا كثيرا وشنع به فقال له أبو الحارث مادام انك تقول انه اذا طلب ابنتك لنفسه كنت لا تمنعه اياها وتعطيها له لكونه ذا معارف شتى وانه حقيق به أن تتصاهر وهذا الذى قادر على ذلك كله يجهل علينا وأنا أترجاه أن نظهر عساكر كثيرة بعلم السيميا و يجلب أموالا كثيرة و يفنى على ولده و يكسبه قوة ولياقة لمصاهرتك ثم امنا نزوجه ابنتك واعلم أيها الملك انه اذا اجتمع الانس والجن على ابن سينا لا يقدرون عليه فضلا عن كونهم لا يسلمون من شره فعند ذلك انكوى كبد الملك بنار الغيرة وقال لابى الحارث يا قليل الغيرة والحياء يا عديم الانسانية مادام انه لا يخرج من يدك شئ أليس من الاصوب أن تقول أنا عاجز عنه وعاتبه عتابا شديدا وأوجعه بالكلام وأرسل بالمدائن حاشرين أن يأتوه بكل ساحر عليم ولم ينظر بعدها الى أبى الحارث فخجل أبو الحارث كثيرا وقبض على لحيته برهة واستغرق فى بحر الحيرة ومن عظم ما حصل له من الخجل والتشنيع لم يقدر أن ينظر الى وجه أحد وتغير من انه لم يمكنه شئ و وقعت به الحيرة والغيرة وأراد الغدر بأخيه وانما لم يبرز ذلك لاحد لما أنه

علم ان ابن سينا وكل بهم خدا ما يسترقون السمع وخاف من انعكاس القضية عليه وقام
من المجلس واختلى بمكان آخر وتفكر قليلا وبكى من العار الذى لحقه وأجمع أمره
على أن الموت أفضل من العار وفى الحال بنى حماما فى مصر مثل الذى بناه ببغداد
وأظهر ريحا باردا واختفى هو بزاوية من زواياه عن أعين الناظرين فاشتهر أمر الحمام
بالمدينة وحضر كل الناس للتفرج عليه فسمع به ابن سينا فطلب هو أيضا أن يرى ذلك
الحمام ففى ذات يوم أخذ عليا من يده وأتى لاجل أن يتفرج بالحمام وحيث انه عرف أن
هذا بمعرفة أخيه أبى الحارث لم يحترز على نفسه لما انه لم يقصد ضرره وأمن طرفه
فتجرد ودخل الحمام مع الولد فرأى الحمام واذا هو ليس فى طاقة البشر مثله فى البنيان
فعلم انه من علم السيمياء فوقعت به الشبهة وأراد الخروج الى خارج الحمام وقد كان
أبو الحارث كامنا له فقرأ العزيمة عاجلا ونفخ عليه فرأى ابن سينا نفسه بصحراء واسعة
فتحير فى أمره وقال من دق دق وواحدة بواحدة جزاء وكما تدين تدان وفهم ان أخاه غدر
به فنظر فى أطرافه فوجد فى تلك الصحراء جبلا وبخلفه مدينة عظيمة عديمة المثال لا
تصفها الواصفون فقال ابن سينا ما هذه المدينة ونحا نحوها حتى اذا ما قرب منها استحى
أن يدخلها اذ هو مأتزر بفوطة الحمام فقرأ على الفوطة عزيمة فتحولت جل فرس
وتوشحها وقصد المدينة فوجد على بابها رمالا وقد احتاطه أرباب الحاجات وهو يأخذ
لكل أحد طالعه ويخبرهم بالسعودات والنحوسات فأراد ابن سينا أن يسأله وينظر
بم يخبره مستهزئا به فسلم على الرمال وقال له اضرب لى تخت رمل أيها الاستاذ الماهر
فنظر الرمال الى ابن سينا واذا هو عريان متوشح بجل فرس فقال له ان الدولة قد
اجتمعت عليك وطالعك بلغ أوج الذرى فلا تحتاج الى الرمل واستهزأ به قليلا
فاحتد ابن سينا من قوله باطنا وقال له أى للرمال يا جاهل يا أحمق لم تنظر الى لبسى وأنا
سلطان هذا الزمان بيت شعر بالمعنى

لا تهزأن بمخلوق على خلق * من لبسه وله باع وسلطان

فقال له الرمال نعم ظهر انك ذو باع وتسلط لم لا تأتينا بجان من عسكرك فنظر أبو على
ابن سينا الى جهة الباب وقرأ عزيمة واذا بالصحراء عساكر لا تعد ولا يحيط بهم
البصر وهم لابسون من آلات الحديد ما لا يقاومه البصر الحديد فقال ابن سينا
للرمال هذا عسكرى قد أقبل فنظر الرمال الى الصحراء واذا بالعساكر كعسيب
النخل وقد قصدوا المدينة فضاقت حضيرته واضرمت نار احشاشته ونهض
حالا الى ملك المدينة وقص عليه القصة وكان اسم المدينة قالونيا واسم ملكها
دقيانوس وكان ساحرا فاسقا ملعونا عنيدا زنديقا وقد اجتمعت فيه الخصال الذميمة

وكان يدعي الالوهية وأظهر لهم خوارق العادات ولكن ليس هو دقيانوس المذكور في التواريخ وانما هذا الملعون كان أعداؤه كثيرين وكان على خوف وحذر فظن عند الخبر أن أعداءه هجموا عليه سيما وان المخبر له كان شهيرا في الرمل فلم يشك في ذلك فقصد ابن سينا وقد أخبره الناس أن العساكر قد دخلوا المدينة فعند ذلك أمر هذا الملعون بقوة سحره عسكرا جسيما فلما رأى ابن سينا غارة هذه العساكر تحير ولم يعلم أن ذلك مادة علم السحر وقد امحى أثر عسكره وأمسكه ذلك الملك وأوثقه كتافا وأمر به أن يقتل ففي الحال تدارك ابن سينا نفسه قائلا ما هذا الحال وقد وقع بصره على دقيانوس الساحر وأمعن النظر منه وتفرس أحواله فعرف انه ساحر فقال له يا ملعون ما مرادك مني فأجابه دقيانوس يا مجهول الاصل من أين أقبلت ومن أنت قال أنا درويش من عباد الله تعالى فقال له دقيانوس اسجد لي واسلم من شري والا أهلكك بكيفية تصير بها مثلا بين العالم ففي حينئذ ابن سينا على ركبتيه وقال له يا ملعون اذا القيتني فافعل بي ما شئت وقرأ عزيمة غاب بها عن العيون فعند ذلك قال اللعين دقيانوس ما أسحره من حكيم وما أمهره من عليم وقد تحير دفتر عقله في وجود مكانه الذي غاب فيه قال وكان لدقيانوس تلميذ ماهر في مادة السحر فأحضره وقال له ائتني به وان لم تأتني به أهلكتك فأبذل مجهوده واذا ابن سينا جالس داخل دكان خراب من دكاكين المدينة فسلم عليه وقال له أجب الملك فقال له ابن سينا الا أتوجه فقال له الآخر لا بد لك من توجهك معي فقال ابن سينا أنا رجل درويش فماذا يريد الملك مني فقال له الساحر اذا امثلت بين يديه فعند ذلك تعلم مراده فقال له ابن سينا الا أتوجه الامر غوما لي فاذا قدرت على توجهت معك ففي الحال قرأ ذلك الملعون الساحر عزيمة واذا بنار مقبلة ودنت من الدكان وكادت أن تدخلها فعزم ابن سينا الديها فاطفأ النار وكان اسم تلميذ الملك هذا جالوت فأمسكه ابن سينا من يده ودفعه واذا به على ما حكي أنه صار مسلوب العقل وبعد برهة فتح عينيه فوجد نفسه في بحر وكلما أجهد في خلاص نفسه لم يقتدر وكلما عزم وسحر لم ينفعه ولم يفده شيأ فعجز وتحير وضاقت حضيرته وابتدأ حينئذ بالسباحة وبكى وهو في تلك الحالة وعجز وكلت سواعده ولم يجد له قوة الرمق فضلا عن السباحة فرق لحاله ابن سينا ومال اليه من صميم قلبه وبقي عنده ثم خلصه وأحضره امامه وقال يا جالوت يا ساحر هل أنت معترف بذنبك فاستحسن جالوت معرفة ابن سينا ومال اليه من صميم قلبه وبقي عنده فأذن له بالذهاب فلم يرض ولم يبرح من مكانه وأسلم على يديه ووقعت محبته في قلبه مولعا به وقال له أنا في خدمتك وقد أمسى عليهما الليل وهما في تلك الحالة فناما في تلك الدكان فغضب الملعون دقيانوس لما استعلم بذلك من علم سحره

وقصد قتل الاثنين ونهض قائما وأتى الى الدكان فوجد جالوت نائما فقطع رأسه وعبر داخل الدكان فوجد ابن سينا قد صار أربعين ابن سينا أو أزيد فلم يعلم أيها يقتل فتحير وصبر قليلا ثم قصد قتل الجميع وقد كان ابن سينا نائما ذلك الوقت ورأى في المنام أن عليا الحلوجي وقع في ماء معكر وجاهد في الخروج فلم يمكنه فمن فزعه على علي وثب قائما على قدميه فرأى الملعون دقيانوس على رأسه وبيده خنجر فدفعه ابن سينا في صدره أوقعه من الدكان بسرعة بعزيمة تلاها وطلع خارج الدكان فوجد جالوت قتيلا فدفنه وقصد توجهه الى مصر عاجلا فبقوة علم السيمياء وصل الى مصر قبل الصبح فتوضأ من النيل واشتغل بالعبادة الى الصباح وأما دقيانوس فانه بعد برهة وعى لنفسه ووجد ابن سينا مفقودا فلم يخبر أحدا بهذه المادة من شدة حيائه وجلس بمنزله هذا ما كان من أمر ابن سينا مع دقيانوس *(قال الراوي)* وأما ما كان من أبي الحارث وعلي الحلوجي فيروى أن أبا الحارث توجه بعد اجراء قصده بأخيه للديوان للملك فوجده جالسا مع أكابر دولته يتشاورون في قضية ابن سينا وعلي الحلوجي فقبل الارض وتقدم وقال أيها الملك اني انتقمت من عدوك ابن سينا فعند ذلك اعتدل الملك ولاحت بوجهه أعلام البشائر وكاد من فرحته أن يطير وقرب أبا الحارث منه وقال له كيف عملت فقال له ان المادة كيت وكيت وقص عليه الخبر كما جرى فقال له الملك مادام هذا الرفضي غائبا فنحن نفترس بالولد الذي هو سبب لهذه القبائح والشنائع كلها واستشار أبو الحارث في أمره فقال أبو الحارث أنا فعلت ما فعلت وأبعدت عنكم ابن سينا بمكان بعيد جدا فافعلوا أنتم ما بدا لكم *(قال الراوي)* فيحكى ان عليا الحلوجي لما شاهد ما جرى لاستاذه علم ان الدهر خانه فيه وقد كان تعلم الاخفاء من ابن سينا فأخفى نفسه بجهة ولم يبرح بها حتى أراده الملك فارسل اليه جنوده فلم يجدوه ابدا ففوض أمره الى أبي الحارث فأخذ يضرب الرمل وربع مصر مرات عديدة حتى دلهم عليه وأبطل الاخفاء عنه وأمرهم أن يحضروه فتوجهوا اليه وأحضروه الى الملك بالديوان فقال له الملك يا ابن الاوغاد قد ألحقت بي بلية عظيمة ثم أدهيتني برزية لم يده بها غيري وفضحتني ما بين العالم هل أفلتك من يدي بعد ظفري بك واستحضر النطع وأمر الجلادين بقطع رأسه فوثبوا عليه كالذئاب بوجوه عابسة وقد سلوا عليه سيوفهم وهجموا عليه وصاروا ينادوا بأعلى أصواتهم ان هذا جزاء من يهجم على أعراض الملوك ولم يأب المعصية فصاح بهم الملك دونكم جزوا رأسه ولا تمهلوه واسكبوا دمه واقتلوه فعند ذلك قال أبو الحارث أيها الملك امهله ولا تعجل عليه فانه ما دام أخي ابن سينا في قيد الحياة فانه لا بد من حضوره فاذا وجده مفقودا فلاشك في اعدامك بل ويوشك أن لا أسلم من شره وانما قصدي بابعاده ان أربه

درجة علمي واني لست بجاهل في علم السيمياء ليخفى عنك ما أنت فيه فاني أخبرته بجيئي هنا الدفع تعديه عليك ومع ذلك لم يرجع فقصدته بهذه النكتة لمقابلة ما عمل بي وبك واعلم انه اذا اجتمع أهل الدنيا جميعا على أن يضروه لم يقدروا عليه وهذه الفعلة ليست مضرة به فقال له الملك أيها العالم بمهمات الامور انظر الى أخيك وأحواله وكيف ما حل به هل هو حي أم ميت وترجاه غاية الترجي فأخذ امامه رملا وابتدأ في تشكيل الطوالع وصار يتفرج في مرآة الدنيا فوجد بها من العجائب والغرائب ما لا يوصف بحجر تحت الرمل قال وقد كان ابن سينا ان حضر الى مصر توجه الى دكان علي الحلوجي واذا بابه مغلوق وقد خلا ولم يكن به أحد فمضى بسرعة يجري الى منزله ودق الباب ففتحت والدة علي الباب واذا هي بابن سينا فتأوهت وبكت وشكت له أحوال علي وصارت تبكي حتى استبكت ابن سينا معها الرقة قلبه على تلميذه ولده وقال في نفسه انه كان قصدنا نفعه فسعينا في ضرره وكنا سببا لاعدامه وتأسف عليه وقال لها وأي وقت قبض عليه فقالت له أيمكنك ادراكه أو اذا قتل تجد فيه أثر الروح فتفكر قليلا وبكى وهو متزوعنها وحط رأيه على اعدام والي مصر فانه مادام في قيد الحياة لم يمكن ابن سينا من غرضه اذ رأى منه من الامور الباهرة للعقول مالو رآه غيره لاعتبر واخبر اساق أدهم فكره الى ميادين المعاندة ثم ابتدر وعزم وأظهر صحبة ورد عجيبة الشكل والمثال ومن العجب ان ذلك الوقت كان خاليا من وجود أنواع الورد وحضر بها الى امام حضرة الملك في صفة كريهة المنظر رثة حتى ان من رآه تظنه من قوم لوط وقد أبقاه الدهر عبرة لمن لم يعتبر وتوجه الى الملك ووقف ممتثلا في غاية الادب ودعا له بلسان فصيح قال وقد كان أبو الحارث مطرقا برأسه يبحث على أبي علي بن سينا وعلى الحلوجي واقف في ميدان السياسة ينتظر وروده حياض الموت وهو في كل نفس يتجرع صرف كأس المنايا وهو يقول في نفسه اذا كان موتي يكون فداء لابن سينا فلا بأس وما حياتي بعد فقده الا كالعدم هذا والملك يقول لابي الحارث اسرع لي بالخبر وقد تناول الورد من الدرويش الجالب الورد وأعطاه لابي الحارث تبركا ولم يلتفت أبو الحارث الى مناول الورد فشمه فمات من حينه وسلم روحه الطاهرة المقدسة للباري جل وعلا وقد كان ابن سينا سم الورد قاصدا هلاك الملك فكان السبب سابقا في الازل الى أبي الحارث فطار عقل ابن سينا من رأسه جزعا على أخيه فانظر الى حكمة علام الغيوب وقد وجه الشيء الى مستحقه وبه سبقت الارادة الازلية فتحير ابن سينا واحتار في أمره اذ وجد أخاه هلك وتحير الملك أيضا وقال ويلكم انظروا ماذا الخبر ففي أثناء اشتغالهم بحال أبي الحارث لم يشعروا الا وابن سينا أخفى نفسه وعليا من محل السياسة وقصد هلاك الملك فوجده بريئا

في تلك القضية وكان السبب في هذه المفسدة أخاه أبا الحارث فجوزي بحكمة القادر جل جلاله بما هو أهله وقال ابن سينا هذه النوبة للملك كافية وان عاند بعد الآن جازيته بما هو أهله ثم ان عليا فتح عينيه فوجد نفسه سالما مع ابن سينا بالدكان فبكى بكاء شديدا وقال له ان عدم وفائك ظهر لي كيف تركتني أسيرا وحيدا مقصوص الجناح مسلوب الفؤاد وغبت عني فهل هذا يليق بشأنك اذ ليس من المروءة والانصاف ترك مثلي وأنا مطلوب وقد عجز واعني بوجودك وقد جفوني بعدك وملني أصدقائي ولم أجد لي معينا على مصيبتي ولم يكن أملي منك هكذا فما هذه الصفوة التي هي غير حقيقية فلو كنت غبت عني برهة أيضا لما وجدت لي أثرا الا رميما ملقى بالتراب وصار يتذلل هو عليه ورق جلمود صخر قلبه اليه ولان حتى صار كالماء الآسن فأجابه بعد سماع در منظوم كلامه الممتزج بسلافة رضابه العسال الذي جعله ثملا يا سلطان مسند الحسن والجمال ومتصرفا بقلوب أسرائه بدون مثال ويا مالكا اسر قيادي ومحبوبي ومرادي هل أنا وجهت بارادتي وكيف أطيق فراقك وقد امتزجت روحي بروحانيتك وانما أخي أبو الحارث وجدني غافلا وفي ثياب عز محبتك رافلا وقد كنت معتقدا انه لا يهون عليه ما فعل بي ولا يبيعني بأبخس ثمن وقد أبعدني بقوة علم السيمياء عنك بمسافة بعيدة وقد شاهدت بتلك الديار مهالك عظيمة مهولة ولولا الأجل لم يبق بيني وبين الموت الا دون طرفة عين ولم يمكن خلاص نفسي في مدة أقل من هذه ولم يكن هذا باختياري وللباغي مصرع وقد كنت قاصدا اهلاك الملك فلم يصب السهم الا محله واعتبرت بموت أخي اذ كان سببا لهذا كله والا لاهلكت الملك بعد في أقل من لمحة البصر وبعد هذا فكن مطمئن البال ولابد أن أفني جميع ما ربك وصار يلاطفه ويمازحه وجلا مرآة قلبه وأرسل الى والدته فطمنها بابنها ففرحت بورود ابن سينا أكثر من حياة ولدها اذ لولم يكن حضر لعدم ولدها فحضرت عندهما وتملت برؤية ولدها وحمدت الله تعالى وأثنت عليه وبقيت معه حتى اطمأن قلبها وطاب خاطرها وتوجهت الى منزلها هذا ما كان من أمر ابن سينا وعلي الحلوجي *(قال الراوي)* وأما ما كان من الملك فانه لما رأى سقوط أبي الحارث ميتا احتار حيرة شديدة وضاق صدره وتفكر في أمره وضاقت عليه الأرض بما رحبت وعض على أصبعه واستقر في لجة الافتكار وفهم أن هذه الحالة انما حصلت من الوردة التي ناولها اياه ذلك الدرويش الجرار ولم يشك في ذلك فأرسل يكشف خبره وأراد أن ينظر الدرويش ويقبض عليه وتحيل وأرى الناس أن الملك يريد أن يقابله بالاحسان في نظير الوردة التي أتى بها فبحثوا عليه فلم يجدوه وطلبوه ففقدوه وازداد تعجبه من فقده في الحين وقال ان هذا من صناعة ابن

سينا ووقع بالملك الخوف لما اين فعله بأخيه وارتعدت فرائصه وقد صعب عليه أبو الحارث وقال انه قد فقد دون فائدة وأمر بتجهيزه ودفن بالفيوم من قرى مصر على مسافة ثمان عشرة ساعة ببلدة يقال لها دمين وقد اشتهر الآن باسم في دمين ومن ذلك الوقت الى وقتنا هذا كل عام يصير على قبره موسم فيه نحو المائة ألف ﴿قال الراوى﴾ وأما ابن سينا فعندو روده الى الدكان بعد يوم أجرى مأتم الاخيه يومين وندم وتأسف على ما حصل منه من الخطا العظيم وسلى نفسه وقال من مات فقد فات ثم كتب كتابا وأرسله الى الملك أبي البنت مضمونه أيها الغدار الظالم قد طلبت ابنتك لولدى على السنة الطاهرة المحمدية فنحت نحو الغدر والمعاندة وتمنعت عن ذلك وكم عاينت منى من عبر ولم تعتبر ولم تعطف الى وادى الانصاف وأخيرا قصدت هلاكى فمن لم يهلكه الله تعالى فلا هالك له ومن أهلكه فما له من محي وقد خلصنى ربي مما قصدتموني به وبسبب معاندتك قد صار منى خطأ عظيم وأبعدت بيني وبين أخي الذي لا يسمع الزمان بأخ مثله وقد أصابنا خنجر ظلمك في كبدنا ومن الآن لا صبر لى أيضا فما اذا جوابك هل تعطيني ابنتك لولدى على سنة نبي آخر الزمان محمد بن عدنان عليه أفضل الصلاة وأتم السلام أو يمكنك اثارة مفسدة وهل بقي عندك طمع بعد أخي في تسلط الساحرين علينا كما أثرت به فاذا كان ذلك فهيا وتقدم أنت وهم فاذا أصغيت الى قولى فاترك هوى نفسك وتكبرك والا أهلكتك والسلام وأرسل اليه الكتاب ﴿ياسادة﴾ فلما قرأ الملك الكتاب عجز عن رد الجواب وصار باهتا وواقعه من الخوف ما لو وقع بقلب يهودى خلى من الايمان في سن الثمانين لاتصل من حينه بمشاهدة أنوار رب العالمين فلم يجب بسوى العطا ولكن من غير نية وأراد بذلك المماطلة حتى يخلص نفسه منه بسهولة وقد كان أرخى عيونا لطلب السحرة الماكرين فاطلع ابن سينا على انه فضلا عن منعه ابنته لو وجد فرصة في شرب دمه لما أمهله طرفة عين فقرأ عزيمة ونفخ بها الى جهة دار الملك فرأوا انه ظهر في الجو مزنة سوداء وكلما قربت ظهر منها أصوات غريبة لم يسمع بها من قبل مفزعة حتى اذا ما استوت على المدينة أمطرت ضفادع وكلما أبرقت وأمطرت ظهرت أصوات الضفادع حتى أصمت اسماع أهل المدينة وزادت الامطار حتى صارت من الكثرة تمطر كالثلج وانسد الافق عنهم وكان كل ضفدعة منها قدر الهرة وعند نزولها ترعق وتنزل الى الارض ثم انها تصيح بشدة وتموت والحاصل انه امتلأت المدينة بصياح تحيرت منه العقول والغرابة في أن ما مات من الضفادع انبعج في الحال وبدت منها رائحة كريهة وأنجاس غريبة تكاد الارواح لا تنتشاقها تبلغ الحلقوم وكلما ألقيت تلك الجيفة

بعيدا عن المساكن أبدانت بعشر أمثالها واذا أحرقوها لم تؤثر النار فيها وصار كلما تمطر فبمجرد نزولها تنتفخ وتنبعج ثم تموت ويبدو منها رائحة كريهة حتى أمسكت الناس عن تعاطى أمر مصالحها وتفكروا فى حكمة ماحل بهم من هذه المصيبة وسببها وكيف السبيل الى دفع مضرتها فتيقنوا جميعا ان هذه الكيفية من أنواع العذاب من مبدعات عجائب ابن سينا فقالوا وقد أجمعوا أمرهم أن يتوجهوا الى دار الملك ويأمروه باعطاء ابنته فاذا لم يرض أهلكوه وهدموا عليه داره ويخلصوا ابنته منه عنكا ثم توجهوا اليه وقالوا ان جميع ماحل بنا من العذاب والاهوال أولا وثانيا وثالثا انما أنت سببه فاما أن تعطى ابن سينا ابنتك وتخلص نفسك وأنفسنا من هذه المهلكة والا أهلكناك نحن بأيدينا وأعطيناه اياها فأمر الملك باحضار أرباب دولته وحواشيه وتشاور معهم فى أمره فقالوا جميعا أيها الملك هذا الحكيم قادر على كل مهلكة وهو ذو فنون وعلوم وقد طلب ابنتك على السنة والكتاب برضاك مع كونه قادرا على أن يهلكك فى الحال وايانا جميعا ولا طائل تحت بساط معاندتك وانا رأيناك قد آل أمرك الى الهلاك وانه ليس بعد المزاح الا الجد واياك ثم اياك ومنعها وانظر الى ماحل بنا جميعا من أنواع البلايا فلولا خلوص صداقتنا معك والا كنا مع أهل البلدة عليك من عظم مانحن فيه من أليم العذاب وما تجلدنا معك الا حين بلوغ أرواحنا الى حلاقيمنا فعندها لا تصدق بالاخاء دون المبارزة عليك والا افترقنا منك وما الملك الا بالرعية بل هو حينئذ أحق بالملك منك حيث قاومك وحده بدون ماكلفة ولا مشقة فانظر لنفسك مخلصا فعند ذلك مال قلبه ضرورة الى اعطائها طوعا أوكرها اذ لا مجال الى المعاندة وقد استنجدت أهل المدينة بابن سينا ووقعوا على مواطئ قدميه تقبيلا وهم يخوضون بالصديد والدم وقد تلوث لبسهم وأيديهم وأرجلهم بها واشمأزت أنفسهم واقشعرت جلودهم وترجوه فى ازالة مانزل بهم فامسكت الامطار عنهم ثم انهم تفرغوا الى حمل الضفادع أياما وكانت كثيرة جدا وقد عجزوا عن شم رائحتها القبيحة فترجوه أيضا فى دفع هذه الداهية عنهم فدفعها بأن صنع بعلم السيمياء شموعا وأعطى كل واحد شمعة فمن شم رائحتها زالت عنه الرائحة الخبيثة وضررها وقد اشتغلوا فى تدبير أمور ومهمات الافراح وأرسلوا خبرا الى ابن سينا قائلين أيها الفيلسوف الحكيم الذى يستسقى من ندى كفه أفلاطون وجالينوس التعليم قد امتثلنا أمرك فى اعطاء البنت ولكن هل يليق بنا وبك أن يكون ذلك بدكان حلوانى فعند ذلك قال ابن سينا على مايحكى انه حيثما رضيتم بذلك فسمعا على العين تجدونى فى خدمتكم كالبرق الخاطف واطلبوا مهما شئتم فلكم الامر وعلى الطاعة فبنى دارا بعلم السيمياء خارجة عن دائرة العقول وأرسل

للملك مائة بعير من أعز الموجود من حمر الابل الجعدة الشعر والا وبار ومائتي فرس من الجياد العتاق التي اذا سابقت الريح لحقته وان سابقها البازى فى الجو سبقته ومائتى غلام رومى كأن جبهة أحدهم هلال رمضان أو عيد الفطر ووجهه كليلة القدر وقسى حواجبهم قومت أسهمها لقلوب ذوى الالباب ومائتى سرية كالحور العين وكأنهن صببن فى قالب الحسن والجمال ذوات قوام ولين ومن أمثال ذلك مالا عين رأت ولا أذن سمعت حتى تحيرت عقول الناظرين وذلك كله ملاك ابنة الملك وبنى سورا عظيما عالى البنيان واسعا مشيد الاركان وبه حديقة لم ير الراؤن مثلها وأجرى بها ضيافة أربعين يوما وكل يوم يحضر من ألوان الاطعمة ما تحيرت منه عقول أهل المدينة وفى رأس الاربعين عقد النكاح وجمع بين العاشقين وبعد مضى أيام أخذوا عليا عند الملك وقبل يده وقد كان حصل من العلوم والفنون أشياء كثيرة فاختبروه أرباب الدولة فوجدوه كامل العيار وصاحب معرفة تامة وهيبة ووقار وباركوا للملك فى مصاهرته فتلقاه الملك بصدر رحب ووقعت محبته فى صميم فؤاده وصار لا يقتدر على مفارقته طرفة عين وبقوا بقية أيامهم فى هنا وسرور ﴿قال الراوى﴾ وبعد سنين عديدة مال ابن سينا للسياحة ومال الى رؤية مسقط رأسه بخارى ونحا نحوها طالبا صلة الرحم اذ كان له مدة لم ير وطنه وقد فارقه مدة طويلة فيحكى والله أعلم ان ابن سينا لما قصد جهة بخارا أتى بلدته التى هى مسقط رأسه وهى شجعا فرأى ان أقاربه قد أفناهم الدهر من طول مدة غيابه فخرج منها طالبا سمت بخارى وأراد بها الاقامة وخلو يده بنى بيتا بقوة علم السيمياء وأراد به ظهوره والملاطفة مع أهل بخارى والمزاح معهم وباع الدار الشخص بعشرة آلاف درهم وقد كان بالدار قصر ومشربية وكان الملك محرجا عليهما فرذات يوم الصوباشى ورأى ذلك فهدمها وساوى بها الارض فصاح صاحب الدار انى اشتريت هذه الدار بعشرة آلاف درهم وقد جعلتها لا تساوى درهما واحدا فلم يلتفت اليه وقال له اطلب دراهمك ممن اشتريت منه الدار فتحير المسكين وتوجه الى ابن سينا وقال له ان دارك معيوبة خذها واعطينى دراهمى فقال ابن سينا وما عيب دارى فقال له انى ما أخذت دارك الا للمشربية التى بها وان الصوباشى هدمها من أجل ان الملك محرج على ذلك فقال له ابن سينا وما مرادك من المشربية فقال له كسب الهواء وحظى فى أيام الصيف برطب الريح فقال له حيث ان مرادك الهواء أبيع لك الهواء الذى بدار الملك فبكم تشتريه فقال له الرجل كيف هذا الكلام هل تمازحنى وليس هذا وقت المزاح ولكن تكرم على واعطينى دراهمى وخذ دارك فقال له ياشيخ توجه الى دارك فاذا لم تجد ريح دار الملك صار عندك ارجع وخذ دراهمك فقال له مهلا حتى أصل دارى وأرى

فقال صل وانظر ثم قام ابن سينا من وقته وتوجه الى قبالة دار الملك وغرس قطعة لوح من خشب وعزم واذا بالهواء قد انقطع من دار الملك وتحول جميعه الى دار الرجل فقالت امرأة الرجل حين وقع بصرها عليه أين أنت يا رجل وقد قطع الهواء هدومنا وشكت اليه من شدة عسف الرياح فجاوبها الرجل ان اسكتي فان هذا الريح ريح بيت الملك فهو لنا بدون دراهم فاياك واباحة هذا السر لاحد لاني اشتريته بدون قيمة فانسرت المرأة بذلك وصار في أهنى وقت وأرغد عيش قال وأما الملك فبينما هو ماكث بداره واذا قد انقطع عنه الريح ولم يبق له أثر فنادى الغلمان وقال لهم دونكم ومشربيات الدار هل هي مسدودة فقالوا له انها كلها مفتحة وانما الريح قد انقطع فعند ذلك اضطرب حال الملك من شدة ما وجد من ألم الحرارة ولم يطق الصبر وضاق صدره فنهض قائما وقصد جنانه فرأى الريح فيها كثيرا فقال أظن ان الريح هبت الآن حتى اذا ما أمسى الوقت أراد التوجه الى داره فحضرت له الركوبة وركب وقصد الدار ودخلها فلم يجد للهواء أثرا فدعا وزيره وقال له أيها الوزير المدبر أظن ان الريح تهب في غير منزلي وكأنها تخاصمني لانها تهب في جميع الدنيا وقد أمسكت عن داري ولم أر لها أثرا فيا الحكمة في ذلك وصار يشكو ويتوجع من هذه الحادثة فقال له الوزير يا ملك الزمان اصبر قليلا لعلها تهب فأرسلوا كشافين للريح واذا الدنيا ملآنة رياحا غير قصر الملك فخبروا العقلاء في حل هذا المشكل ولم يعلموا سره ثم ان الوزير دعا الملك الى داره لان بها الهواء كثيرا وقال نصبر قليلا حتى نرى ماذا الخبر فأجابه الملك الى ذلك وسار معه فوجد بداره الريح كثيرا جدا والملك يرسل الى داره كشافين فلم يجدوا أثر الهواء أبدا فتعجب الملك لما انه لم يعرف السبب فبقي الملك يومين بدار الوزير وفي ثالث يوم انقطع الريح من دار الوزير أيضا فعند ذلك استغرقوا وقتئذ في لجة الحيرة وضاق صدر الملك حتى انه لم يدر ماذا يصنع من شدة ما حصل فخرج من دار الوزير أيضا وقصد الجنان ومكث بها مدة أيام ﴿قال الراوي﴾ روى مخوف المجالس بالسير ان سبب قطع الهواء عن دار الوزير ان ابن سينا قد كان تزوج في أثناء الحادثة مع زوجته ذات يوم صار للكلام محل بان قال ابن سينا لها ان الصوباشي أي كبير القواصة أراد غدرنا وقصد القصر الذي بالدار التي بعتها الفلان بعشرة آلاف درهم فهدمها وأرسل الى صاحب الدار ليأخذ دراهمه مني فقالت له وكيف دفعته عنك فقص لها خبر الريح فقالت زوجته يا شيخ كيف يمكنك ان تعطي ريح قصر الملك الى هذا الرجل وهل هذا في حيز الامكان فأخبرها ابن سينا ان هذا ممكن بعلم السيمياء وأطلعها على مكنون القضية من أولها الى آخرها فقالت له زوجته تكرم علينا بريح دار الوزير فقال لها ابن سينا اصبري حتى تهشم

قصة الملك فألحت عليه زوجته وكان طبع الشيخ رقيقا فعزم ونفخ تجاه قصر الوزير فتحولت ريحه الى دار ابن سينا وتوجه الملك الى حديقته ففى بعض الايام ذهبت احدى المسامرات لزوجة الملك الى الحمام وصارت تحكى مادة نقصان الهواء من دار الملك والوزير وقد كانت زوجة ابن سينا بتقدير العزيز العليم جالسة بحذائها اذا هى من زمرة الناقصات عقل ودين فحدثتها بأن الريح التى كان بدار الملك باعها زوجى الى جارنا وريح دار الوزير عندنا وان زوجى ابن سينا قادر على كثير من المعارف ذو فنون وعلوم وصارت تتباهى بين النسوة اللاتى معهن فلما استتمت كلامها نهضت المرأة وقصدت دار الملك وهم وقتئذ بالجنان فأخبرتهن بواقعة الامر كله وهذا كان قصد ابن سينا والالم يبدها أمره أبدا وماذا عليه فى جاره وريح دار السلطان ولم يكن محتاجا الى بيع الدار اذ هو قادر على أن يأمر خدامه ليحضروا له ما يريد من حطام الدنيا من أحد الكنوز أو من معادن الارض وأحجارها المثمنة فوثبت امرأة الملك من حينها وقصدت نحو الملك وأخبرته بجميع القصة فردا فردا فدعا الملك الوزير وكافة الوزراء جميعا وأخبرهم بالقصة وقد كانوا اسامعين بما جرى للملك مصر معه فقالوا نعم هذه المادة لا تكون الا منه فقالوا وماذا نعمل فى هذا الامر فقال الوزير الاكبر حتى ندعوه الينا ونترجاه فى فك هذا المشكل عنا فارسلوا اليه من دعاه وحين طرق الباب خرج اليه ابن سينا فقال له الرسول أجب الملك ففهم ابن سينا القصة فلم يخالفه وأجابه بالسمع والطاعة ولم يزل سائرا حتى مثل بين يدى الملك وأجرى رسوم تعظيمه ثم عقد يديه ووقف فنظر اليه الملك واذا به درويش فقير فاحتقره وازدرى به ولم يلاطفه ولم يراع خاطره ولم يأمره بالجلوس وخاطبه بعنف قائلا له أنت الملقب بأبى على بن سينا فقال نعم انا ذلك الفقير فقال له الملك لمن بعت هواء دارى فقال ابن سينا أنا لست موكلا بالريح بل أنا عاجز عن نفع نفسى فقال له ان زوجتك حدثت به فى الحمام فعلم ابن سينا ان السبب من زوجته وتسببت لهذا القيل والقال فقال ابن سينا ان سماع كلام النساء والتحدث به فى حضرة الملوك لا يليق لانهن ناقصات عقل ودين ولا يسمع كلام النساء بدون الرجال لان فى مذهبنا كل ما أصابت فيه امرأة من القول لا يصغى اليه فألزم الملك الحجة وغضب منه الملك وقال اسحبوا هذا القليل الادب فقر ابن سينا خارج الباب وقد حقدها فى نفسه وقال له سوف ترى ما يسرك من غريب صنعى حتى تكون عبرة لمن اعتبر وكلما شاهدت فقيرا تعظمه ولم تزدر بعمامه وذهب الى داره فضرب زوجته ضربا عنيفا حيث باحت باسراره وكان ضربه اياها تأديبا لها الا لمجرد الاباحة لما قد سبق من الاشارة وقال لها هل يجب عليك التكلم بما لا يليق

بالحمام مع النساء الاجانب سيما مع جليسة زوجة الملك وتكونى سببا الذهابى واياى ومعاتبتى وقد أشهرتنى بعد مكثى فى زاوية من أركان الدنيا مخفيا فلم ترد له جوابا وانما حقدتها فى نفسها وصارت تتفكر فيما تمكره به وكان لها صاحبة عجوز اذا ضل ابليس عن طريق ترشده اليه ذات مكر وحيل وخداع وفوادة وكم من دار تسببت فى خرابها وكم أجرت من حيل تعجز سحر هاروت وماروت عن اتيان مثلها وما همالديها الا كأحد شبانها واذا محيت دفاتر الحيل ففيها كفاءة على احياء علومها وكم تبث من المكر دروسا وتملأ الدنيا من حيلها طروسا انفها كالساطور وفوها كالماجور فهى كما قال فيها اللبيب ذو الحبور شعر

لها وجه عبوس قطريرا * اذا ضحكت ترى كالزمهريرا

طلائعها الشياطين استقلت * وان منهم تراه لها وزيرا

اذا انبسطت يديها نحو بحر * يجف لحينه وغدا سعيرا

وتملأ شرها برا وبحرا * وعند النار مقعدها قريرا

(قال الراوى) والحاصل انها أرسلت لها خبرا فحضرت عندها فى الحين بدون امهال ولا اهمال فوجدت زوجة ابن سينا متغيرة اللون فسألتها عن حالها فأنبأتها عن القصة فأطرقت برأسها برهة وقالت لها لا تأسفى فانى سآخذ بثارك وسأنتقم منه انتقاما يعجز عنه أمثالى وقامت وتوجهت الى دارها وصبرت بعض أيام حتى انقطع القيل والقال وأتت اليه وقالت له بعد السلام عليه وانترجى باحكيم الزمان يامقيلا لعثرات الخلان أنا فى مكان لم يكن به من أثر الهواء شئ أبدا فتكرم على بجلب شئ من الهواء وأخرجت له ألفى درهم ووضعتها امامه وترجته رجاء كاد يفرى من الشفقة قلبه وصارت تتباكى وتستجير فيه فظن هزلها جدا ولم يعلم ما أعدته له من المكر والخداع فرق لحالها وأخذ الريح من دار الرجل الذى كان اعطاه اياه من قصر الملك وأعطاها اياه وقال لها قد تم أمرك فقامت من حينها وأتت منزلها واذا بالريح عاسف به ولم تطق انتصر من شدتها فصبرت يومها وليلتها فرأت انه ليس بمنقطع فقصدت دار الملك حالا وقابلت الملك ودعت له كثيرا وعظمته وبجلته ثم قالت له أيها الملك انى وجدت لك سارق الهواء ثم حكت له القصة فهم كذلك واذا بصاحب الهواء الاول جاء يشتكى من جور ابن سينا وظلمه واقتحامه الامور الخطرة وقال ان ابن سينا سرق هواء قصر الملك وباعه لى من ضمن دار اشتريتها منه وأخذ منى عشرة آلاف درهم فثبت لديهم خبره وتيقنوا ذلك عيانا اذ تطابق كلام الاثنين معا عليه فأمر الملك ان يحضروا ابن سينا أينما كان فلما رأى القواص حدة الملك هرول مسرعا الى دار ابن سينا وطرق الباب وصار يصرخ فعلم ابن

سينا كنه الحكاية ففتح الباب وخرج الى الزقاق واذا هو بأحد أرباب الدولة فقال له أجب الملك فقال له ابن سينا تنح عني فاني ليس بيني وبين الملك معاملة فغضب القواص وقال له لا بد من توجهك معي وقبض على يده فخرجت يد ابن سينا في يده فتحير لانه لم ير ذلك قبلها فأبدا الخاف من بأس الملك وتركه واذا في أثناء الطريق بقواص آخر وقد كان الملك استبطأ الاول وأرسل خلفه آخر فقال له أين ابن سينا فقص الحكاية عليه كما هي بأصولها وكان القواص الثاني جريء اللسان ثابت الجنان فقال للاول لماذا تركته ورجعت بدونه فأتيا على باب ابن سينا وطرقاه فخرج اليهما فتعلقابه من الجنبين وقصدا أخذه فلما تعلقابه من يديه خرجتا بأيديهما فمسكاه من قبته فخرجت بأيديهما فمسكا رأسه فبقيت بأيديهما وصارا كلما يتعلقان بقطعة من بدنه تخرج بأيديهما حتى صار متقطعا اربا اربا شارع فتحيرا ودهشا فتركاه وذهبا وأخبرا الملك بما رأياه فاحتد الملك حدا وقال ضعوه في فرد وأحضروه عندي حتى أحرقه فاخذا فردا وأتيا الى باب داره فوجداه كما تركاه كل عضو بمفرده ثم انهما عبياه بالفرد وأحضراه عند الملك فأفرغ الفرد بأمر الملك فنزل منه كلب أسود وذهب الى جهة فصرخوا جميعا وتصايحوا عليه أن أمسكوه ولا تفلتوه فتواثبت البوابون عليه وقتلوه واذا هو كلب لم يتغير وصارت رمته ملقاة فتحيروا جميعا فقال الوزير للملك يا ملك العصر ان هذا الرجل لا ينصب وسعادة الملك سمع قصة ملك مصر معه فاذا اجتمعت سلاطين الدنيا جميعا عليه لم يظفروا به فعامله بالرفق وأرسل أحدنا يدعوه فأحضر الوزراء وقال لهم اذا كان عندكم تدبير في حضوره فانا لو احدكم ثم أحضروه فسكت الوزراء ثم فوضوا الامر اليه باطنا وقالوا ان كان هذا ابن سينا الذي نعهده فطالما نشاهد منه عجائب وطالما نندم على تحريك عليه وانجعلنك مثلة بين العالم فقام الملك من شدة غضبه وتوجه الى حريمه وبقي الحال مدة أيام على هذه الحالة وقد كان ابن سينا عالما انه اذا وقع في يد الملك لابد من اهلاكه ولذلك كان أحضر كلبا لمن جاء لاخذه وجعله خارجا عن الباب وهذا الذي كان يتعلق به القواصة وتوجه معهم ابن سينا الى الديوان بحالة الاختفاء وقرأ عزيمة وأرجع الكلب على شكله وخلقته الاصلية وتنحى عنهم وهم لا يرونه وصار يسمع كلام أرباب الدولة جميعا ثم رجع الى داره وقعد متفرغ البال ولكن لم ينس ما فعلته هذه العجوز المكارة به من الشر والفتنة وكان يتفكر في أخذ ثاره وانتقامه منها فنظر يوما واذا بها داخلة داره عند زوجته على عادتها المعهودة واشتغلت بالحادثة فاطلع عليها ابن سينا ولم يلتفت لها وصبر الى حين خروجها فلما همت للخروج وأتت بحذاء حجرة كانت عند الباب مخصوصة بأبي

على ابن سينا وكان يحتلى بها دائماً فكلفها أن تدخل عنده فلم تقدر الملعونة على مخالفته وعسرت عليه المكان فسألها أولاً عن حالها وراعى خاطرها وكأنه لم يدر بما قصد منها وهو يحكي لها وصار يتفحص عنها وعاملها باللطف حتى اعتقدت ان ابن سينا لم يدر انها صاحبة الفتنة وقوى ذلك ذهنها الفاسد ورأيها الكاسد وابتدأ يقول لها انك أخذت الهواء منى وشكانى الرجل الذي كان عنده قبلك فأحضرني الملك وأراد قتلى ولم أخلص منه الا بمشقة كبيرة فتيقنت الملعونة ان ابن سينا لم يدر بخبرها فشرعت في الجواب وقالت أطال الله تعالى عمرك وأبقاك لامثالي المساكين فقال لها ابن سينا مرادي منك حاجة اذا هممت بها فتكوني قد أحسنت بي وتأخذى ألفين أو ثلاثة آلاف درهم عليها ويكون ذلك احسانا مني عليك فأنت أهل لذلك فقالت تفضل احك لي فاذا كانت الحاجة مما هون على أبذل جل همتي حتى أقضي حاجتك ولكن أي شئ هذا الذي أعجزك وكيف امثالي ان أصل لما يعجزك وأنت باذن الله تعالى قادر على جل مقصود العالم فأجابها ان بي داء قد أعجز الاطباء جميعا وحكى لي من أثق بقوله من ماهري الاطباء ان دواءك سهل اذا صادف محله وهو ان تولع قطعة خشب بلوط وتطفئها بحجر امرأة فاذا أطفئت فأحضري لي فحمتها فهي دواؤك وأنت ماذا تقولين ويبقى لك الثواب والاجر ولولا الالفة بيننا لما أخبرتك بهذه العقدة التي لم يمكن حلها الا على يدك فتفكرت الملعونة قليلا وقالت ان جرى هذا كم قابلت بمحنة المنبع اصلالا وكم قصد منه الاحياء أفياء وظلالا ومالت الى الدراهم ورضيت وعمى بصر بصيرتها عما عهدته قريبا من قضيتها وقد كانت تبع الشياطين مكرا وخداعا فوقعت في محنة وكم ترى بها ابداعا فقال ابن سينا ان الفرصة غنيمة وابتدر الى عود سنديان من الموقدة شاعلا وقبضه بيده وقصد نحوها وسلفها منه نحو ثلاثة أشبار وهي مستلقية على قفاها فصرخت الملعونة آها آها بالها من مصيبة وعناها وقالت المدد المدد لقد ضاع شملي وتبدد وضاع عقلها الديها لما وجدت بين رجليها ثم قامت بعد برهة وتوجهت قاصدة دارها وقد كان ابن سينا قرأ عزيمة وأطفأ نار المدينة بطلسم فلم يبق نار ولا زناد يقدح ولا نار بالكلية بالمدينة من سراج وخلافه أبدا وحبس النار في حجرها وهذا كان بسبب دفع الخشبة الشاعلة في حجرها فعلمت الملعونة ان ابن سينا مغتاظ بشكايتها وقد مكر بها وقالت انى نجوت منه بأمر سهل ولم تكن تعلم بوجه الانتقام من أين يأتى لها وكانت تمشى ضامة فخذيها من ألم النار وصارت تبرد حجرها بالماء البارد ظانة انه يكفيها شر مؤنة الضرر ولم تزد الا التهابا وقد عدم وجود النار واختفى أثرها من المدينة واشترى كل واحد قداحة وصار يقدح بها فلم تفده غير التعب واشتد المصاب بالمدينة

وطلبت النار فهيهات هيهات واضطربت العالم اضطرابا مؤلما وقد منعوا لذة النار منعا كليا وانفردت العجوز بتلك الدولة ولذتها ولم تطلع عليها أحد وكانت معطلة الحال بالاصطلاء دون غيرها وكان تنورها مفتقرا لطوفان نوح أن يخمده وآل أمر الملك الى ان كان يستجير بمن لم يجد له مجيرا فاجتمع الناس الى قصر الملك وشكوا له أحوالهم فلم يقدر على ردّ الجواب ووقع به الذل حتى كأنه يتعلق بمارى الطريق ويسألهم عن النار ان ثم الملك شاور الوزراء في ذلك وصار القيل والقال فنبذ من بينهم وزير عاقل وقال أيها الملك انا نرى العجب من انك تشاورنا ولم تلتفت الى أقوالنا وها أنا أقول لك ان جميع هذه المواد انما هي من صناعة ابن سينا فقال الملك وماذا رأى مني ابن سينا حتى قصدني بهذه الامور فأجابه الوزير اعلم أيها الملك ان العالم والملك اخوان من أم وأب ولم يتشرف الملك والوزير دون العالم الا بالمال والحول فاذا استغنى أفقر الناس صار أولى بالتقديم لما يصدر منه من منافع الانام وما الشرف الا بمجرد التأديب مع الله تعالى وأنت تعلم احتياج الملوك الى الفقراء المرات العديدة في فك مشكلاتهم وانهم المقربون الى الله تعالى ومن كان قريبا من الله تعالى فهو أولى بالملك والوزارة وابن سينا حين ما أتى عندك نظرت له بعين الحقارة وأحبته بالعنف ولم تجلسه مع كونه كان في حضرتك متأدبا وأراك حقوق التعظيم وأنواع رسوم التكريم وأظن انه حقن في نفسه من هذه الفعال فاذا استصوب الملك ان أتوجه اليه وألاطفه وأدعوه الى حضرتك ثم اذا احضر أبذل له التحف وأجزله مراسم تعظيم العلماء وأجلسه بالقرب منك واسأله حاجتك فانه لا يتأخر عن قضائها اذ من شأن الحكماء والعلماء الاجابة وكان هذا غاية ما يتمنى الملك فقال افعل ما بدا لك ﴿قال الراوى﴾ فوثب ذلك الوزير قائما وقصد منزل ابن سينا حتى دق الباب فقيل من بالباب فقال ضيفكم وعلم ابن سينا القصة وفتح الباب وقال بسم الله ادخل فدخل وأجلسه في مكان مخصوص به في محل مخوف ثم أحضر طعاما متنوعا غير الطعام المعتاد عندهم وبعد الفراغ صار الوزير يلاطفه وذكر له القصة فأجابه بالتلبية وقام معه وأخذ عصاه وعزم عليها فصارت حصانا وعليه رختا ملوكيا فتعجب الوزير من سرعة الاجابة وركب عليه ابن سينا وسار الى نحو منزل الملك حتى اذا أدركه استقبله أهل الدولة جميعا وقبلوا ركابه ودعوا له بدوام العز ثم تقدّموا امامه عند الملك فنهض الملك وتقدم اليه وقبضه من يده وقربه اليه وعظمه وأجرى معه رسوم التعظيم وخلع عليه خلعا ملوكية وأتحفه تحفا ثمينة ثم أحضر الطعام وأكل ما تيسر فلما فرغوا منه ابتدأ الملك بالكلام وسأله في شأن الهواء والنار فأنكر ابن سينا وجحد ذلك كلية فضاق الملك لذلك وتذلل حتى مال الى لحيته ويده فقبلهما وصار

يتملق اليه فعند ذلك قال ابن سينا أنا أعلم من أخذ منكم النار والريح ولكن لست أنا الفاعل فقال له الملك أجزلنا الراحة ولتكن من أى الوجوه فقال له ان الفاعلة لذلك كله امرأة عجوز ساحرة جدا ودارها بالجهة الفلانية واسمها فلانة وهى ساحرة مكارة وكم أبدت من مفاسد وهى ملعونة جدا ذات مكر وحيل وخداع وقد حبست عنكم النار فاذا أردتم دفع الشبهة ادفعوا فى حجرها شمعة فتتوقد حالا فاذا لم تولع فكل ما أخبرتكم به مردود على لان هذه الملعونة حبست النار بين فخذيها فعلم شاه بخارا ان مراد ابن سينا أخذ النار من العجوز والانتقام ولكن لم يقتدر على رد الجواب فأرسل اليها الملك أحد عتاة قواصته فذهب الى دارها ودق الباب ففتحته فقبض عليها وقال لها ان نار المدينة مسجونة فى حجرك فقالت ما هذا الكلام فقال لها استلقى على قفاك حتى أولع هذه الشمعة منك فقالت دونك اذا كان مرادك دسها واستلقت على قفاها فدس فيها الشمعة نحو ثلاثة أشبار وأخرجها واذا بها شاعلة فتعجب من ذلك وخرج مسرعا بيد قصر الملك فرآه الناس وقد شق عليهم ذلك الامر وقالوا له من أين لك النار فقال لهم انها فى فرج فلانة العجوز فغصبوها وألقوها على قفاها وصاروا يدسون الاخشاب المشعبة والعيدان اليابسة والشموع والخرق فكانت تخرج والعة وهى تزعق وتتوجع من ذلك ولم يلتفت اليها أحد ولم يرق لها كيف وهم فى أمة غلق دونها باب الفرج فمن عظم ما حصل لها هربت واختفت فى كنيف عتيق كان فى دارها فبحثوا عليها وقد فقدوها فلم يجدوها ثم عثروا عليها فى الكنيف العتيق فهجموا عليها دفعة وتكاثر الطلاب وازدحموا عليها وقد كانت الالواح الملصقة بأرضية الكنيف بالية فسقط بهم جميعا فغرقوا الى رقابهم فأخرج بعضهم بعضا وتسابقوا على العجوز الملعونة وألقوها على ظهرها وقضوا وطرهم من دس الشموع والاخشاب فى حجرها اذ كان هذا أشهى اليها فكانت حينئذ كما قال الشاعر فى حقها

عجوز قد زنت ستين عاما ✽ وقادت بعد ذلك أربعينا
وتابت واشترت عنزا وجديا ✽ لتنظر لذة التمنا كحينا

﴿قال الراوى﴾ واشتهر أمرها بالمدينة وأما القواص فانه توجه الى حضرة الملك والشمعة شاعلة بيده وكل من أراد ايقاد شمعة منه لم تقد وهذا من أعجب الامور ولم تزل العجوز على تلك الحالة مستلقية على قفاها لايقاد النار حتى قضى أرباب حارتها وطرهم منها ثم هربت الى حارة أخرى وكانت أهلها أشد طلبا للنار فألقوها وأولجوا الا الشموع فيها فولعت ثم فرت الى حارة أخرى ففعلوا بها كما فعل الاولون فأخيرا علمت هذه اللعينة الرجيمة ان مكثها ببخارى صار محالا فخرجت منها ولم يبق

لما قوة على الفرار فخرجت حتى وصلت الى جدول فتأملت فيه ثم نامت قريبا منه ثم انتبهت فرأت ماء الجدول وقد لاح الصباح وجعلت تحتقن بالماء ظانة انه يطفى نارها وكلما احتقنت بالماء صعد منها دخان كالعمد ويرتفع الى الجو فانتبه أهل المدينة واذا بالنار مفقودة ولم يكن أحد متفطنا لغيظ العجوز فاجتمعوا جميعا وصاروا يبحثون على العجوز فأمعنوا النظر من خارج البلد واذا بدخان يرتفع بقوة وكان ذلك الدخان من العجوز الملعونة الصاعد من فرجها فتوانبوا اليها واذا بها تملأ فرجها ماء صارخة من شدة ما تجد من الحرارة فقبضوا عليها واستلقوها وفعلوا ما فعلوا بها في أمسهم ثم أوثقوها كتافا وسجنوها ووكلوا بها موكلين وعينوا لها الطعام وصار الناس اذا احتاجوا الى النار يأتون اليها ويولعون من جحيمها وسعيرها فلم يزل بها هذا الحال حتى استتم الحول حتى هلكت هذه الملعونة بهذه الكيفية ﴿قال الراوي﴾ ومما يحكى ان ملك بخاري طلب من ابن سينا من عجائب علم السيمياء شيأ لتعتبر وانه فكان ابن سينا يمتنع من ذلك فذكروه بقضية ملك مصر وترجوه وتضرعوا اليه كثيرا فلم يجد له بدا عنهم فوضع رأسه في عباءته وعزم ورفع رأسه واذا بثعبان عظيم قد اقتحم عليهم الباب ذا سبعة رؤس وهجم عليهم جميعا وطلع ثعبان آخر من أسفل تخت الملك وحملا على بعضهما وبدت بينهما نار جسيمة وكلما تحاولا تتزلزل الارض ففزع الخلق جميعا وأتوا الى خلف الملك فبهت الملك وكادت أرواحهم أن تخرج من أبدانهم وتنشق مرارتهم من هول ما شاهدوا واقترحوا ابن سينا ان يدفع هذه البلية عنهم فعزم أيضا عزيمة فرجع كل الى مكانه فتحيروا قليلا ولم يصدقوا بالخلاص وقالوا له نحن لم نطلب أهوال الامثال هذه وانما ان أنعمت علينا أرنا ما يبهج أنظارنا فعزم ابن سينا عزيمة أخرى وأشار الى الحائط فانشقت وخرج منها جم من أجمل الصور وبيد كل منهم آلة من المطربات لا تشابه احداها الاخرى وغنوا وجلسوا مصطفين وابتدؤا في المغاني والدفوف والاوتار ورقص الجناكى قابضين أيدي بعضهم ببعض بحركات تنعش الارواح وانقسموا قسمين وتلاغوا فيما بينهم وتراموا بالاشعار من أرق الاقوال والحاصل انه صار مجلسا ملوكيا لا يوصف ولا نطمع في مثله فحارت عقول العقلاء من أرباب الديوان والجناكى يتراقصن ويمسن تيها وعجبا وشعورهن على أكتافهن كأساود الحيات غدائر غدائر بقدود كالخيزران وأكفال كالكثبان ونهود كالرمان ولم يزل هذا المجلس منصوبا حتى تخايل كل من في المجلس انه ثمل فعند ذلك أشار اليهم ابن سينا فغابوا جميعا فبينما هم في أثناء الحادثة على ما شاهدوا من الامور العجيبة واذا بابن سينا عزم فرأوا جماعة وجوههم تتلألأ نورا يبهرون أعين الناظرين وبأيديهم بشاكير من الديباج ووضعوا مائدة لو رآها أفلاطون لاندهش من ذلك

المنظر البهج وأحضروا أصحنا من الذهب والفضة والبلور والمرمر مما هو خارج عن دائرة العقول ولو اجتمع أهل الارض على أن يتقنوا أمثالها لم يقدروا وانبكم المجلس ومن فيه بهتا فأسرع أهل المجلس الى الاكل كأنهم لم يروا أكلا أبدا ولم يزالوا يلتقمون لقما كأمثال رؤس الجمال ولم يزل الصحن منها ملآن فلا الآكل يشبع ولا الطعام يفرغ وأخيرا أشار اليهم ابن سينا فغابوا من حيث أتوا فتعجبت أرباب الدولة واستحسن ملك بخارى ما رآه من البرهان القاطع الرافع لشرف الاوهام فاكرمه وعظمه وكان الملك كل يوم يتشرف بحضور ابن سينا عنده وهو يشاهد منه العجائب والغرائب حتى لم يكد الملك يفارقه وكان اذا فارقه تضيق حضرته وبقي معه على تلك الحالة مدة مديدة ﴿قال الراوي﴾ ومما روى عن أرباب التواريخ وأرباب المحدثين ومؤلفين السير انه كان بأرض كرمان سلطانا نافخيما مهابا عظيما ذا هيبة ووقار وشهامة واقتدار وكان مجلسه من أسمر وأبهر المجالس لا يحتوى الا على أرباب الفنون والعلوم وكان اقتداؤه بالعلوم فسمع بابن سينا انه حكيم بارع في كل فن كالسيمياء والكيمياء والاختفاء وطرق باسماعه ذلك ممن ينقلون الاخبار الى الملوك الاخيار وقد اشتاق الى مشاهدته اذ عشق ولم يروما بكليته الى نظره فجهز هدية جسيمة تليق بالملوك وحرركتابا الى ملك بخارى وأرسله صحبة أحد وزرائه وترجاه في أن يترجى ابن سينا أن يشرفه بالنظر الى نير وجهه الشريف قال وكان عند شاه بخارى حكيم حسود اسمه محال متكبر عنيد وكان دائما يتقصد ابن سينا في مقالاته وجميع حركاته حتى بلغت المشاحنة بينهما مبلغا وكان محال يقول لابن سينا ان كنت أنت حكيما في الكيمياء والسيمياء والاختفاء فأنا أيضا ماهر في علم الطب ولم يسلم لابن سينا علم الحكمة فطلبه أيضا شاه كرمان أن يحضر مع ابن سينا فدعاهما شاه بخارى عند ورود الجواب اليه من شاه كرمان وأخبرهما بطلبه اياهما وقال لهما تشرفا بحضرته وكان اسم شاه كرمان محمود مدة أيام ثم ارجعا فامتنعا فألح عليهما شاه بخارى فالتزما أمره وامتثلاه فقال ابن سينا أيها الوزير الحكيم حيثما انك دائما تبحث معي في فن الحكمة فها قد آن أوان مدافعة كل منا عن نفسه والزام صاحبه الحجة واعلم ان ما بيننا وبين كرمان برية ذات لهب وهيج ومسافتها أربعون يوما وأنا فقير ودرويش وليس لي أقبية ولا اخيام واني راجل لست براكب فاتزود قليلا من المأكل وأحمله معي فاذا أكلت يوما لا يلزم لي الطعام عشرة أيام وكذلك الشراب وحيث انك حكيم فتدارك زادا مثلي واحضر عندي في الوقت الفلاني قال فعند ذلك حصلت للوزير أى ذلك الحكيم الغيرة وقال له نعم ما قلت وتداركا أمرهما فدبر ابن سينا بعض حبوب وكذلك صنع الوزير حبوبا مثله ولم يطلعا على مأكل ولا مشرب بعضهما فاتفق ان الحكيم

ذات يوم بعد أن مشوا مسافة عشرين يوما وكان معهما وزير آخر ثالث فلما بلغوا تلك المسافة فى الطريق فاتفق أن الحكيم مخبال المعاند لابن سينا أوقع حبوبه ومن شدة غيرته من ابن سينا لم يطلعه على القضية وأغاظهر ذلك لابن سينا بالفراسة على الوزير أى الحكيم فعند ذلك استعلم منه عن حاله وكان الحكيم معاندا فلم يصدقه بمكنون أحواله ثم انه بعد برهة سقط ولم يجد من القوة ما ينهضه فضلا عن دفعه ايلام أقدامه من السير فأعطاه ابن سينا من حبوبه وألح عليه فلم يقبلها وبطلت حركاته ومات عاصيا فدفنه الوزير الآخر ثم بعد دفنه أتيا الى كرمان فى ساعتين وكان يمكنهما أن يأتياها فى ساعة من أول خروجهما وانها ألجأت الضرورة الى المباحثة وكانت سببا لتأخيره فلما لاحت له قلعة كرمان تفكر ابن سينا فى نفسه انه اذا توجه الى الملك وأخبره انه حضر فيكون ذلك عبثا وأراد أن يصنع بعض نكات من علم السيمياء لكى يكون سببا أن يبحثوا عليه ﴿قال الراوى﴾ فيحكى ان ابن سينا تفكر فيما يصنع ولم يزل يبحث فى دفتر تفكره فامعن النظر من قلعة كرمان فرآها مشيدة الاركان عالية البنيان تشير بعرنين انفها الى الافلاك وتذهب من ضوء نورها الاحلاك فأعجبته كثيرا فقرأ عزيمة ونفخ تجاهها واذا بها منطوية تحت دفتر حيز العدم وكأنها لم تكن معا لمعا ظاهرة للعيان فأخبر الملك بذلك فلم يصدق وتواردت عليه الاخبار تترا فركب عند ذلك وتوجه ومعه وزراؤه الى جهة القلعة فوجدها ألغيت من دفتر الوجود وألحقت بفناء العدم فتفكر طويلا وأطرق برأسه متعجبا وتحير فى أمره وسأل الوزراء عن كشف حقيقة تلك المادة قال وكان عنده وزير له أدنى المام بعلم السيمياء فقال له أيها الملك اعلم أن هذه المادة هى من ابن سينا وقد دعوته وأظنه حضر وهذه أول ترحيبة لكم فقال الملك أنا اذا دعوته فلم أدعه للشرر بل للمؤانسة والمحابة فقال الوزير أيها الملك هذه ملاطفة حبيب وانها بعلم السيمياء حتى اذا ما لقيتما وترحبته ردها مكانها فلا تبتئس بما رأيت فارسل فى المدينة حاشرين وأمرهم بالبحث عليه قال فهذا ما كان من أمر الملك وأما ما كان من أمر ابن سينا فانه من بعد اجراء ما أجراه قصد نحو المدينة ودخلها ولم يزل سائرا يتفرج فى أزقتها واذا به ادركا لقصر العظم وداخلها أحد التجار مستغرقا فى الفرش والمحمل أى والقطيفة قاعدا كأنه ملك أو سلطان وامامه غلمان كأنهم الاقمار يتلألأ النور من وجوههم عاقدين أيديهم وهم فى غاية التأدب مطرقين رؤسهم فعند ذلك وقف ابن سينا امامه وقال شيأ لله وكان هذا التاجر فى مرتبة من الخسة والبخل حتى انه كان يضع الجبن داخل زجاجة ويأتدم من فيها ولم يجسر أن يمسها مخافة أن تنقص فنظر الى ابن سينا بالحقارة وأمر غلمانه بضربه وطرده وكان لا يعطى الميدي كله لفقير

أبداوسب ابن سيناوعزره تعزيرا فوق الحد فانكسر خاطر ابن سينا وتوجه الى جهة
وتفكر في أمر هذا البخيل وبم يجازيه ثم انه سأل عن أمر هذا التاجر ومايسر به
وماوله به فقيل له ان أكثر رغبته في البغال وكان بيد ابن سينا ماعون من مدهون
الفخار فتنحى الى جهة منحرفة عن العالم وعزم عليه أي الماعون واذا به صار بغلا
أسود يساوي ألف دينار وقلب هيئة نفسه في شكل خواجة ضيف مسافر
من ديار غريبة وركب على ذلك البغل ومر على باب ذلك البخيل صاحب الدولة
الوافرة فرأى الخواجة البغل فأعجبه جدا وكاد يذهب عقله فنهض قائما على قدميه
وقصد ابن سينا ونظر الى البغل فوجد آذانه كالقصبة الفارسية وبطنه كخلية النحل
وكفله كالبرميل ويسبق الطير في غدوه فناداه وسأله أتبيعه فقال نعم أبيعه
والقته واذا به كالريح وكان عظامه ألين من لحمه ودفعه فلم ير التاجر رجليه
الا كالواقف من سرعة جريه فذهب عقله وفصله بألف دينار فقبضها ابن سينا
وتوجه لحاله وصار في المدينة بالحظ والانبساط ﴿ياسادة﴾ ويحكى ان الخواجة
أسرج البغل وركب عليه وتوجه لبستان كان له ففي أثناء سيره رأى على طريقه
روضة ما كان يعهدها من قبل وكانت طريقه دائما منها وكان ممتلكا حدائق شتى
لكثرة ماله واغتالم ير أحسن من هذه أبدا فقال في نفسه واعجبا لمن هذه الحديقة وفي
أي وقت أنشئت وصار يهرول من جهة الى أخرى تارة يمينا وأخرى شمالا وقال ماهذه
الخيالات وحانت منه التفاتة الى داخل الباب واذا بقرب بابها حنفية فأراد أن يسقي
البغل وخفق وثاق لجامه فمد البغل رأسه ليشرب فدخل ببزبوز الحنفية واختفى
عنه فتحير الخواجه من ذلك وصار يهرول من جهة الى أخرى وقال ماهذه التخيلات
وحانت منه التفاتة أيضا الى داخل الباب فوجدها حديقة لا تعتبر أبدا وصار يقول
هل ترى البغل خرج من هنا أو هنالك ودخل البستان فنسي البغل مما عاين بها ووجد
داخلها بسطة من النبات الاخضر فيها من كل أنواع الرياحين وعليها جمعية فأراد
أن يعرف تلك الجمعية وقصدها واذا بنحو خمسين من أجمل النساء كأنهن الحور العين
وهن مصطفات يتعاطين الخمرة ولم ير الخواجة مثلهن في الحسن والجمال فمال قلبه
بكليته اليهن فقمن وعزمن عليه وكان ذلك جل مراده فهبط قاعدا وابتدأ في الشروع
معهن في الشراب وصار يتجرع منه كشربه الماء من دار غيره ومد حضرة الخواجة
يده على احداهن ليمسك ثديها فتقهقرت حتى كاد من سرعة حركتها يسقط طربا
وصارت تترنم له بصوت ألذ من نغمات الاوتار فعند ذلك تعانق كل بالآخر
وبقيت احداهن فعانقت حضرة الخواجة فاستوثقها وجذبها اليه وصار يلتذ
برشف زلال ريقها العسال وقام على ساقيه وقد غلب عليها وأخذها بين رجليه

وباشرها وكان يتضاحك معها فبعد ماجرى منه ماجرى فتح عينيه واذا هو بالتي كان معها في صفاء وسرور كلمة جرباء وكلما قبلها الخواجة هبرته في وجهه وكان يظن ان هذا ملاعبة وملاطفة فرفع رأسه والتفت يمينا وشمالا فوجد المحل الذي هو فيه تحت القلعة وقد تراكمت الخلق عليه وهم ينظرون فعله القبيح ويتضاحكون عليه فنهض وانباء على قدميه وقد كان تعرى في البستان فصار يمسح الاتربة عن سوأته وقصد جهة من محله وصار يعدو وكان من جملة من يتفرج عليه ضابط العساكر فقالوا اله الى أين تذهب يا ناكح الكلبة أجب الحاكم وقبضوا عليه وذهبوا به الى الحاكم وقرروه فقص عليهم القصة وقال ان البغل دخل بزبوزا لحنفية ودخلت قلعة الحديقة للبحث عليه وأبدى للحاكم أنواع المحالات سيما وان مكانه هذا كان تحت الحكم ولم يكن به بستان فأمر به الحاكم الى البيمارستان وعينوا عليه كل يوم خمسين عصا وكان الخواجة كل يوم يذوق حرارة الضرب فحضر اليه ابن سينا متفرجا وقال له يا أيها الخواجة أي ذنب كان لي حين ما أمرت بضربي وطردي أفلا تكتفي بالطرد وكيف تؤذي من هو ليس بعبدك وقد كنت تصرفت فيما هو لك وبأي جراءة على عبيد الله وأعلمه ان محنته كلها انما هي بسبب ما بدا منه فترفق به وترجاه فرق لحاله وقال له اعلم انك مادمت على عهد قولك بدخول البغل في بزبوزا لحنفية فهم يؤذونك فاذا سألوك ثانيا فتنكر الامر فيطلقونك ولم يعلمه بهذه الحيلة الا بعد استيثاقه منه بالعهود والمواثيق على أن يعطيه ألف دينار أخرى فلما ذهب عنه ابن سينا وأتى وقت ضرب الخواجة ابتدؤا به ضربا فصرخ وقال لم تضربونني فسألوه اين ذهب البغل فقال أي البغال فقيل له البغل الذي ضاع منك ودخل بزبوزا لحنفية فقال لهم وكيف يكون هذا وهل يمكن دخوله البزبوز وأنكر الحال فأخبروا الحاكم بأن التاجر رجع اليه عقله ثانيا فأطلقوه فذهب الى منزله وصار يتفكر في أمره وعلم ان كم من سلطان مندرج تحت عباءته وكم من ملك ملوث بدم ظلامته لكن البخله لم ينس ألم الالف دينار وأثر ذلك بباطنه وعادى ابن سينا حتى لو وجده لقتله فأمهله ابن سينا مدة ثم أتى له ومعه درويش آخر وقد شكى حال الفقر اليه فقال له تعال معي وأنا أعطيك ثلثمائة دينار وازيد واخذه وعقد يده أمام الخواجة ووقف متكتفا والحال أن الخواجة في ذلك الوقت كان يتوضأ فنظر الى الدرويش وبجانبه درويش آخر مثله فعلم انه يريد الالف دينار ونوى انه بمجرد اتمام وضوئه يأمر بقبضه وضربه خمسمائة سوط واما ابن سينا فكان قلبه مجليا من العبادة كالمرآة وكان فضلا عن علم السيمياء صاحب كرامات فاطلع على سريرته وعلم مابضميره فقرأ عزيمة في الحال فوجد الخواجة حين ذاك البغل برزمن بزبوزا لحنفية فانتبه الرجل من سنة غفلته

ونظر الى ابى على بن سينا وقد ضرب بأصبعه الى كفه مشيراله بذلك الى الضرب الذى كان أصله كل يوم مرتبا فقال الخواجة ان هذا الرجل ليس خاليا من حال فلا قدرة لى على مقاومته واعطاه ألف دينار وزاده خمسمائة اخرى وقال له لاتنسانى من فكرتك فأخذها ابن سينا ضاحكا واعطى الالف لذلك الدرويش و ودعه ومضى عنه ﴿قال الراوى﴾ انه بعد ذلك مضى الى زاوية منفردة وتدارك له حجرة وقرأ عزيمة وجعل حجرة مدهونة عبدا زنجيا وتوجه به الى رواس ونبه عليه ان عندى عبدا أخرس فاذا أتاك خذ أخشانة من الزنبيل الذى على ظهره وضع له به رأسا فصار الامر كذلك و بقى الرواس مع العبد على تلك الحالة نحو أربعين يوما ولكون الدراهم التى كان يأخذها من العبد جديدة كان يضعها بكيس وحدها وبعد الاربعين يوما فتح الكيس وأراد أن يقضى مصالحه بالدراهم واذا بها جميعا ورقا فقال ان هذا الرجل ساحر لامحالة ولم يزل على هذه الفكرة حتى أقبل عليه العبد ومعه الزنبيل وكانت كبشة الطعام بيده فضربه بها على رأسه فصار حجرة مدهونة فاستحس ابن سينا بالخبر فأقبل على الرواس وسأله عن الزنجى فقبض الرواس على يد ابن سينا وقال له أنت ساحر وهذه مدة اربعين يوما والزنجى يأخذ منى رؤسا وكلما أعطانيه من الدراهم أعزلها بجانب ثم فتحت الكيس لاقضى مصالحى بما فيه من دراهمك فاذا بها ورق وأقبل على العبد فضربته على رأسه بالكبشة فصار حجرة مدهونة فقال ابن سينا اشهدوا يا مسلمون هل ينقلب الآدمى حجرة وصاح قائلا انه قتل عبدى واجتمع الخلق حولهم فنهم من صار على طرف ابن سينا ومنهم من كان من جانب الرواس وارتفع الحديث بينهم وصارت معركة لا مثيل لها فترافعوا الى القاضى وادعى ابن سينا على الرواس انه قتل عبده فانكر الرواس ﴿قال الراوى﴾ ومن نكائت ابن سينا انه حين أنكر الرواس قال انظر أيها القاضى الى الرؤس التى يبيعها للمسلمين على انها رؤس ضان والحال أنها رؤس آدميين فلتكشف خبره فأرسل القاضى الى دكان الرواس واذا بها رؤس ادميين فأخرجوا رأسا منها واذا بها رأس صبى وأخرى واذا بها رأس امرأة بشعرها وأخرى رأس رجل شائب فتحير الناس وحضروا وأخبروا القاضى بما رأوه ثم تجسسوا أمر ابن سينا فلم يجدوه وقد اختفى عنهم فصاح الرواس هذا رجل ساحر فلم يلتفتوا الى كلامه وأمروا بقتله فرأى الرواس انه لابد من اجراء القصاص فصاح يا سادتى اصغوا لقولى وقص قصته عليهم كما هى وها هو قد اختفى عن أعين الناس والله أعلم بانى لم أطبخ رؤس آدميين فتكرموا على وانظروا ثانيا فارسلوا كشافين واذا بالرؤس ضان فعلموا الحال واعتقوا الرواس فاتى الى دكانه وصار يضرب كفيه على بعضهما اذلم ينج الا بمشقة وقد اشتهر هذا الخبر بالمدينة حتى

وصل الى ملك كرمان الشاه محمود فقال ماذا وما يكون من هذه القصة فاخبره الوزراء ان
هذه كلها من أعمال ابن سينا وصاروا يبحثون عليه من صميم قلبهم فعجزوا عن وجدانه
﴿قال الراوي﴾ ففي ذات يوم من الايام وابن سينا يتفرج بازقة كرمان فرأى
صبيا في دكان أحد الفكهانية فوقف يشاهد جماله وكان لذلك الصبي والد خبيث
النفس دنيء الطبع فنظر الى درويش وقد بهت وهو ينظر الى جمال الولد وكأنه
لا يعي شيأ فقال يا حمار يا رافضي لماذا تقف هنا فلم يرد جوابا سوى ان قال اني أزور
فتطاول ذلك الرذيل الطبع على ابن سينا وعزره تعزيرا كليا فغاب عن الوجود ابن
سينا وقتها وذهب الى جهة وتفكر في مجازاته فخرج من حينه خارج المدينة وكان
بمدينة كرمان من أحد جوانبها صحراء واسعة فاحضر نحو عشر قطع من خشب وعزم
وغرسها مربعة الشكل في الرمال فصارت في الحال بستانا عديم المثل داخله المياه
الجارية والبلابل والهزار وأنواع الورد تتحير فيها العقول وتشكل هو أيضا في صفة تاجر
وأتى الى دكان ذلك الرجل وقال له ان لي بستانا مشحونا بالفواكه والزهور وبها من
أنواع الفواكه شيء شتى ولم يكن وقتها أوان الفواكه فطار فرحا وأجابه الى ذلك وتوجه
معه هو وابنه راكبين خيلا وأمامهم ابن سينا فيحكى ان ابن سينا لم يزل معهما حتى
دخلوا جميعا الى البستان فوجدا الفكهاني الجنة بالنسبة لها كالخيال وحدائق
ارم عندها من ضرب الامثال ذات جداول ومياه وقد اشتبكت أشجارها بعضها
ببعض ومالت أغصانها الى الارض من كثرة الحمل فاذا بيعت الفاكهة فلا يحصى ثمنها
فقال الرجل اذا تهاون معي في الثمن فلا افتقر بعدها أبدا وبادر الى الفصال وبعد
مجادلة بينهما استقر الحال على ثمن معلوم ثم توجه الرجل الى داره ليحضر الثمن فجرت
الملاطفة والمحادثة فيما بين ابن سينا وابن الرجل واطفأ نار لوعة قلبه ولم يزل في
حلاوة الوصال متنعما بذلك الجمال حتى حضر الرجل ومعه الثمن ودفعه الى ابن سينا
ووكل بالبستان حارسين وقال ان الوقت ضاق ولا قطف لشيء الآن فاذا كان وقت
الصباح أخذنا منه اللازم لبيع اليوم الواحد وهكذا حتى تخلص الفاكهة منه لانها
اذا باتت بارت وكسد حالها فأخذ ابن سينا الثمن وسار به الى حاله رافلا في ثياب
العز قال وأما الحارسان فقد وقع لهما حال ظريف وهو انهما لما أدركهما المساء التجآ
الى أشجار بعض البستان وناما تحتها حتى انهما استغرقا في النوم واذا بأحدهما
انتبه من منامه فرأى غصن اجاص مال الى فيه حتى انه لو فتح فمه لسقط الاجاصة فيه
فمد يده اليها فارتفعت فقام ومد يده فارتفعت فنهض قائما فارتفعت فمد يده اليها
فارتفعت فوثب بالهواء مادا يده فارتفعت عنه فاحتد الرجل وأخذ حجرا ورجمها به
بحدة فبمجرد سقوطها على الارض انحدرت منبعجة وخرج منها سوط مفزع فغاب

وقتها الحارسان عن الوجود واغمى عليهما ثم أفاقا واذا بهما فى أرض كشف سماوية ولا ماء ولا شجر وصارت الارض مهبا للريح وصارت صحراء كما كانت فتحيرا قائلين اين الحديقة وكان الصبح قريبا وقد سهر الفكهانى من شدة فرحه ولم ينم ليلته وهو يتدارك فى اسلال تحمل الثمر بها وركب وسار حتى اذا أتى مكان الحديقة وجد الحارسين فى الصحراء يتحادثان فقال لهما ويلكما أين البستان فقالا له نحن فى سيرته وقد وقع بنا ما يحير العقول وقص صاحب القصة عليه ما رأى من أوله الى آخره فتحير من قوله وعاد الى المدينة وحكى لاصحابه ذلك فاشتهر أمره بالمدينة حتى سمع بذلك الملك فاستدعى العقلاء وتشاور معهم فى شأن صاحب هذه الفعال فاخبروه أن هذه لابن سينا فقال الملك ما أظرف هذا الرجل وما انكته لوشرفنا برؤيته ووجهه وقد تعجب غاية العجب من هذه القصة واشتاق اليه وزاد اشتياقه اضعافا مضاعفة ﴿قال الراوى﴾ فيحكى ان ملك كرمان كان عنده حكيم يقال له يوحنا وكان ذا دراية بعلم السيميا وكان وزير الملك كرمان فقال له اذا وجدت لك ابن سينا وأتيت لك به ماذا تنعم على به فوعده تحفا كثيرة فنهض يوحنا من مكانه وصار يتجسس على ابن سينا فوجده على حين غفلة وهو يتعاطى من العزايم ما يدله عليه فوقع بصره عليه فانتهز الفرصة وعزم عليه بعزيمة فى حالة غفلة أى ابن سينا فارخى مفاصله وقال الملعون ان الفرصة غنيمة وأدار كتاف أى ابن سينا ﴿باساده﴾ ومن الحكمة ان يوحنا لم يتدارك عقد لسان ابن سينا ولو فعله لكان أصوب وأليق بالصناعة فصبر ابن سينا ليرى ماذا يريد به وما درجت معارفه والتزم السكوت والا لعزم على اللعين يوحنا واعدمه وفك ماحل به من السيمياء فذهب به الى حضرة الملك فسأل الملك من هذا وقد كان محتلبا ووضع تاجه امامه ورأسه حاسرة مكشوفة فعزم ابن سينا وجعل حاله تاجا وحط برأس الملك فعلم يوحنا اللعين واستحس بذلك وقال له أيها الملك ان ابن سينا صار تاجا برأسك وذلك ان تشكلات ابن سينا كانت تظهر ليوحنا فوضع الملك يده على رأسه واذا بتاج مرصع مسبع الشكل وفى زاوية من زواياه جوهرة تضيء فيها خراج بلاد الروم فبينما هو فى التفرج واذا يوحنا لهب نارا واستعلى على التاج فصار ابن سينا وقتها حبوبا وبزرا امام الملك فصار يوحنا ديكا وجعل يلتقط الحبوب حتى بقى حبتان أحداهما تحت ركبة الملك والاخرى بوسط المكان فانتفض لديها ابن سينا وصار فى صفة أبى الحصين وقصد قنص وافتراس الديك فصار الديك طائرا فى الهوى فصار أبو الحصين بازا وقصد ذلك الطير وقد أرمى نفسه الى شجرة عرعر وهو فى أشد الضيق وقد أدركه الباز فعند ذلك رأى يوحنا أن لا مفر فرجع الى شكله الاصلى واستجار فى ابن سينا وأبدى له الاعذار والتزم الحجة بأن بسط ظهرى كفيه على الارض فرأى ابن

سينا ان الحال تحوّل الى طور آخر فتمثل هو أيضا بشكله وأخذ بيد يوحنا ومشيا يتحادثان حتى وصلا الى حضرة الملك فسمع الملك ببقية الخبر ويوحنا يقص عليه جميع ما تم فاستحسن منهما ذلك وأكرم ابن سينا وعظمه وأجلسه بقربه وجعلا يتحادثان ففي أثناء ذلك قال الملك لابن سينا انه حصل بنا أمر عظيم وقص عليه أمر القلعة فقال ابن سينا وكيف ذلك فقال الملك بينما نحن على غفلة في ذات الايام صباحا الا وقد جاءني الخبر بأن القلعة قلعت أوتادها وأطنابها من جدرانها وأصولها وترجاه أن يعيدها كما كانت فقال ابن سينا أيها الملك هذه الواقعة لا أصل لها فارسل واستكشف أخبارها فارسل من يكشف الخبر واذا بالقلعة مكانها الاول كما كانت فتعجب الملك عند ذلك وقال أنا رأيت محوها بعيني ماذا أصابها الآن حتى عادت محلها ولم يسع عقله محوها ورجوعها ثانيا فعند ذلك حمد ابن سينا ربه وأثنى عليه بما أولاه من النعم الوافرة وقال هذا شيء من جزئيات علومي وهو كالذرة من أشعة الشمس أو كالقطرة في المحيط فترجاه الشاه محمود وقال له هلا يجوز أن ترينا من عجائب ما أعطيت شيأ حتى نتفرج قليلا فلم يرد قوله ابن سينا وأجابه بالتلبية وقاموا من الديوان واشتغلوا وصارت الضيافات لابن سينا وأتحفه الملك بتحف جزيلة فيحكى ان ابن سينا أطرق برأسه قليلا وعزم فبينما هم في استنظار ما يحدث من اطراق رأسه واذا بحيوانات عديدة مختلفة الانواع خرجت من خرقة ابن سينا من دب وذئب وثعلب وابن آوى بسرعة وهجموا على أرباب المجلس فتنحى عنهم أرباب المجلس وهم يتكاثرون وهم يفرون منهم فوصلوا الى حالة حتى ان المحل الذي هم فيه ضاق بهم وخرج أرباب المجلس فارين وكادوا من خوفهم أن يهلكوا فاتفق ان تعارك الحيوانات جميعا مع بعضهم وتهابروا وتصاولوا واتسع المجال بينهم وعلت همهمة النمور والسباع ونغمت أصوات بقية الحيوانات حتى أصمت اسماع العالم فسمع أصوات المستجيرين فاندهش الملك وكاد أن يركن الى الفرار لولا ان ثبت جنانه وابتدأ الجميع بالصياح الامان الامان وقد ترجوا ابن سينا في حل ما وقع وافيه فتفرغ ابن سينا من العمل واذا بهم دخلوا في خرقته وانمحوا ولم يبق لهم أثر وقال اعذروني اليوم والخدامة أيضا من موجبات أموري فتعجب الملك وقال سبحان الله العظيم وما وهبه لخلقه قوة خارجة عن دائرة الحد واشتغلوا بالضيافات لابن سينا فلما أمسى المساء وخلا المكان عن الاغيار كافوه أيضا أن يريهم من عجائب علم السيمياء ما يبهر عقولهم وترجوه كثيرا وكان رحمه الله تعالى بذلا في صناعته وترجوه ان يظهر لهم ما ليس بمخيف فأجابهم الى ذلك ثم أمرهم أن يستروا الشموع ثم شرع في قراءته فخرج من خلف الستر طير طور الى السقف وصار يرتفع حتى ان سقف البيت انشق وخرج منه الى أعلا نحو مائة

هنداززة ثم ظهر تحته جبهة سوداء وصارت ترفع مدة وبعدها ظهر أنف أكبر من السيف بنحو ثلاثة أنواع وأقوى منه وأقنى ثم ارتفع وظهرت لحية وجعلت ترتفع نحو ساعتين ثم ظهر بعدها امعاؤه وبدا ينتشر في الدار ولم تزل تكثر حتى ضيقت على القاعدين فتنحوا عن أماكنهم وهكذا حتى التزموا الكوات فضاق بهم الحال وزاحمهم حتى كاد أرباب الديوان أن يلقوا أنفسهم أسفل القصر فصاحوا عند ذلك واستجاروا في ابن سينا فبطل ذلك عنهم فترجوه أن يفرجهم ما يبهجهم لا ما يبهتهم ويوهمهم فيحكى ان القصر الذي كانوا مقيمين به كان له طاقات عدة وكن مقفولات فأمر ابن سينا أحد أرباب المجلس بفتح طاقة منهن فنهض وفتحها ولم يكن أوان الخريف فنظروا واذا ما يبهج المنظر من الخضرة وكأنه فصل الربيع والازهار في كل جهة متنوعة وصارت الدنيا كالجنة والقمري والبلابل والهزار بأنواع تغرد بنغمات الذمن نغمات الاوتار وكأن القمر ليلة البدر وأشد نورا منه اذ رأوا جميع الزهورات بنوره وهذا مستحيل تحقيقه ولو لحديد النظر وصار أهل المجلس والشاه محمود يتفرجون وتحيروا في هذا وصفاء الوقت فأمر ابن سينا أحدا آخر بفتح طاقة أخرى وغلق هذه ونظروا منها واذا بريح عاصف كأنه يعسف قوم عاد ريح صرصر لم يمكن تعريفه والتعبير عنه بل هو خارج عن العقول والامطار تمطر والثلوج تترا كم فصاحوا عند ذلك يا لطيف الم يزل ألطف بنا فيما نزل وقد هجم الثلج والمطر والريح عليهم بالديوان وصارت واقعة برد نستعيذ منها الزمهرير فقفلوا الطاقة ولبسوا فراهم حتى زال عنهم ألم البرد وبعدها على ما حكى انه أمر بفتح طاقة أخرى ففتحوها فوجدوا بحرا تتلاطم أمواجه واذا به كالطوفان وعم الجهات جميعا وعلت الامواج ثم ارتفعت حتى كانوا يروا من شدة الاضطراب سمك البحر في الامواج وكأن الامواج تخبر عن طوفان نوح فبينما هم في حالة التفرج واذا بموجة اقتحمت عليهم المكان والهوى كذلك وقد ابتل كل أحد منهم فقفلوا الطاقة وصاروا يجففون ثيابهم برهة وقد حكى الرواة ان ابن سينا أمر بفتح طاقة أخرى فرأوا نارا عظيمة قد أحاطت بأكناف الدنيا ولها لهب كالمواذن ولم يروا بقعة خالية من النار فبينما هم في التفرج واذا بلهبة خرجت عليهم من عظم هبوب الريح وكادت تحرق المتفرجين فتقهقروا جميعا وقد غلقوا الابواب ثم أمر بفتح طاقة أخرى فحين فتحوها نظروا خارجها واذا ببارقة أنوار السماء وسط السماء والناس يمرون بكل جهة وكأنه نهار على حكم العادة فأمر بغلقها أيضا وأمر بفتح أخرى فيروى انهم رأوا أن الوقت ليل لم ير أحد أحدا وانقضت ليلتهم على هذه الكيفية وقد تحير الشاه محمود وأرباب مجلسه حيرة لم يكن أعظم منها أبدا واستحسنوا صنائع ابن سينا وقد استنسبوها وتفرغوا بعدها الى المحادثة الى

لصباح فبوقتها استأذن ابن سينا من الشاه محمود وذهب لمكانه وارتاح ثم أتى ليلة غد فترأكمت الخلائق من أرباب الديوان وصار مجلسا لا يوصف فترجوا ابن سينا ان يريهم من العجائب وقد كانوا بوقتها على الموائد في حالة الاكل فحكى ان ابن سينا عزم بعزيمة ونفخ بها على الطعام فصار الارز بدانا صغيرة واليخني صار أرانب ومحشي الكرنب صار ضفادع وتبدل الطعام كله مثل العقارب والحيات وأنواع الحشرات التي بالارض فعند ذلك أمسكوا عن الطعام وقاموا عن الموائد فضحك ابن سينا وقال لهم تعالوا لا بأس عليكم انما هذه تخيلات قال فارتدوا على أعقابهم وجلسوا على الموائد واذا بها من أشهى الطعام كما كانت والحاصل انه أراهم ليلتهم تلك من أنواع العجائب ما حير ألبابهم وشتت عقولهم هذا وقد أمضى ابن سينا مدة وهو بصحبة الشاه محمود وكل يوم يريه مما يعتبر به أولوا الالباب ﴿قال الراوي﴾ فيحكى انه كان للشاه محمود غلام من أقاربه ذو فم كباسم الورد وشعر كحالك الليالي الطوال ومنطق فصيح ووجه مليح وقد يزدري بغصون البان اذا مال وماس ويفضح بثناياه عن معرب الالماس وثغر باسم اذا رآه مالك ذهب غضبه وكان رضوان لذلك اتسدبه وأما مأنول ناظره لا يرى الا اياه وكم من شريك لرؤيته أسلم الامر لله وعاهد أن لا يعبد الا اياه فهو كما قال الشاعر عن حال ابن سينا

يارب ظبي لا نظير لحسنه ❊ فيما أرى من عربها والاعجم

وافى الي مواصلا متعطفا ❊ من بعد بعد كاد يوهي أعظمي

فوضعت خدي فوق صفحة عنقه ❊ فجرى دمي من مقلتي كالعندم

فعجبت كيف جرى دمي معانه ❊ من عادة الكافور امساك الدم

﴿قال الراوي﴾ وكان هذا الصبي من أرباب الدولة من أخصاء الشاه محمود وقد كان ابن سينا هام به وجدا ومال اليه بكليته وكان يختلي معه سرا وكان ابن سينا يميل الى الصور المليحة ويهيم لمشاهدتها وكان يهواهم ولم يكن ذا مذهب يميل للتوحيد بل لكل صبيح بقلبه وجد جديد وكان هذا الغلام تمكن من قلبه حتى انه كان يظهر له من العجائب والغرائب ما قيده به تحت خدامته وكان الوزير يوحنا عاشقا لهذا الصبي ايضا ومائلا اليه ظاهرا وباطنا فلما ان اختص به ابن سينا حسده على ذلك حسدا عظيما ولم يفده حسده الانفارا وعارا وشنارا وكانت عاقبة أمره أن لحق بنار العار ولم يستقر به بدار الهناء له قرار وفي بعض الايام قيل ان يوحنا الملعون أتى الى الشاه محمود وقذف في حق ابن سينا وقريبه وصار يهيج شرا بيناء غضبه حتى أصدعه وكان زوره وبهتانه ما أشنعه فلم يصدق الملك بمقالته حتى انه أرسل عيونه وجواسيسه فوجدوا ما قاله قد صار في محله في البعض و وجدوه يحادثه فعند ذلك صار الشك

عنده يقينا وتنغص الملك من ابن سينا باطنا وصار كلما أتى الى مجلس الشاه محمود لم يعتبر به وطرحه من نظره وعزم بل وجزم على انه اذا اقتدر على قتله لم يمهله فيحكى ان ابن سينا استحس بالخبر ورأى انه اذا أقام فى المدينة ليلته يوشك انه يهلك أو يقع فى مهلكة فخرج من المدينة وقصد خارجها فوجد واديا اذا أحجارها ثلة وعرة فقرأ عزيمة وجعل به مدينة مدينة ارم من بعض دورها و يعجز عن وصف قصورها ولم يكن أنظم منها مدينة على وجه الارض وصارت مدينة كرمان بالنسبة لها قرية حقيرة وكانت أصوارها وحيطانها وقصورها من المرمر الابيض البراق الصافى لاشوب به ذات بروج مرتفعة شاهقة صرح فرعون لم يبلغ لعشر معشار ارتفاعها وكان يتقطع السحاب بها وهى معمورة من أجناس الخلائق والمياه بها جداول وأنهارا ودورها شاهقة مرتفعة وبها قباب وجوامع ورباطات وهى منقسمة أرباعا والاسواق محيطة بها من كل جانب وبكل دكان ولد صبيح الوجه يتعاطى بيع أنواع البضائع وبها من الصباغ والجواهرجيه والحدادين والسباكين وكل الحرف والمدارس بها كل العلوم والفنون وحيطان دورها توهج بالذهب مبلطة باللازورد والحاصل ان وصفها خارج عن دائرة العقول والفهوم وجعل له بها قصرا شاهقا بالغا الى أعلى الابراج والأصوار ودیوانا جسيما رحبا أرضه من أنواع الاحجار وطاقاته مطلة على البر الذى يبهج النظار وعليها من الستائر الديباج المزركش باللؤلؤ والمرجان وأيضا بساتين من جنات رضوان قال فلما ان أصبح الله بالصباح ونادى المنادى حى على الفلاح ودبت الاشباح وتعاقب الغدو والرواح اشتهر أمر تلك المدينة وأخبروا بحالها الشاه محمود فعلا لصور قصره وأهل مجلسه معه ونظروا اليها واذا بأبصارهم خاشعة من الانوار والاشعة فاندهشوا وعضوا عليها الانامل وقد ارتفع صوت أهلها حتى أدهش الخلائق وصار كالزلزلة والرعود وتفكروا فى كونها أخرجت من حيز العدم الى قوة الامكان فى ليلة واحدة فحط أرباب العقول رأيهم على ان هذا أيضا من صناعة ابن سينا بقوة علم السيمياء فبينما الناس فى التفرج والتعجب من أحوال بنيان تلك المدينة العالية البنيان الشاهقة الجدران الا وقد حدث بالمدينة ولولة عظيمة فأمعنوا النظر من جهة الابواب واذا بسفير ملك المدينة قد أقبل عليهم فاستقبلوه وأنزلوه منزلا جيدا عظيما ثم أمر الشاه باحضار أرباب ديوانه وخواص دولته ونصب مجلسا عاما ودعوا الرسول فحضر الى حضرة الملك وأجرى رسوم التعظيم للملوك على حسب العادة ثم قبل الارض و وقف ثم وضع له كرسى من المصفحة بصفائح الذهب وأمره شاه محمود بالجلوس عليه وأعطوه الشربات فشرب ثم دعاوا برز الجواب الذى هو من عند ملك المدينة وناوله للشاه محمود ففض ختامه وأعطاه للوزراء وقرئ

بأعلى صوت ﴿قال الراوى﴾ وقد كان فيه خطاب للشاه محمود يقول له ان لك مدة وانت مقيم فى تخت السلطنة ومترفه فى ارغد عيش المملكة وقد كفاك ما فات وانقضت أيام دولتك و بقى الدور لنا ومع كونه أمر اصغاء عليك حال الاسلم لنادبار كرمان وارحل منها ولا يتفق لمملكة حاكمان ولا امر الرعية بحكم ملكين فالرحيل الرحيل واذا بسطت قدم العناد فتكون عبرة بين العباد وبا كرتاريخه بينى و بينك الملتقى فى حومة الميدان و يظهر حال الشجاع من الجبان والافتخر وا أنتم اذا لم تبرزوا لملاقاتنا وختم الكلام فتحير الشاه محمود من ذلك المكتوب واستغرق فى تيار بحر الفكر فرأى من أصوب الامور أن يرسل اليه أحد المدعوه برفق والصلح سيد الاحكام يكون واسطة الخير بينهم وأمر أحد وزرائه العقلاء أن يتوجه الى ابن سينا وليتلطف به ويحضره معه فتوجه الوزير الى داره بدارك لوازمه واستصحب معه السفير وقصد مدينة العبر العجيبة وقد كان ابن سينا وضع موكلين فأخبروه بمجيئهما فأرسل وزراءه فاستقبلوه فسمع وزير الشاه محمود دويا وغلغلة وأصواتا عجيبة ارتفعت من نحو الباب واذا بهم الوزراء يقدمهم ذوو الرتب من القواصين على نحو عجيب ونمط غريب لابسين الاقمشة المذهبة والاغوات المنظوم من كنظام الثريا طوائف طوائف وأدوا له تعظيم الاستقبال ثم كروا راجعين امامه الى أن عبر الباب فصار الوزير يمعن نظره فى حسن بنيان المدينة ونظم أحوالها وظرافة أهلها والبضائع المجلوبة من الديار البعيدة من غرائب الصنائع من هندية وصينية وافرنجية ولم يزل فى التفرج حتى وصل الى قصر الملك فدخله واذا بأرضه وسقفه وحيطانه به جميع النقوش بالاحجار المنحوتة والاخشاب المعشقة المفرغة والاعمدة الموكبة من كبيرة وصغيرة براقة كأنها البلور والمرآة المموهة بالذهب وصفائح الفضة من أرض المكان الى وسطه وعليها ستائر اللؤلؤ مسبولة عليها فاندهش اندهاشا كليا حتى صار لا يدرى أين السبيل وكان للقصر باب لو اصطف مائة راكب ومروا عرضا لما احتك كتف أحدهم بحافة الباب وقد كان للدار رحب فسيح فاستقبله البوابون المزينون بأنواع الملابس وصعدوا به الى الديوان المرتفع ثم استقبلوه جماعة أيضا وقد استلموه ممن قبلهم من أرباب النوبة وساروا به حتى أحضروه الى الديوان فتأمل أرباب الديوان فرآهم مرتبين كل منهم على حسبه والعساكر اللابسين الزرخ يمينا و يسارا ومنهم المقلدون بالسيوف الهندية والمعتقلون بالرماح الخطية ومنهم من هو مجرد سيفه شاهره ورأى على التخت ملكا معها باذ الحية بيضاء على صدره وعلى رأسه تاج ملوكى وبوسطه منطقة مجوهرة واضعا يديه على فخذيه جاثيا على ركبتيه بالتعظيم والوقار

وحوله اثنا عشر ألف غلام طلعة وجه كل منهم كالبدر التمام شاهرين سيوفهم وبأوساطهم الخناجر الجوهرة المحلات بالذهب والفضة وبقربه أرباب الحكمة من وزرائه من ذوات العزة والاجلال والبهاء والكمال والحاصل انه نظر مجلسا لا يليق أن يكون هو به غلاما من جملة الاتباع فضلا عن المتبوع وملكه فتحير الوزير العاجز وفاضت عليه لجة الافتكار وطغت عليه أمواج الاكدار فأدى آداب السفارة بأى حالة كانت ووضعوا اله كرسيا وقعد عليه وأبرز ما أحضره من أنواع التحف والزخائر لحضرة الملك فأعطوه شربات فشرب وبعد ذلك رفع ابن سينا الذى هو ملك المدينة رأسه وخاطب الوزير بعتاب ذا نكت وقال له قم الى ملك كرمان وحذره من نفسه ولا بد له من المبارزة فلا يمكن شاهين بمملكته وقرين بسماء مملكته فاما أن يصفو لى الوقت أم له لانه يكفيه ما تمتع به من السلطنة واذا كان معززا بعسكره فان ما رأيته قطرة من بحر ومن كذب فسيرى وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وغداة غد ترون جردة عسكرى الجرار وعامله بعنف واحتقره ووضع قدره وطرد الوزير فلم يهتد الى الباب الا بشق الانفس وهرب مسرعا وأخبر شاه كرمان بالقصة وعظم ما رأى فتحير وضاقت عليه الارض بما رحبت ولم يدر ماذا يفعل وجعل يتفكر فى زوال دولته وانقراض حكومته فأرسل الى جميع حكام دولته بكل الجهات أن يتداركوا العساكر وأنفذ اليهم لامات حربهم فجمعوا نحو مائتى ألف مقاتل فلما ان رفعت اعلام الصباح وخفقت ستور ظلام الليل وراح أبرز شاه كرمان عساكره وصفهم صفوفا ورتبهم ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين وأشهروا سيوفهم امام باب المدينة فأمر ابن سينا الذى هو مالك العجائب والغرائب عسكره فركبوا ووثب قائما على قدميه وأبرز لهم ثلثمائة ألف مارك ليوث عوابس وكل منهم فى الحديد غاطس لا يرى منه غير حواليق الحدق وتطاير الشرار من أعينهم من استيلاء الحنق وابتدروا عسكر الشاه محمود قتلا وأسرا وسلبا فانهزم عسكره فى الحين والتجؤا الى الاصوار والابواب والبرارى والقفار طالبين النجاة فرأى ملك كرمان ان أمره آل الى الخراب فصاح بعسكره وجمعهم وباشر الحرب ثانيا فنظر ابن سينا الى ما فعله الملك فنزل عن تخته واتزر بازار فى وسطه وأخذ باحدى يديه عودا وبيده الاخرى قرعة وأتى الى المعركة وجعل كلما يقرع بالعود على القرعه يخرج منها كل عشرة أنفار أو عشرين من أبشع الغيلان وبيد كل منهم دبوس أذهب عقل من شاهده وقصدوا جهة القلعة دفعة واحدة فلم يثبت أمامهم أحد وابتدؤا فى الاستيلاء على القلعة فذهل ملك كرمان واندهش لذلك وقال للوزراء كيف العمل فقالوا انطلب الامان ولم يكن مرام ابن سينا الاستيلاء على القلعة وانما

قصده طلبهم الامان منه وذل أنفسهم الشامخة فصاحوا الامان فرمى ابن سينا
القرعة من يده فرجع الغيلان الى حوفها ورجع بقية عساكره الى قلعته ﴿قال
الراوى﴾ فيحكى ان ابن سينا كتب كتابا الى الملك ودعاه اليه فلما ان طالعه ووجد به
أمر الضيافة جمع وزراءه وجماعة من أرباب مجلسه وقصدوا المدينة العجيبة
فنظروا اليها واذا هى ثلاث أدوار يعلو بعضها بعضا بالرمر الابيض وحوالها
خنادق جسيمة ملآنة بالماء دائرا المدينة وباب المدينة من الفولاذ الصينى وقد
بلغت اصوات اهلها البعد من عدة فراسخ وبباب المدينة نحو من ثلثمائة قواص لابسين
من أحسن الملابس وهم ينتظرون قدومهم فقالوا لهم تفضلوا فقال الملك بسم الله
ودخل فرأى من كل جانب أسواقا وكل صنعة لها سوقا خاصا لم تر عينه مدينة مثلها
فلما ان مشوا مسافة ثلاثة فراسخ أشرفوا على قصر بسراية وقد اصطف عند انها مائة
ألف راكب وهم يلعبون ويتراحمون الى كل جانب حتى اذا أقبلوا الى باب القصر
وجدوه مرتفعا نحو خمسمائة وعشرين ذراعا واتساعه نحو ثلثمائة وعشرين ذراعا
بالاحجار المنقوشة المموهة بالذهب وأنواع الاحجار وارتفاع الباب لا يرى من علوه الا
بالتأمل الصادق والبوابين نحو ألف نفر ثم أتوا الى باب آخر (وروى) انهم عبروا
سبعة أبواب الى أن وصلوا الى باب الديوان فلما ان قربوا نزل خواص الملك وجلساؤه
من الوزراء واستقبلوا الملك ولم يزل الملك كذلك من باب الى باب حتى وصل الى قصر
أعلى من الجميع فاستقبله الوزراء وأرباب الدولة جميعا وفى أثناء الطريق كلما
مر من باب تلقاه السوقة وما كأنها لا قرية قرية وتأمل حيواناتها فاذا هى كالقردة
والغزلان والكركندات والمهى والديكة والفيلة والثعالب وأنواع الحيوانات وهم
يلقون على الملك أنواع التحف والذخائر والجواهر الثمينة ففرح بذلك عسكره
وشحنوا جيوبهم وبنودهم ومنهم من عباها بحجره وكل من بسوق المدينة تركوا
أشغالهم وتلقوا الملك بالتأهيل والترحيب فمشوا على هذه الحالة قدر فرسخ واذا هم
أتوا الى باب قصر جسيم شاهق واذا بأبوابه كل باب عليه ألف بواب خيالة وقرابة
بأيديهم المزارب المموهة بالفضة والذهب وقد نهضوا للتسليم على الشاه محمود ونحو ألف
خيال وقراب من القواصة وبأيديهم العصى والسيوف المحلات بالذهب ومشوا
امام الملك ودخلوا على باب مثله أيضا فجعل أهل كرمان يتفرجون على هذه المدينة
العديمة المثال وتأخروا عن ملكهم يسارهو وأهل ديوانه فوجد أهل كرمان هذه
المدينة قد قسمت اثنين وثلاثين قسما بكل قسم حرفة خاصة لا تشابه حرفة أخرى
ووجدوا أهلها فى سرعة حركة مما لا يحيط به عقل أحد فكان سير أحدهم كالبرق
وبها جوامع وبيع ورباطات وزوايا ومارستانات وأماكن للمرضى وكم من جنازة

مرت بهم وكم من فرح أقيمت راياته وكم شبكة صالحوا ماينها الاخوان ﴿قال الراوي﴾ والحاصل ان ملك كرمان لما ان قرب من باب الحكومة استقبله أرباب الملك الخواص بمسامرته ووزرائه على عادة ماسبق من السبعة أبواب وسار وابه مع أهل دولته الى عند قدم ابن سينا ووصلوا الى الباب العالى الهمايونى فوجدوا أعاظم الدولة والاكابر والعلماء والوزراء والحكماء قد استقبلوا الملك ورجلوا الشاه محمود عن جواده ورفعوه من تحت ابطه وأدخلوه الى ابن سينا داخل ديوانه الخاص به فوجده الشاه محمود ديوانا عاليا وبصدره تخت مرصع وعليه شيخ نورانى الوجه روحانى المنظر جالس عليه وعلى يمينه ماينوف عن ألفين من أهل الحكمة من وزرائه وأرباب التدابير والكتبة والعلماء جالسون وخلفه اثنا عشر ألف نفر لابسين القفاطين ممنطقين بالمناطق المرصعة وبها الخناجر المجوهرة ووجوههم تزرى بالبدر حسنا مكتفين الايادى كالحازم للصلاة وبيساره من كل جهة سبعة آلاف من الليوث العوابس الذين هم فى الحديد غواطس عليهم الدروع الداودية شاكين الاسلحة منهم من لاق به النهوض ومنهم القاعد والحاصل انه كان مجلسا يليق ببهرام وكيوان ان يكونا من جملة الخدام والغلمان والشمس والقمر أن يكونا من أوانى الطعام للندمان ولم تتخيل مرآة عقل جمشيد ولا اسكندر مجلسا مثل هذا افضلا عن رؤيته كيف لا وقد تحير فى حسن نظامه الشاه محمود فريد عصره شاه كرمان فنزل ابن سينا عن تخت السلطنة وتقابل مع الشاه محمود مقابلة الملوك والسلاطين وجلسا معا على هذا التخت الرفيع القدر ملاصقين ركبتيهما معا وبعد ذلك عين لكل من أرباب دولة الملك محلا خاصا به كل بحسب رتبته ثم بعد ذلك أشار ابن سينا واذا بغلمان كأنهم الكافور بياضا وبوجوههم الشامات افرادا وأزواجا وخدودهم كالورد الجورى وقسى حواجبهم كالنون وأهدابهم كاهداب الغزلان بخصر نحيل وردف ثقيل وشعورهم سابلة على أكتافهم وأفواههم كباسم الوردوشفاههم كحافة الاقداح ورضابهم المسك منه فاح مشمرين عن سواعدهم البلورية وبأوساطهم الفوط الزردخانية المزركشة باللآلئ والمرجان واللازورد وأنواع الاحجار وبأيديهم مباخر الذهب والفضة يوقدون بها المسك والعود والعنبر وقد عبقت من أرجه الارجاء فمالها ساعة لم يسمح الزمان بعدها بمثلها فاحضرت الاكواب من أنواع الاشربة فمن تمنى شرابا كان أخذه بعينه كأنما أشار اليه بالاقداح البلورية والكاسات الفغفورية فشرب كل من بالمجلس ثم أشار أيضا فذهب هؤلاء وأحضروا البشاكير البيض وفرشوها والملاعق الذهب والموائد المرتفعة والصوانى الذهب وعليها خبز كان بياضه اللبن استعاره وأنواع الاطعمة من ألذ ما يكون والاشربة النفيسة وأحضروا

من المأكولات ما حال بين الجالسين فلم ير الصف الآخر ﴿قال الراوي﴾ قيل ان الذين حضروا الى مجلس ابن سينا من توابع ملك كرمان ولواحقهم ما ينوف عن العشرة آلاف نفر فقعد الكل على الموائد وصاروا يأكلون نحو خمس ساعات فلم يأكلوا ما ألقي من الاصحن الى الارض واذا سئلوا عن وصفها لم يقتدر أحد على وصفها وارتفعت الموائد ودعوا للنعمة بالزيادة وعدم الزوال ثم أمر بالفاكهة فأحضرت من كل نوع وجنس من رطبها ويابسها فابتدؤا أيضا بالاكل وتحادث كل محادث مع رفيقه ومكثوا مدة ثم ان ابن سينا دعاهم الى التفرج في البستان ومشى هو أمامهم بهيبته ووقاره على عادة الملوك وأتى بهم الى بستان لم ير مثله أبدا واسع الرحاب لم ير آخره واذا دخله عدة آلاف نفر لم ير أحد رفيقه والبلابل تغرد به متنوعة النغمات من كل جانب وبهذه الحديقة جداول المياه تجري من تحتها كأنهار الجنة وبها أثمار في غير أوقاتها والزهور فاحت روائحها والرياحين نمت بما يحويه النمام من طيبها والاشجار مالت على بعضها تعانقا كأنما هو عيد اللقا وقد امتلأت الارض من نوارها فهي كالنجوم في السماء وطفا على رياضها كالدهر في المجرة وبوسط البستان قصور تجري من تحتها الانهار وخيام بأواسطها الشاذروانات شاهقة على أقبيتها الجواهر وأطنابها من أنواع الحرير وأوتادها من الفولاذ والابنوس وحلقاتها من الذهب والفضة واسراج عرادا من القصب الهندي المذهب فدخل الملك وأتباعه بها وحضر لهم أنواع الفاكهة مما يشتهون واشتغلوا بالمأكل والمشارب ﴿قال الراوي﴾ حكى ان ابن سينا افتكر سيئة الوزير يوحنا الكاتب وما أبداه من الفتن وقصد أخذ الثار منه فابتدأ بقراءة عزيمة فقام يوحنا ولم يستطع القعاد وقصد جهة من البستان ففي أثناء سيره رأى حجرة مقابلة له فدخلها واذا بها واسعة وداخلها نحو المائتين من همج الناس الجرارين المعترين مصطفين يتضاحكون فعظموا يوحنا الوزير وأجلسوه في الصدر وأحضروا جانبا من المأكل والمشرب وبعد ان أكلوا وشربوا أحضروا في وسط المكان لوحا من الخشب عريضا وقالوا ليوحنا الوزير نحن لنا عادة ان كل من حضر عندنا ضيفا نلقيه امامنا وكل منا يفعل به مرتين فاذا خالف نربطه في هذا اللوح رباطا وثيقا ويمسك طرفاه اثنان منا ونتلكه بالدور وهكذا حتى نقضي منه أوطارنا على قدر الامكان والطاقة فماذا ترى هل ترضى بالشرط الاول أو الثاني فرأى انه لابد من ذلك ووجدان النجدة حيل بينها وبينه ولا فرار ولا قرار فتحير حيرة عظيمة وأخيرا صبر لحكم القضاء وتعرى لهم وركع للشيطان منيبا اليه فأتى اليه هؤلاء الجبابرة وصاروا يكيلون له كيلا وافيا وما لم يحميه بعدوه له فآل أمره الى التلف ولم يبق له طاقة على مكثه على مقعدته فلم يصدق بالنجاة وهو زاحف

طالب

طالب الباب فرأى الشاه محمود والمجلس قاعدا وكل منهم ينظر اليه ويتضاحكون عليه فسألهم عن سبب ضحكهم فقال له الشاه محمود وغيره انك قمت من المجلس وشلحت أذيالك وقصدت حنفية من هذه التي على الاحواض وصرت تقعد عليها وتنهض وتقعد حتى غاب عقلك من شدة الممارسة والمعالجة والآن فقت لنفسك وقت فصار يوحنا الكئيب يتباكى و ينتحب وقص عليهم القصة وكان كل من بالمجلس يتضاحكون عليه الى المساء فقال ابن سينا انك ضيفي أيها الملك ثلاثة أيام فلما أظلم الظلام أوقدت الشموع والنجفات حتى صار كالنهار وجرت محادثة ومنادمة وصفا وة وازالة هم وكدر مما لم يوصف ولم يسمع الدهر بمثله فيحكى ان ابن سينا أشار الى جهة فخرج منها وجوه كالاقمار على قضب الخيزران يحملها ساقان قمريان لم تر مثلها العينان وبيد كل منهم آلات أنواع الطرب فمنهم من بيده العود وآخر القانون وآخر الدف وآخر الناى وآخر الكمنجة وبمقابلتهم القينات كالحور العين طوال القامات سابل شعرهن على متنهين متبرجات تبرج الجاهلية وبأوساطهن الكشامير وقد أقعدهن ردف ثقيل مهيل فلم يستطعن القيام ولا المضى ذوات تيه ودلال وقدوا اعتدال وبيض سوالفهن وردة العشاق وبريق ثناياهن كبريق اللؤلؤ البراق ورضاب كوثرهن يبرى العليل من العلل وهو أطيب من المسك وأزكى من العسل يزدرين بقالب الحسن والجمال اذا مسن ذات اليمين وذات الشمال وجلسن مقابلة الغلمان فنهض غلام على قدميه وأخرى منهن وقد أومأت اليه فترامبا بالاشعار بنغمات الذ من نغمات الاوتار وقد أشارت اليها أخرى من القينات بالجلوس وقامت وأنشدت ما يزيل الهم عن الوجه العبوس بلسان حالها تقول هذه الابيات

أروم قلبي من هواه تخلصا ❊ ان زاد لومى لائمى أوانتقصا
أجد الملام على الغرام محرضا ❊ واليائس منه على هوائي محرصا
كيف البعاد ولا مساعد لى سوى ❊ دمع يطاوعنى اذا جلدى عصى
يامن تقمص بالجمال أجر فتى ❊ يمسى ويصبح بالضنا متنغصا
وأعد بوصالك طيب عيش طالما ❊ قضيت أيام الصدود منغصا
لولاك لم آلف بالزلال على الظما ❊ شرقا وبالاكل الشهى مغصصا
ولقد جهدت فلم أجد لحشاشتى ❊ غير الوصال من الصدود مخلصا

❊(قال الراوى)❊ ولم يزالوا فى غناء وآلات الطرب شدت أوتارها وبلغت الى التراقى فسكر الحاضرون من هذا الطرب وأنشد غلام أيضا هذه الابيات

لم ينقلوا عنى الغرام مزورا ❊ ما كان حبكمو احديثا يفترى

طلعت بدور التم من أزراركم * فغدى اصطبار الصب منفصم العرى
يامن هجرت على هواهم عاذلى * أيحل فى شرع الهوى ان أهجرا
أعنى الملام ولا منام يطيعنى * فكأن أذنى العين وانوم الكرى
فى كل هيفاء الغرام كأنها * غصن يحركه النسيم اذا سرى
قالت وقد سمعت بجرى مدامعى * صدق المحدث والحديث كما جرى
ذكرت فصغرها العذول جهالة * حتى بدت للناظرين فكبرا
وجعلت معنى الحسن حتى أقبلت * فرأيته فيها يلوح مصورا
لا تذكروا الغزلان عند لحاظها * أبدا فكل الصيد فى جوف الفرا

﴿قال الراوى﴾ * ولما استتم كلام الغلام هام المجلس من حسن مقاله وطربوا طربا حتى شخصت الابصار ودار الكأس والطاس وملأ الغلام الاقداح من شراب التفاح وأمثاله وناول الجالسين فخيل لهم أن المجلس كاد أن يطير من شدة الافراح ثم جلسا ونهض غيرهما وجددا بانسياه الاولان مالو تلى على الرفات لا تنعشت أرواحها وأحسنت القينة اذ غنت وقد ألقت وشاحها وقد ملأ الغلام الاكواب ماء زلالا وسقى بها المجلس يمينا وشمالا وشرب كأسا فتبدلت عيناه وماس وانثنى ثملا كأنه عود القنا فأنشدت القينة من حينها وبالغت فى المعنى تقول

طاب الصبوح لنا فهاك ودات * واشرب هنيئا يا أخا اللذات
كم ذا التوانى والزمان مساعد * والدهر يسمح والزمان موات
قم واغتبق من شمس كأسك واصطبح * بكواكب طلعت من الكاسات
حمراء صافية توقد نورها * فعجبت للنيران فى الجنات
يسبيل فى قار الظروف حبابها * والدر يجتلب من الظلمات
عذراء وافقها المزاج أما ترى * منديل عذرتها بذى سقات
يسقى بها عبل الروادف أهيف * خنث الشمائل شاطر الحركات
يهوى فتسبقه ذوائب شعره * فى خده كأساود الحيات
لو قيمت ارزاقنا بيمينه * عدل الزمان على ذوى الحاجات

﴿قال الراوى﴾ * فوقع الخجل بالغلام واحمرت وجنتا خديه حتى كاد تا تنصدعان وذبلتا عيناه فأومأ اليها فدنت منه ولم تدر بما أضمره لها من حسن الملاطفة فمال ليها ليقبلها فنفرت منه كالغزلان الشرود وردعته بظاهر يدها فصاح لديها المجلس وهاموا ومالوا وطربوا وثملوا واندهشوا من تلك الملاطفة والممازحة والالحان المنعشة للقلوب وذكر كل حبيب ماله من محبوب وكان لسان حال الشاه محمود يقول

ولرب يوم ظلت أرقب وعده * فى مجلس حل السرور بسعده

والماء شبه سلاسل من فضة * ما بين زرقته وخضرة زنده
بمدامة حمراء كمل لونها * مزج الحباب كلؤلؤ في عقده
ومليحة تنفي الهموم بشدوها * ومهفهف يحكي القضيب بقده
هذاك منتقل العذار كأنما * غرس البنفسج في منابت ورده
ويد الفتاة خضيبة فكأنما * غمست أديم بنانها في خده
غنت فأطربت الغلام بشدوها * ولشدوها غنا الغلام ببنده
فدنا يقبلها فمن رقبائها * حنقت عليه وأبدعت في رده
لطمت عوارضه بغير جناية * منه فأثر نقشها في ورده
فاخضر آس عذاره من نقشها * واحمر باطن كفها من خده

(قال الراوي) فحصل لهم من السرور وزوال الهم والحزن ما لم تسعه صفحات الدفاتر فقعدوا في الشوق والزوق الى الثلث الاخير ثم عزموا على المنام فأشار ابن سينا فهرولت الخدام من كل جهة وأتوا بوسائد المخمل والحرير والقطن وفراش ريش النعام وملابس النوم الملوكية ولبس الشاه محمود ونام هو وكل من معه على الفرش المقصب كل بمفرده قال ويحكى ان الشاه محمود وأتباعه ناموا الى الضحى العالي وأفاقوا واذاهم لم يروا أثر المدينة ولا البستان ولا السراية ولا الاسواق ولا القلعة ولا شيأ مما رأوه وكأنه لم يكن وقد انقسم العساكر نصفين وتقاتلا مقاتلة عظيمة وصارت ملحمة لم ير مثلها أبدا ففي الحين تحزم ابن سينا بتنورة ومسك عودا وقرعة وصاح ما بين العسكرين وقرع على القرعة فلم يروا الا وابتدأ يخرج من القرعة المائتان والا كثر من ذلك الأشخاص الموهمة وبيد كل واحد منهم سيوف مشهرة وقد ابتدروا الى مباشرة الحرب عراة الرؤس ورأس كل واحد منهم مثل القبة أقرع أو أصلع لابسين من نسج داود سرابيلا ومنهم من على رأسه الخود والبيضة وبأيديهم الدرق وكأنهم بمقابلة ضوء الشمس قطع نار يخطف الابصار نورهم وحملوا حملة واحدة وكم قتلوا رجالا وجندلوا أبطالا فكثر الصياح وتكاثفوا بالصفاح واعتقلت الرماح وقومت الاسنة وأطلقت الاعنة وقلبوا الميمنة ميسرة والجناحين قلبا وركن القلب الى الفرار فلا تسمع الا قائلا واعيناه وايداه وترى نصرا حائرا وكفا في الهواء طائرا وقد سالت الدماء حتى صارت بأيدي هؤلاء الجبابرة كأكاد الابل وبانت الشجعان وركن الى الفرار الجبان والتجأ عساكر الشاه محمود الى أبواب مدينتهم فسدت دونهم الابواب فنظر الشاه محمود عند ذلك وقد قضي الامر ففر هو كذلك ودخل القلعة وعلا على الاسوار وصار ينظر الى العساكر واذا أكثر عساكره هلكوا وقد تراكموا على بعضهم بعضا فتحير حيرة عظيمة وحيث ان سبب هذه الحركة يوحنا الملعون فسببه

وغدره ووقف ساعة باهتا واذا بالعساكر قد تراكموا وتزاحموا حتى ضاقت بهم الارض فقصدوا قلعة كرمان وحاصروها وصاروا من شدة ميلهم وولهم على الحرب يقتلون بعضهم بعضا اذ لم يجدوا من يقتلوه وصار بينهم حرب عظيم وقتال جسيم قال ومن العجب ان من قتل من عسكر ابن سينا كان يقع على الارض ثم ينهض قائما على قدميه ويقاتل ثانيا فتفرج الشاه محمود وجماعته على شئ لم يتمثله عقل عاقل فضلا عن وقوعه وقد هجموا على أبراج القلعة وحاصروا أهل المدينة وامتدت هذه المعركة برهة ثم ان ابن سينا رمى العود والقرعة الى الارض فعاد كل الى ما كان عليه ورجع هو ودخل مدينته ﴿قال الراوى﴾ ثم ان الشاه محمود طلع على تخت مملكته وجلس عليه وجمع وزراءه وشاورهم في أمره فعجزوا جميعا عن رد جوابه فندم هنالك من طلبه لابن سينا من ملك بخارى وعزم على أن يحرر كتابا اليه يترجاه في دفع ضرر ماهو فيه فقام عند ذلك أحد وزراء الملك محمود شاه وكان اسمه ميلاد او قد كان موصوفا بالعقل والحكمة والمعرفة ومارس الايام والليالى وتقدم الى الملك وقبل الارض وأدى لوازم التعظيم ورسوم التبجيل والتكريم وقال له أيها الملك اعلم ان ابن سينا ليس أمراهينا ولا يجيء بالمعاندة وان سبب هذا المشكل منك والبك وقد احتقرته وطرحته من عندك وكان سبب الفتنة بوحنا فأين هو فأمر الملك باحضاره فحضر فقال له ان هذه الفتنة كنت أنت سببها فاما أن تطفئ وجهها والا أعدمتك الحياة فقال له أيها الملك أنا مقصدى اطلاعك على فساده لا اثارة الفتن فطرده الملك وأبدع فى طرده ثم قال لميلاد أيها الوزير فماذا ترى فى هذا الامر فقال له أرى أن ترسل اليه الغلام قريبك شفيعا وليدعوه اليك فانه لا يرده خائبا قال فأحضر الغلام حالا وأمره بالتوجه اليه فأجاب بالسمع والطاعة وسار حتى اذا قارب باب المدينة العجيبة استقبله أهلها وخدامها وأكابرها على العادة حتى أحضروه الى دار ابن سينا فأجلسه معه على التخت وصار يتحدث معه فى عجائب هذه المدينة ويطلعه على اسرارها وأمسكه عنده ليلته وصار يفرجه على غرائب البستان وأشياء مما لا تسعها العقول ثم فى ثانى يوم دعاه الغلام الى حضوره عند الملك فأجاب بالسمع والطاعة وترك المدينة كما هى وتوجه معه الى الملك فاستقبله الأكابر وصار يتفرج عليه الاصاغر وأمامه الوزراء الى أن دخل عند الملك فنهض الملك واستقبله من مسافة وأخذ بيده وأجلسه على التخت معه وقال له كلا ما مضمنا معناه يا أيها الحكيم البارع فى كل فن عليم هل يليق بشأنك أن تفعل بنا ما حل بالخلائق من قتال وضراب ونزال وتهزل مقامى فيما بين الناس فأجابه ابن سينا أيها الملك أنت الذى أولا قصدت قتلى وحطيت قدرى بسبب فتنة الحساد على غير وجه حق فلما عاينت

منك

منك ذلك قصدت محاقي والبادي أظلم ثم انهما تسامحا فيما جرى بينهما وقد أخبر ابن سينا الشاه محمود بانك اذا أردت احياء موتاك فأمرني فأمره قال فقرأ عزيمة واذا بكل من مات عاد داخل المدينة في أكل وشرب وبيع وشراء وأخذ وعطاء وما كان ذلك الا مجرد خيال مخيف مهول فتعجب الملك وجميع الناس من ذلك ﴿قال الراوي﴾ فأقام ابن سينا مدة أيام مع الشاه محمود ثم دعا الملك الى المدينة ثانيا فأجابه الشاه محمود وأراد التوجه اليها فأبرز يوحنا العناد وقال كيف تتوجهون الى تلك المدينة وهي مشحونة بالسحر وأنواع المكايد والتوجه اليها خطر عظيم وانما قصد ابن سينا بالملك قتلك هناك ويملك أرض كرمان وصار يهوّل له الامر حتى داخله الروع وشك في أمر ابن سينا وصار متردداً في التوجه وعدمه ثم تشاور أيضا في ذلك مع الوزير فقال له الوزير العاقل ميلاد أيها الملك لا يليق بشأنك الاصغاء الى القيل والقال الذي هو في منزلة الشك والمحال واعلم ان ابن سينا لو أراد الاستيلاء على بلادك فهو قادر على ذلك بدون كافة حيلة ولا مشقة وقد وقفت على جل مضمون سره وانه لم يكن ولها الى الامر والنهي وحظ النفس فهو زاهد النفس كريم الطبع سليم العاقبة فلا تلتفت الى هذا الكلام ومقال هذا الحاسد الحقود الجاحد الكنود ولا يهولنك ما رأيت من ابن سينا فهو من قبيل الملاطفة فاذا عزمت فتوكل على الله قال فعقد الملك النية وعزم على التوجه واطمأن قلبه وتحضر الى الصباح هو ووزراؤه وحواشيه وأشراف المدينة والصالحون والاعيان وقد عزموا على التوجه قال فلما ان عزم الشاه محمود ومن معه على التوجه وخرجوا من باب مدينة كرمان واستخبر ابن سينا بخروجهم ووجدهم قربوا من مدينة العجائب أمر وزراءه وأكابر دولته ان يستقبلوهم فتلقوهم من بعد مسافة واصطفت العساكر قسمين يسلمون عليهم حتى وصلوا الى باب مدينة العجائب فنظروا واذا بالدار قفر والمزار بعيد ولم يجدوا القواصة التي كانوا بها أولا وبأيديهم العصي والدبابيس المفضضة ولا المدينة ولا البستان ولا من يخبر عنها ووجدوا أنهم قد أشرفوا على واد مهول به حجر وجبال وقارات ورأى الملك شاه كرمان أنه نائم هو وجماعته وان في مكانه حجرا عاليا عن بقية الحجارة فتحيروا وتفوا حلمهم باهتين ونظر بعضهم الى بعض وتضاحكوا ورجعوا على أعقابهم وهم في سيرة ما رأوه من العبر والعساكر وانها محيت في لمحة البصر فتارة يضحكون وتارة يتعجبون وقد وجدوا ان ما رأوه خيالا أو أضغاث أحلام حتى اذا أشرفوا على وادي السراب لم يجدوا به الشراب والحاصل ان الشاه محمود دخل منزله وهو لا يطيق التصبر وتحير عقله وتجسسوا أمر ابن سينا حتى لم يتركوا مكانا بالمدينة والاسواق والصحراء ولم يدعوا مكانا بدون بحث فلم يعثروا عليه وعجزوا عن ادراكه

واذا هم رضوا أنهم وجدوه فلا طائل فشكروا الله تعالى على خلاصهم ونجاتهم من شدة ما أصابهم من الاهوال هذا ما كان من أمر الشاه محمود ملك كرمان وجماعته

﴿قال الراوى﴾ وأما ما كان من أمر ابن سينا فانه حين ما فعل بسلطان كرمان ما فعله ذهب وتركه ووصل الى مدينة همدان فى برهة قليلة ففى أثناء سيره وتفرجه بداخل المدينة وجد تكية الشيخ عبد الله الهمدانى قد انهدم منها جانب وكان الشيخ قدس الله سره العظيم واقفا بنفسه على العملة وفى أثناء ذلك قال له الشيخ يا أبا على بن سينا هل يليق منك أن لا تحال البناء فرجع ابن سينا لينظر من هذا واذا بشيخ عظيم نورانى يتلألأ وجهه نورا قيل ان الشيخ عبد الله الهمدانى قدس الله سره العظيم لما ان نظر الى ابن سينا وقرب منه أشار بأصابعه العشرة الى عشرة أحجار فتنعت واذا بها على أعلى الحائط منظومة فى غاية الانتظام وقد يعجز المهندسون أن يضعوها مثلها فعلم ابن سينا أن هذا من محض الكرامات فتقدم اليه ابن سينا وقبل يده وكذا على قدميه فدعا له الشيخ وأعزه وأكرمه ورفع رأسه من أديم الارض وأخذ بيده وتوجه به الى خلوته وترحب به فتحدثا نومهما فى لوازم الروح ثم ان ابن سينا اعتذر للشيخ وترجاه فى أن يكون ملازما لخدامته العلية وان لا يبعده عنه مدة حياته ويلازم باب رحابه الفسيح فقبله الشيخ وعين له حجرة وأعد له من الاحسان ما لا مزيد عليه وتعهد له بالارشاد فأقام معه مدة وافرة فى أداء خدامته واشتغل بالعبادات آناء الليل وأطراف النهار ولم ير غير طاعة أمر الله تعالى وأفنى نفسه بالرياضات وبلغ فيها الى مرتبة لم يصل اليها فى التشكيل الجن والشياطين وخفى خبره ولم يبق له أحد على أثر وصار ما بين الخلائق نسيا منسيا وانقطع عنه القيل والقال واندثر اسمه وفقد رسمه واشتغل بعبادة رب العالمين وفنى فناء تاما وصار من أصحاب الكشف والكرامات وخوارق العادات وتمم مراتب الرجال وصار عاملا ومرشدا كاملا وألف كتبا عظيمة وكان أولا قد اشتغل بعلم الطب وألف كتابه المشهور بالقانون أى قانون الشفاء وهو كتاب مقسوم على خمسة أقسام لم يأت الحكماء بمثله ومثله انشاء الطب الجديد (فيحكى والله تعالى أعلم) أنه سابقا كان ملك هاتيك الديار أفلاطون الالهى وكانوا يتشافهون علم الطب فى زمانه ولم يدونوه وكانت دفاترهم صفحات الصدور وكيفية تلقيه هو ان تلامذته صفوا قلوبهم بالرياضات وكانوا يأتون الى الحضور على افلاطون ويجثوا على ركبهم ويطرقون رؤسهم وينظرون لقلبه المصقول كالمرآة بحال المراقبة وكان الاستاذ ينظر الى قلوبهم ويعلمهم الطب وغيره وكان ذلك حرصا على هذا العلم الشريف حتى لا يقع فى ايدى السفلة من رعاع الناس ولم يقبلوا للخدامة غير المحسوب المنسوب لحكماء اليونان فاتفق ان أرسطاطاليس

كان جميلا فى غاية الحسن والجمال ذا قد واعتدال وبهاء وكمال وقد احضروه الى مجلس أفلاطون وألحقوه بخدامته وترجوه فى الحاقه من جملة تلامذته فسأل عن نسبه هل هو منسوب الى أحد الحكماء أم لا فقيل له ليس منسوبا الا لاحدهم وانما هو ذو قابلية وفهم وذكاء فلم يقبله وكم من دفعة يحضروه اليه ويرده وكل دفعة يلحون عليه الحاحا كليا ففى بعض الايام وضع الشيخ رأسه فى ضمير المراقبة وأطرق مليا ثم قال ان الله سبحانه وتعالى فى هذا حكمة وقبله وقال حتى نرى ماذا يبدع مستتر الغيب واشتغل بتعليمه ففى مدة قليلة حصل فضائل كثيرة وصفا قلبه وصار مستعدا للتعليم وحضر الى عند الشيخ وقد حصل ما لا مزيد عليه من العلوم وقال عند قطب العارفين أفلاطون ان هذا الفن أمر عسير تحصيله ومع ذلك هو سهل فى وقت سلطنتكم وفيما بعد يضيع ولطلب هذه المرتبة من الكمال يكل كثير من الطالبين ولم يقتحموا التعلم فيفقد فاذا استصوب أن يدون ويكون لنا الاجر لبقاء المنفعة للعالم فقال أفلاطون لمن حضر مجلسه هل رأيتم كيف بدا تأثير الحسب والنسب وان عدم قبولنا لهذا الصبى ليس بخلا وانما أستاذى هكذا أوصانى أن لا أقبل من ليس له حسب ونسب الى اليونان وأنتم كنتم سببا بقبوله وها قد ظهرت آثاره هل تصغوا الى ما يقول وقد صار مقدما وأراد ان يعزم الناس لضيافته فخجل اهل المجلس وسكتوا ثم رفع الشيخ رأسه وقد خاطب ارسطاطاليس وقال له ان الله فى هذا أيضا حكمة واذا لم آذنك فلا فائدة فى ذلك وحيث انك التمست منا الرضا فافعل ما بدا لك وانما اكتمه بقلم غريب والغزه حتى لا يطلع عليه أحد ولا يقدر على استخراجه ويكون لائقا لذوى الالباب وكان هذا حل ما يتمناه ارسطاطاليس لانه كان مولعا فى ابراز هذا العلم من ضمير الغيب الى عالم الشهادة ففى هذا الوقت نهض وابتدأ باختراع لغة غريبة وقلم كذلك وقد حرر علم الطب فى برهة يسيرة وأحضره عند الشيخ فأعجبه غاية العجب وقسمه على ستة أقسام وقد تركوه بين العالم ولحقوا بمن مات قبلهم قال وكان علم الطب من زمن أفلاطون الى زمن ابن سينا على ذلك الترتيب وقد ترجاه الشيخ عبد الله الهمدانى قدس الله سره العظيم فى ترجمة تلك الكتب الستة فأجابه ابن سينا الى ذلك ففعل وجعل ثلاث مجلدات ترجمة وابتدأ بالرابع فهزمت دولة أيامه وأنشبت المنية أظفارها بلطف روحانيته فعزلتها من كثيف جسمانيته قيل ان ابن سينا لم يكن مسمى بحكيم الا لمجرد تلك الترجمة فبقيت الثلاث مجلدات لم يترجموا والحاصل ان ابن سينا قدس الله سره العظيم مكث بمدينة همدان مدة وافرة وكم بث بها من معارف وكان عدد كتبه أكثر من أن تحصى وقد اختلف الرواة فى موت أبى على ابن سينا على أقوال فقد قال الدرويش حسن المدحى ان ابن سينا

مدفون فى همدان فى محلة دوزباد وكثيرا ما اختلف فى دفنه وروى الدرويش البلخى سلطان السوّاح فى زمانه من طوى بساط البسيطة مرتفلا ثياب أمانه ان ابن سينا رجع الى سمرقند وبناء مدينة بقربها يقال لها طاقين محلا شاهقا فى غاية الانتظام وبداخله مبدا او اسعا وبنى به مدرسة ذات سبع طبقات على عدد السموات وبنى فى كل طبقة حجرات عديدة وعدد جملتها الثمانئة وستون حجرة وقدموها داخلا وخارجا باللازورد وفى كل حجرة نحو الاربعين والخمسين طالبا مشتغلين آناء الليل وأطراف النهار فى طاعة العزيز الجبار ومكث بها ابن سينا وكم فتح باب افادة قد أغلقتها أيدى الزمان وكان يدرس فى كل علم وفن دروسا عامة واشتهر فى العالم اسمه ولم يندرس بينهم رسمه وبعد بلوغ عمره العزيز الى ما ينوف على السبعين صعب عليه تجرعه كأس المنون وجعل يتلو يا ليت قومى يعلمون وتفكر فى عاقبة أمره وأبرز فيه مكنون سره وكان فى مرتبة من العلم والعمل لم يبلغها غيره فتصفح دفاتر عقله المستترة وفوائد علومه المستطرة وقد لاحت له لائحة قدسية وأخذ يدبر فى دفع ثلاث المنية وقد كان بملاصقة هذه المدرسة حمام عالى البنيان منظوم الجدران يسمى حمام ميزار وكان من أمره ان آل الى الاندثار فبناه ونظمه وجعل به قبة وفيها سبع طاقات وكل منهن محكمة الوضع لكوكب من السبعة السيارة ووضع بكل طاقة زجاجة تجاه ذلك الكوكب وقد استحكم مركزهم بحيث ان تأثيرات الكواكب السبعة تؤثر فيها وتنحصر فى الزجاجات وقد اصطنع بها ادهانا عجيبة تنعش الارواح (روى) انه كان لابن سينا ببغداد تلميذ يقال له جاماس الحكيم وقد كان استصحبه فى بعض أسفاره الكثيرة فأحضره وأوصاه بوصية وهى ان أبا على ابن سينا كان استنحت فى قالب من المرمر على شكل صورته وأعلم جاماس الحكيم بأنه اذا مات يخفى أمره ولم يبده أبدا وليفعل به ما يأمره به ثم اذا ما مات فعل جاماس بالوصية وأخذ جثة ابن سينا ووضعها فى جرن من الرخام داخل الحمام وهرسه حتى لم يبق أثر لعظامه ثم غلاه قليلا وأضاف له جانبا من الماء وأحضر زجاجة من الزجاج المدبر وصبها عليه فصار غليظا تماما كالمخى فصبه بالقالب الذى على صورته حتى اذا امتلئ حاففناه ووضعه تحت طاقة من الطاقات المحكمة وصب عليه بقية من الزجاجة المصبوبة عليه آنفا وتركه تحت الطاقة أربعين يوما فوجده متجمدا وتشكلت صورته فنقله تحت طاقة ثانية وصب عليه زجاجة وتركه أربعين يوما أخرى فصار لحما طريا فنقله تحت طاقة أخرى وصب عليه زجاجة وتركه أربعين يوما فصار عظما وجلدا وشعرا وسائر لوازم بدنه ولم يبق غير الحياة فنقله تحت طاقة وصب عليه زجاجة أخرى وتركه أربعين يوما فتحرك بدنه فى القالب وبدت فيه علامات الحياة ثم

نقله تحت طاقة وصب عليه زجاجة وتركه أربعين يوما فصار ابن سينا يتكلم قليلا قليلا وبقي الحال موقوفا على صب زجاجة فينهض ويقوم ويبقى الى يوم القيامة لان الكواكب كانت تدبره من الطاقات كما انها تدبره في بطن أمه والا ان كان تدبير ابن سينا هذا يخالف الأمر الخالق جل جلاله وعظم شأنه وقدرته فلم يتم أمره فروى ان جاماس الحكيم رأى ان ابن سينا آن له أن يقوم وكان في شك من ذلك ولم يباشر العمل الا بمجرد نظره هل يمكن ما أبداه له أستاذه من اعادته أم لا فلما عاين ذلك تفكر ان ابن سينا اذا عاد الى الحياة دام الى القيامة وهو شهير في العلوم فاذا تم أمره لم يبق لي أنا اسم ولا رسم وقد انقضت أيام مدته وصار الدور لي فاذا لم أعطل عليه فلم يلتفت لي أحد بعدها أبدا عند وجوده فالاولى تركه على هذه الحالة وقد كسر جاماس الزجاجة السابعة وأخفى الحمام وترك به ابن سينا على هذه الحالة وانطلق الى حال سبيله وأما صوت ابن سينا فكان يسمع وكانت الناس يتعجبون من ذلك ومن ذلك الوقت الى تاريخنا هذا تروى عنه أخبار متنوعة شتى وحكى البلخي الراوي المرقوم ان الحمام المسمى ميزاره معمور الى وقتنا هذا وقد كنت توجهت حين سياحتي الى سمرقند وأتيت الى الحمام في وقت التمجيد وصغيت فسمعت صوته من داخل خلوة قليلا قليلا فاستمعت له زمنا طويلا فاذا تزاحمت الناس في الحمام كان يقل الصوت وسمعت ان جاماس الحكيم حينما أتى الى الزجاجة السابعة وأخذها وأراد أن يصبها الى مكانها حكم العادة عثرت رجله في الارض فانكب على وجهه وانكسرت الزجاجة من يده فلما رأى ان الامر ليس بعسير أخفى الحمام ولعله أخفى الخلوة التي فيها جثة ابن سينا وتوجه الى حال سبيله وعلى كلتا الروايتين فلم يكن له نصيب في الحياة ثانيا وبقي على حالة فيما بين الحياة والممات وصار باقيا يتكلم قليلا قليلا كل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون

وهذا آخر ما انتهى الينا من ترجمة قصة نوادر
ابن سينا وأخيه أبي الحارث والله
أعلم بغيبه وأحكم وصلى
الله على سيدنا ومولانا
محمد وعلى آله
وصحبه
وسلم
تم
م

حمدا لمن أنار قلوب الحكماء وورث الفنون لعباده العلماء وصلاة وسلاما على من كان على الوحي أمينا وأعطى من الحجج برهانا متينا وأنزل عليه مولانا تثبيتا له وتمكينا انا فتحنا لك فتحا مبينا هذا وقد تم طبع كتاب قصة أبي على بن سينا مع شقيقه أبي الحارث وما حصل بينهما من العجائب البديعة والنكات الرفيعة وشوارد اللطائف وفرائد الظرائف من كل شئ يلذ به السمع ويميل اليه الطبع ويأنس به الجمع على ذمة ذي الصدق والامانه صالح منصور شبانه أناله الله اكرامه واحسانه والمسلمين بمنه وكرمه وقد كان تمام طبع هذا الكتاب بالمطبعة الجديدة العامرة التي هي بكل الادوات وافرة بالمحروسة مصر القاهرة ملك الفقير الحقير المعترف بالذنب والتقصير الراجي من السميع البصير غفر الجليل من الذنوب والصغير الشيخ شرف موسى وقاه الله شر الهموم والبؤسى وأعانه الله على هذا الوقت وأكمد حاسديه بالطرد والمقت أول شهر جمادى الاولى سنة ١٢٩٧ سبع وتسعين ومائتين بعد الالف من هجرة من كان يرى من الامام كما يرى من الخلف صلى الله وسلم عليه وآله وصحبه

وكل منتم اليه ما بدئ أمر وتم

وفاح مسك

ختام وعم

آمين

تم





Bibliotheca Alexandrina
0415150